يوميات

فريدريك ريك

يوميات رجل يائس

ترجمة: وعد العريض

1251

مكتبة صفحة ٧

Diary of a Man in Despair

Friedrich Percyval Reck

مكتبة 1251

يوميات رجل يائس

فريدريك بريسفل ريك

ترجمة : وعد العريض

صفحة ٧

الكتاب

يوميات رجل يائس

المؤلف

فريدريك ريك

الطبعة الأولى : 2019

الترقيم الدولي:

978-603-91352-1-0

رقم الإيداع:

1441/1631

حقوق الترجمة العربية محفوظة

© صفحة سبعة للنشر والتوزيع

E-mail: info@page-7.com

Website: www.page-7.com

Tel.: (00966)583210696

العنوان : الجبيل . شارع مشهور

المملكة العربية السعودية

telegram @soramnqraa

تستطيع شراء هذا الكتاب من متجر صفحة سبعة

www.page-7.com

المؤلف في سطور

«فريدريك ريك»

فريدريك ريك (1884-1945): ولد «فريدريك بريسفل ريك» في «مادوراي»، شرق بروسيا، وهو إبن لسياسي محافظ. امتثلَ لرغبة والده بأن يلتحق بوظيفة عسكرية، ثم ترك الجيش ليبدأ بدراسة الطب.

في بداية الحرب العالمية الأولى، رأى أنه غير مؤهل للخدمة، بدأ العمل بدوام كامل كناقد مسرحي وكاتب. وبعد عدة عقود أصبح شخصية معروفة في ميونيخ. كتب روايات أدبية و تاريخية وأيضًا العديد من الكتب المسلية كان أشهرها (قنابل في مونت كارلو)، الرواية الكوميدية الأعلى مبيعًا والفيلم الموسيقي الناجح الذي تم عرضه من بطولة «بيتر لور».

في أكتوبر 1944 تم القبض عليه للمرة الأولى وفي شهرديسمبر من نفس العام قبض عليه البوليس السري النازي مرة أخرى وفي يناير 1945 وصل إلى معسكر الإعتقال في «داخاو» وهي مدينة في بافاريا، حيث توفي بعدها بفترة قصيرة.

الفهرس

المؤلف في سطور 3
مايو 1936 7
يوليو 1936 13
11 أغسطس 1936 19
مايو 1937 31
9 سبتمبر، 1937 47
9 سبتمبر 1937 59
20 مارس 1938 65
يوليو 1938 71
سبتمبر 1938 75
ديسمبر 1938 81
أبريل 1939 85
أغسطس 1939 97
20 سبتمبر 1939 103
22 سبتمبر 1939 105
نوفمبر 1939 113
يناير 1940 119
أكتوبر 1940 123
9 نوفمبر 1940 137
يونيو 1841 141
سبتمبر 1941 147
سبتمبر 1941 161

يناير 1942 165
فبراير 1942 175
11 مارس 1942 177
مايو 1942 179
يونيو 1942 183
30 أكتوبر 1942 187
فبراير 1943 195
مارس 1943 203
أغسطس 1943 211
20 أغسطس 1943 215
2 يوليو 1944 221
18 يوليو 1944 225
21 يوليو 1944 227
16 أغسطس 1944 231
9 أكتوبر 1944 233
أكتوبر 1944 239
14 أكتوبر 1944 247

مايو 1936

مكتبة .. سر من قرأ

أخيرًا، أخذ الموتُ «شبنغلر». وكما يحقّ لكلِّ أمير هندي على فراش الموت أن يأخذ معهُ تاجهُ، كانَ يحقّ لشبنغلر أن يأخذَ معهُ ما يريد. فبعدَ أيّامٍ من وفاتِهِ، مات «ألبرت»، الذي كانَ يعملُ في شركة «بيك» للنشر. توفي «ألبرت» بطريقة مروّعة. فقد رمى بنفسه تحت عجلات قطار «ستانبرج»، وتمَّ العثورُ على جثته الدّامية، مرميّة فوقَ السكّة الحديديّة وقدماه مقطوعتان من الفخذ[1].

التقيتُ بـ «شبنغلر» قبل عدة أسابيع في «بيترستراس» في ميونيخ. كالعادة، كان يرتدي بذلات تودية باهظة الثمن. وكعادته أيضًا، كانَ مقطّب الحاجبين وذا لهجة غاضبة، فقد عمّقت جروحه العميقة وتعطّشه للثأر جراحهُ. ولهذا كان في حاجة إلى أن يظلّ شخصٌ ما إلى جانبه بعض الوقت.

مازلتُ أتذكر لقاءنا الأوّل، عندما أحضره «ألبرت» إلى منزلي في العربة الصغيرة التي نقلته من المحطة، والتي كانت أضعف من أن تحمل شخصًا في وزنه ذاك. جلست تلك البنية الضخمة وقد بدا حجمها أكبر بسبب المعطف الثقيل الذي كان يرتديه. كانَ كلّ شيء فيهِ يوحي بالقوّة والصلابة: الصوت الجهوري العميق، المعطف التّودي الذي كان ملازمَ لجسدهُ في ذلك الوقت، شهيته المفتوحة للعشاء، وشخيره المرتفع في اللّيل الذي كانَ يخيف الضيوف

(1) وجد «اوغست ألبيرز» بالقرب من طريق «توتزنغ»، في بحيرة ستانبيرغ. وقد قيل بأنه قرر أن ينتحر بعد وفاة "شبنغلر".

النائمين في سلام في منزلي الريفي، ذلكَ أن صوتهُ كانَ شبيهًا بصوت منشار.

لم يكن شخصًا ناجحًا حينها، قبل أن يغير وجهته وينضم إلى مخيّم الأقلّيّات في الأقطاب الصناعية. لقد حدّد ذلكَ التغيير مصير حياته منذ تلك اللحظة. كانَ في تلكَ الفترة منغمسًا في جنونه فلا يشغلُ بالهُ شيء ويطلقُ عنانَ نفسهِ للمغامرة بالسباحةِ في النّهر. ومن ثم، بالطّبع، كان الأمر لا يصدق عندما كان يعرض نفسه ببدلة السباحة أمام الفلاحين والمزارعين، أو عندما كان يقف بجانب التريتون ومن ثمّ يعود إلى ضفة النهر أمام أنظارهم!

لقد كان أغرب مزيج يعكسُ عظمة الإنسان وهشاشته. لو ذكرت الآن ما حدث، سيكونَ ذلكَ من أسباب رحيلي رغم يقيني أن هذا لم يكن خطأً. لقد كان رجلًا يحب تناول طعامه بمفردهِ، حزين العينين، ويأكلُ بشراهةٍ وبطريقة رهيبة. ومن الأمور المسلية، أذكرُ عندما كان ينضم إليّ و«ألبرت» في بعض المساءات كي تناول معنا وجبة خفيفة. حدث ذلك في الأسابيع الأخيرة من الحرب العالمية الأولى، عندما لم يكن جلوسُ المرءِ قبل الضيوف الآخرين يشكّلُ مشكلة. ولكن، وسط ذلك النقاش الصاخب والجدال الذي استمرّ لوقت طويل، أنهى «شبنغلر» أكلَ إوزة كاملة من دون أن يترك لنا، نحن رفقاءه حول الطاولة، ولو مجرّدَ لقمة واحدة.

لم تكن رغبته في تناول وجبة كبيرة (حيث كانت شركته الصناعية «ماسينس» تتكفل بالفاتورة) تمثّلُ مصدر تسليته الوحيدة. فبعد أن التقيته، قبل أن يحقق نجاحًا باهرًا في العمل، طلب مني ألّا أقدمَ على زيارتهِ في شقته الصغيرة (أعتقد أنها كانت في «أغنيستراس[2]، ميونيخ»). والسبب يتمثّلُ في ضيقِ شقّتهِ حسبَ قولهُ. لقد أراد أن يريني مكتبته التي تقع في مكان يتماهى مع

(2). في ذلك الوقت، كان «اوزوالد شبنغلر» يعيش في شارع أغنيس 54، في ميونيخ.

ضخامة حجمها.

ومن ثمّ، بعد أن نجحَ في إدراة مصنع ضخم[3] عام 1926 ، انتقل للعيش في «وايدمايرستراس» الباهظة الثمن بالقرب من ضفاف نهر «آيسار»، دعاني بالفعل لأرى الغرف الكبيرة المتتالية في شقته هناك. لقد أراني السجّاد واللوحات وسريره الذي كان يستحق المشاهدة، لأنه كان يشبه النعش. ولكن بدا عليه الارتباك عندما أخبرتهُ بأنّني مازلت أنتظر رؤية مكتبته. وبعد التغلّب على عدم رغبته بأن يريني إيّاها، وجدت نفسي في غرفة صغيرة، حيثُ يوجدُ كشك كتب متهالك، وبجانبه صف من كتب «أوليستن» ومجموعة من القصص البوليسية التي يطلق عليها عادةً «الكتب القذرة».

ولكن لم يسبق لي أن عرفت رجلًا يملك القليل من حسّ الفكاهة وبهذا القدر من الحساسية حتى لا أقول انتقادًا. فلم يكن يكره شيئًا بقدر كرهه للاحتيال. ومع كل الاستنتاجات المذهلة تجاهَ «تراجع الغرب»، كانَ قد فتح مجالًا للارتباك وارتكابِ أخطاء واضحة لتبقى غير مصححة مثل أخطاء «دوستويفيسكي» الذي جاء إلى العالم من «سان بطرسبرغ» بدلًا من موسكو، وكذلك ديك بيرناند الذي جاء من «فايمار» والذي توفي قبل اغتيال «الينشتاين» إضافة إلى خواتيم مهمّة رُسمت من خلال تلك الأخطاء. أخطاء كهذه قد تحدث لأيّ أحد. ولكن ويل للرجل الذي يجرؤ على إثارة مخاوف «شبنغلر»!

أتذكر موقفًا مضحكًا في منزلي، فقد كان كعادته بعد العشاء، يبدأ بإلقاء الدّروس والمواعض في نفس الوقت الذي كان يلقي فيه دروسًا في المسيحية لشخص من أتباعه. المدهشُ في الأمر، أن ذلك المرتد، العائد للتوّ من أفريقيا

(3) . تأسست عام 1971، كانت «لانغام فيرين» نوعًا ما مجموعة وطنية من المصنّعين في شرق ألمانيا. وكان المصنعون من الرور أصحاب سلطة فيها.

حيث أصيب بحمى ملاريا مزمنة، قد غرق في نوم عميق وبدأ يشخر بصوت عالٍ وهو جالس على الكرسي. ولكن بين الشخرة والأخرى، ومن خلال مبدإ الردّ التّلقائي لـ«لصوت سيده»، كان يجيب فورًا، بلغة اصطلاحية «شبنغلرية» خالية من الأخطاء، على كل سؤال يوجه إليه من قبل الرجل العظيم. كان السيد «شبنغلر» سعيدًا جدًا، وبالطبع كان من المفترض أن يضحك على هذا الحدث. ولكن بدلًا من هذا، كان مجروحًا من الأعماق، ولم يكن بيده شيء ليفعله حيال هذا.

لقد كان أثقلَ إنسان قابلته في حياتي. لقد نجح في التفوق على «الهير هتلر» والنّازية، اللّذين كانت لديهما كل احتمالات الموت نتيجة لتفاقم البؤس بسبب افتقادهما لحس الفكاهة بشكل عميق إضافة إلى سطوةِ الرتابة البائسة التي كانت تغلبُ على الحياة الاجتماعية التي كانت تحت سيطرتهم، فقد أخذ قسوته من الموت والآن هو في سنته الرابعة، يختنق حتى الموت.

ولكن من يصدق أنني أريد أن أجرح «شبنغلر» من خلال سرد العديد من نقاط ضعفه الخاطئة. أحتاج ألّا أذكر عمله الأساسي السابق حول «الثيروقراطيين»[4]، ولا أعتقدُ أنّهُ يحملُ مصداقيّة في الصورة التي يقدّمها. تلكَ الصّورة التي تبدو نذير شؤم لجيل كامل على الأقل. فكلّ شخص قابله كان يحملُ فكرةً عن الهالة النورانية المهمة المرتبطة به والتي لا تتلاشى حتى في لحظات المباغتة. ويُعرف عن ملامحه، التي تعكس نفس الرّصانة المتمثلة على التماثيل الموجودة أواخر العهد الروماني.

سواءً سبق له تصور ارتفاع الجانب غير العقلاني في أسلوب حياتنا الظاهر الآن أم لا، سواء شعر أن «تراجع الغرب» التي كتبها كانت تعني في الواقع نهاية

(4) . خطأ: كان عمل "شبنغلر" في "هيراقليطس".

عالم ابتدعه رجل تنويري في الأربعمائة سنة السابقة... لا أعلم. فقد كان قدره أن يعتمدَ في منتصف مسيرته على حكم الأقلية في الصناعات الثقيلة، ومع الوقت، كان لهذا الاعتماد تأثير على تفكيره. وأنا على الأقل، مع أفضل التمنيات للعالم، لا أعلم كيف أصلح بين منهج التنبؤ في نهج دستوفيسكي المسيحي، الذي نشأ عام 1922 في كتاب «تراجع» الثاني، وبين الخطابات التكنوقراطية التي ملأت أعماله الأخيرة. لقد كانت مأساته متمثلة في كونه صاحب فكر حصيف، ويمكنني أن أقول، إنّهُ معلم بائس وسلبي نوعًا ما، وقد أبعده هذا عن الإيمان بالآلهة. لقد تخلّى عنهُ أتباعه عام 1926. فقد تزامن ذلكَ مع إبرام صلح مع ألمانيا الحديثة وليس مع النازيين، وكما أعلم، لم يحمل أحدٌ كراهية كتلكَ التي كانَ يحملها في نومه وفي يقظته ولحظات استلقائه على الفراش. ولكن رجال الأعمال هؤلاء، الآتيين من حوض الرور على ظهر الحصان، من الذي جعلهم أسياد الدولة بعد أن سقط النظام الملكي ومن الذي كان أكثر سعادة ليرضي رغبة «شبنغلر» ليعيش أسلوب حياة أرستوقراطيًا وممتعًا على حدٍّ سواء. إن القوة العاصفة في دماغه، التي ندين لها بالرؤية العميقة في أعماله الأولى، وقد اختفت في عهد «الريفنز» لم تكن في عهد القديس «انطوني»، بل كانت في زمن «ميزرس تايسون وهوزاك»، فقد بدؤوا بملء طاولته بالخمور الفرنسية.

و بالتالي، هل تمت خيانته بسبب ميله إلى العزلة وشغفه بالصلصات الغنية ومهارة أخواته التي لا تضاهى في الطبخ. أخواته اللاتي حافظن على المنزل في غيابه.إن النازيين كما يدعونهم في صحفهم المحررة من قبل بعض الناس مثل معلمي المدارس أصحاب السجلات الغريبة وملازمي الجيش في الحرب العالمية الأولى الذين لم يعملوا أي شيء منذ ذلك الوقت، كانوا سعيدين جدًا

بحقيقة أن «شبنغلر» قد اقتربت طريقة تفكيره بهم. يقولون أيضًا، إن هذا قد حدث لباقي خصومهم. لكن كتاب «شبنغلر» الثاني الذي لم ينشر «**سنوات القرار**»، كان الكتاب الأول الذي جعله قريبًا من أن يكون ضحية، وهو موجود بأمان في قبو بنك في سويسرا[5]، منتظرًا انبعاث كل آمالنا من جديد.

(5) . إنّ الإشاعة التي انتشرت على نطاق واسع بأن النسخة الأساسية المكتوبة بخط اليد من العمل الثاني لـ"أوزوالد شبنغلر" (ساعة القرار) كان في أمان في سرداب بنك سويسري، و قد ثبت أن هذه الإشاعة خاطئة. فكما كتب "اتش. كورنهارد" في مقدمة النسخة الجديدة من عمل "شبنغلر"، التي طبعت عام 1953: "الباب الثاني لم يكتبه أبدًا".

يوليو 1936

أقلقت الإشاعات المتواترة في ميونيخ الهير «إيسار»[6]، وزير النقل، الذي يجب أن يلقّب بوزير النقل المتحرّش وذلك بسبب فضائحه المعروفة. لقد أقام علاقة غرامية مع إبنة صاحب حانة، فأبرحه والدها ضربًا مبرحًا ولم يعد ثمّة نفعٌ من مغادرة ميونيخ أو البقاء بعد أن فُضح في كلّ مكان. ووفقًا لأسلوب هذا النظام، الذي تجاهل هذه الفضيحة كما لو كانت حمولة زائدة لا ضرر فيها، فقد رُشح بعد فترة لمنصب أعلى في برلين ومنذ ذلك الوقت، أعلن أن السّفر إلى الخارج من قبل الأفراد أصبح شيئًا من الماضي، ومن الآن فصاعدًا لا يمكن للألماني أن يسافر إلا ضمن مجموعة سمّيت منظمة «القوة عبر المرح» ومنذ ذلك الوقت، أصبحت لدينا كلّ الاحتمالات لنفقد ما تبقّى لنا من حريّة في التّنقّل، وهكذا أصبحنا سجناء لهذه الجماعة المتوحشّة التي تحكمُ سطوتها علينا منذ ثلاث سنوات.

فتحتُ مؤخرًا معَ رجلٍ، حوارًا فكريًا عميقًا حولَ النّازيين، وكيفيّة تولّيهم السلطة. قال بأن هذه التي تدعى ثورة ألمانيا[7] ما هي إلا عملية ابتزاز. كانت

---

(6) . الرجل النازي العريق "هيرمان ايسار"، كان يدعى وزير بافاريا من دون أن تكون له وزارة وأصبح في منصب القاضي عام 1934، ورئيس مكتب الرايخ للسفريات الخارجية عام 1936.

(7) . إن سلسلة الأحداث المعقدة التي أدت إلى ما يدعى تولي السلطة من قبل هتلر في عام 1933، وأنه أصبح يدعى بالرئيس، تم شرحها من قبل "ألن بولك" في كتابه الذي يتحدث عن هتلر: (دراسة في الحكم الإستبدادي). عن فضيحة الإغاثة الشرقية، كتب "بولك" محادثات قد جرت بين هتلر والسيد "اوسكار

تلكَ هي رؤيتهُ.

وطالما كان «هيندينبيرغ» العجوز رجلا فقيرًا فقد قرر في نهاية حياته أن يغير وضعه، وقد دخل إبنه أوسكار في مضاربة بالأسهم، وعندما انهار الاقتصادُ بشكل مفاجئ، أصبح مديونا بـ 13 مليون مارك.وكي يستعيد أمواله، أقحم أوسكار نفسه مع هيئة الإغاثة الشرقية المتلاعبة -لا أعتقدُ أن والده قد علم بالأمر- وعام 1932 كشف النازيوّن أمرهم (قد يكون لسقوط مجلس الوزراء علاقة بذلك) وهي نفس الفترة التي حصل الهتلريون فيها على جهاز تصوير الوثائق للمستندات التي تورّطهم، ومنذ ذلك الوقت أصبحت للنازيوّن اليد العليا.

وطالما أبعد «هيندينبيرغ» هتلر عنه وهو يقول «ما كنت لأجعل مدير البريد البوهيمي[8] أقل بكثير من مستشار»، كما ذكر. ولكنّهُ لم يعد موظفًا حُرًّا خلال صيف 1932. من ناحية أخرى، كيف لرئيس دولة مثله ألّا يقول أي شيء عندما أرسل هلتر بكل وقاحة برقية إلى النازيين القتلة في «بوتمبا»؟[9]

بدأت الأسئلة في مبنى الرايخستاغ تتواترُ في نهاية 1932حولَ هيئة الإغاثة

هيندنبيرغ" عن أمور قد حدثت في 22 يناير 1933، حيث أن هتلر كان يهدد بشن تحقيق عن فضيحة الإغاثة الشرقية والذي قد يسبب انكشاف الأضرار التي أحدثها الرئيس الألماني "بول هندنبيرغ"، وتورط المنصب الوظيفي لـ"أوسكار هندنبيرغ" في هذا الضرر، بالإضافة إلى الاستعمال غير القانوني للممتلكات العامة. لم يكن هنالك أي أثر في كتاب "بولك" عن أموال "اوسكار هندنبيرغ" التي تقدر بثلاثة عشر مليون مارك (نيويورك: هاربر و راو، الناشرين، طبعة منقحة، 1964).

(8) . "البريد البوهيمي"، مرجع جغرافي.

(9) . القتل البوتيمبي يرجع إلى طريقة القتل التي عرف بها العامل الشيوعي "كونراد بيترزخ" عندما قتل عددا من أفراد البوليس السري النازي في منزله في بوتيميا في التاسع من أغسطس 1932. وتمت إدانة ومحاكمة الرجال المتورطين في هذه الحادثة. كتب هتلر برقية للإذاعة لقرؤوها وكانت تحتوي على: "أيها الرفاق! إنّني أشعرُ أمام هذه الجريمة القاسية أنني مرتبط بكم بشكل كامل. ففي هذه اللحظة، باتت حريتكم تتعلق بشرفنا جميعًا، والمعركة التي نشنها ضد هذا النظام وتحت هذه الظروف، ما هو إلا واجبنا تجاهكم جميعًا. أدولف هتلر. ثم تم العفو لاحقًا عن القوات العاصفة.

الشرقية تمس بوكالة «هيندينبيرغ نيودك». أصبحت جماعة «هيندينبيرغ» قلقة جدًا. ثم جاء إضراب برلين[10]، الذي جعلَ من أعضاء حكومة«فون بابن» مواليةً أكثر للنازيين. شعر هتلر الآن أنه يمكنه الضّغط أكثر ليصبحَ رئيسًا.

تتقاطعُ القصّة بقوّة مع معلومة تلقّيتها من مصادرَ أخرى. «جورج ستراسر»[11]، الذي قُتل في ليلة **السّكاكينِ الطّويلةِ**، كانَ قد لمّح لي بنفسِ الشّيء عام 1932 وهذا يشرح أيضًا المشاورات السّرية التي حدثت في مجلس وزراء **فون بابين** بين «هيندينبيرغ» و«النازيين». تصرفت السيدة «فون شرودر»[12] كوسيطة في هذه المشاورت، و«فون بابن» الذي كان يرتجف لأجل سلامة ثروة زوجته منذ إضراب العمال في قطاع النقل، وقد لعب دورًا غريبًا معهم.

وهذا يفسر في النّهايةِ التقرير المستمر بالظهور رغم كل الإنكارات، بأن «فون شلشر»[13] الذي كان جزءًا من هذه المكيدة قد اعتقل «أوسكار فون هيندينبيرغ» في محطّة سكة فريدريش الحديدية طوال اللّيل بعد نهاية فترة الرئيس السابق. إن اللواء «فون بريدو»، الذي قتل مع «شلشر» في ليلة السّكاكين الطّويلة بعد سنة ونصف، كان الضابط المكلف بالاعتقال وفقًا للتقرير.

---

(10). إن الهجوم الذي شن ضد سلطات النقل في برلين بدأ من قبل شيوعيين قد انضموا إلى النازيين، ودام هذا الهجوم من 3 إلى 7 نوفمبر 1932.

(11) . في الأيام التي سبقت احتلال النازيين للسلطة، كان "جورج ستراسر" السكرتير المنظم للحزب. إلا أنه قد أصبح من المعارضين لـ"غوبلز" ومن ثم لهتلر. و قد استقال من منصبه في الحزب في عام 1932. ثم قتل في 30 جوان 1934.

(12) . لا يوجد أي سجلات على "فراو شروتر" تثبت أنه على علاقة بأي شيء. وعلى الغالب أن "ريك" يقصد بالمحادثة التي جرت بين هتلر و"بابين" مؤخرًا عام 1933، في منزل "كورت شروتر"، مدير البنك. وقد تم تسجيل محادثات أخرى لهذين الإثنين في منزل "ريبنتروب" في برلين.

(13) . إن لـ"كورت شروتر" أدوار عديدة في كل ما يجري: مثل الإشاعة التي انتشرت عن إلقاء القبض على "اوسكار هندنبيرغ": بالإضافة إلى المحاولة في منع هتلر من توليه للسلطة و رؤية المصادر الألمانية، و قد كان لـ"كورت بريدو" دورًا في هذا أيضًا.

يبدو أننا مدينون لهذا البؤس الشديد الذي دفعنا إلى اللجوء إلى الابتزاز والغرق في المشاكل المالية لـ«بول فون هيندينبيرغ».

لست في موضعٍ يخوّلُ لي إصدار حكم على رجل ميت ولكنّي أعتقد أن قصوره في اتخاذ القرارت عندما كانت الحكومة الملكية مهددة في التاسع من نوفمبر 1918 كان بمثابة خيانة للملك. لقد تماهت قصّة ساعات احتضاره الأخيرة[14] مع فكرة أنّ هتلر قد قدّم لي كمية وافرة من الطعام.

رفض «هيندينبيرغ» أن يقترب هتلر من فراشِهِ. ولكن لم يكن هتلر من النوع الذي يمكن التخلص منه بهذه الطريقة: فهيبته كانت في خطر. شقّ طريقه في أثناء الدخول وصافحه. لم يكن «هيندينبيرغ» قد غفرَ لنفسه خيانته للقيصر منذ ست عشرة سنة. فقد كان اعتقادهُ جليًا بأنّ **هتلر** هو القيصر فأمسك بيده وشرع في التّوسّلِ إليهِ طلبًا في المغفرة.

حتى لو كان ثمّة مقدارٌ قليل من الصّحّة، فسيهز ذلك أركانَ الدّولة. لستُ قلقًا بشأن هذا الرجل العجوز، فلم يكن العجوز «هيندينبيرغ» قادرًا على اتخاذ التدابير اللازمة لمعالجة الوضع. لا أعتقد أنه مؤهل لفعل أي شيء خاطئ مع كلّ ما يتوفّرُ لديهِ من إمكانيات. وربما كان تريّثهُ في ردّ الفعل خلال الحرب العالمية الأولى، قد أنقذت «وندندروف» من الدّخولِ في معركة كانت خسارتها

(14) . الشاهد الوحيد على مشهد فراش الموت بين "هندنبيرغ" وهتلر في الأول من أغسطس 1934، وصفه على هذا النحو: "كان هندنبيرغ على فراش الموت عندما دخل هتلر إلى الغرفة. كان باغرفة إثنان من الأطباء بالإضافة إلى إبنتيه. من الواضح أنه في تلك اللحظات لم يميز هتلر. على أية حال، لم يعره أية اهتماما. فقد عاد بذاكرته إلى ذلك الوقت عندما كان الناس يتفهمونه بشكل أكبر. كانت آخر كلمات قد نطق بها: "أيها القيصر..." ومن ثم، كان من المستحيل أن تعرف على أي شيء كان يقصد عندما قال: "يا موطن أسلافي" أو "يا موطني الألماني... " كان كلامه يفهم بصعوبة. ثم صمت. وبعد سنوات عديدة أصبح هتلر يقول إنّ آخر كلمات "هندنبيرغ" كانت عن القيصر و ليست عن نفسه.

حتميّة.

كان الجنرال «هوفمان»[15] ضابطًا معاونًا، وقد أرتني أرملته رسالة كان قد كتبها لها خريف 1914 قبل أن يتوغّل الألمان في بولندا. كتب فيها: «إنه (هوفمان يعني هيندينبيرغ) يقضي معظم وقته في الصيد، ويعود إلى المكتب الرئيسي في المساء ومن ثم تملى عليهِ أوامر اليوم التالي، ويقول: «يا إلهي، لم أستطع فعل أي شيء لهُ إضافةٌ لي!» سيأتي الهير «بيثمان هولوغ» ليعطي التوجيهات حولَ الوضع الاستراتيجي. سيتوجب علينا أن نخبر الجنرال كيف يفكر. فهو لا يعلم حتى أين تتمركز قواته».

سأكرر، لن أحكم على رجل ميت. ولكن «هيندينبيرغ» لا يملك الإمكانيات للمنصب الذي كلّفَ بهِ. كما أنه كبير في السن، وقد يكون مريضًا جدًا لتحمل هذه المسؤولية. ولكن غباء كل هؤلاء الناس متمثّل في موافقتهم على هذا الخليط بين الفساد وعدم الكفاءة في هذه القيادة شيء آخر. كما أن النظام الوزاري مسؤول أيضًا، فطالما أن هذه الدولة توافق على هذه المؤسسات السياسية، فعليها أن تتحمل هذه الفوضى والتشنج والاضطرابات السياسية التي ترافقها. كلّا، فالألمان كما هم الآن يحتاجون إلى رئيس. وأنا لا أعني بهذا هؤلاء الغجر الذين ولياهم السلطة علينا في وقت حاجتنا.

---

(15) . خدم الجنرال "ماكس هوفمان" مع "لوندروف" من 1914 إلى 1916، ومن ثم تولى القيادة العسكر في الجبهة الروسية ومثل ألمانيا في "بريست ليتوفسك"، عندما وافقت روسيا على أن تخرج من الحرب.

11 أغسطس 1936

التقيتُ «فرانكنبيرغ» في ميونيخ وتحدثنا عن ليلة **السّكاكين العمياء**. فقد ماتَ «روم» بشجاعة كما ينبغي لكلّ جندي أن يموت، حدثَ ذلكَ بعد أن سجلنا شكاوينا من تردّي جودة القهوة التي يقدمونها في السجن. إن الرواية التي نشرها «غوبلز»، ومرؤوسوه، والتي يخبئها تحت سريره، ما هي إلا كذبة أخرى فهذا النوع من الفساد يقدح في رجل لم يعد حيًا ليرد عليه وهذا ما يتميزون به. يومًا ما سيأكلون ما صنعت أيديهم.

ومن ثم، هنالك قضية «ويلي شميد»[16] الناقد الموسيقي لصحيفة ميونيخ الذي قتل في اللّيلة ذاتها عن طريق الخطأ. يمكنك أن تقول إنّه التباس مأساوي في تحديد الهوية. فعلى ما يبدو، كان النازيّون يبحثون عن اسم «شميد» في كتاب الهاتف، وقتلوا كل قائمة أسماء الناس الملقبين بـ«شميد» قبل أن يصلوا إلى «شميد» الذي يريدونه. وهذا معروف بـ(السلامة خير من الندامة). إن «غوستاف كار»[17] البالغ من العمر اثنين وسبعون عامًا لم يطلق عليه النار: بل

---

(16) . كان "ويلي شميد" ناقدًا موسيقيًا . وقد أخطئوا بينه وبين "ويلي" آخر وتمّ قتله من قبل النازيين أثناء الإنقلاب على روم.

(17) . في عام 1950 انتشر خبر أن "غوستاف ريتر"، الذي كان يرأس الحكومة البافارية عام 1923 التي حاولت إحباط تولي هتلر للسلطة في الثالث والعشرون من شهر نوفمبر، قد تم ضربه بشكل مبرح ومن ثم إطلاق النار عليه بتهمة التواطؤ مع "داخاو". ورميت جثته المكشوفة في المستنقع القريب من معسكر الإعتقال.

سحق تحت أقدام وحدات شوتزشتافل الخاصة حتى الموت في حديقة فندق «مارينباد».

إن انقلاب روم برمته غريب، ومليء بالتشعبات المبهمة، فعندما تتضح الحقيقة يومًا ما، ستجعل الناس يرتعدون... أتفهم أن هتلر في حد ذاته أخذ وظيفة قتل بعض أعدائه بأسلوب الأباتشي المعروف في«باد وايسي»[18] وهذا واحد من ضحاياه المقصودين الذي قاتل مرة أخرى. صرخ بغضب شديد ولوّح بمسدسه، ولحق بزعيمه المستبد من الطابق السفلي حتى بلغ السرداب فوجد هتلر مخبأ خلف باب حديدي موصد. خلفه قرية صغيرة جميلة كجمال نظامنا الجديد، الذي قطع جميع الوعود الجميلة!

لقد عملت على كتابي الذي يتحدث عن مدينة مونستر التي أنشأها الزنادقة في القرن السادس عشر. قرأت كتبا عن «مملكة صهيون» التي كتب عنها المعاصرون، وأنا أنتفض بسبب جميع المسائل، نزولًا إلى أسخف التفاصيل، لقد كان ذلك ينذرُ بما نحن عليه الآن. كدولة ألمانيا الآن نجد أن مدينة مونستر قد فصلت نفسها عن العالم المتحضر: كألمانيا النازية، لقد كانت ناجحة بشكل عظيم لفترة طويلة من الزمن، وكانت لا تقهر. ومن ثم، بشكل مفاجئ، ورغم كل التوقعات والمقارنات التافهمة، كان مصيرها الإنهيار...

نجد أن التجاوزات غير القانونية تحدث وهذا ما جعلنا نتخبّطُ في الحضيض، وهذا أكبر دليل، كما أن المعارضة فاسدة، في حين أن العالم جميعه كان ينظر في دهشة واستغراب. كما في حالنا اليوم (مؤخرًا، ابتلعت إمرأة مجنونة في بيرختسجادن الحصى الذي يضع عليه قائدنا الغجري الوسيم قدميه)، نساء

(18) . في يونيو 1934، طلب هتلر عددًا من المعتقلين. إلا أنه لم ينفذ أي عملية إعدام و لم يأمر بذلك. فلم تكن له رغبة في ذلك الوقت.

هستيريات، مدراء المدارس، الكهنة المنشقون، والخوارج من كل مكان شكلوا هذا الدعم القوي للنظام. عليّ أن أحذف بعض المقارنات كي لا أعرض نفسي للخطر أكثرَ. ثمّة طبقة رهيفة من الأيديولوجيا تغطّي البذاءة والجشع والمتعة في تعذيب الآخرين والتعطش الشديد للسلطة في مونستر أيضًا. فكل من لم يقبل بالمذهب الجديد بشكل كامل، سوف يتم تسليمه للجلاد. ونفس نظام القتل هذا قام به هتلر في انقلاب روم الذي أداه «بوكسلون» في مونستر. كما في حالنا، فقد صدر قانون التقشف للتحكم في الطّبقة الفقيرة من العوام، ولكنه لا يُطبق عليه ولا على أتباعه. أحاط «بلاكلسون» نفسه أيضًا بالحراس، وكان بعيدًا عن قبضة من أرادوا قتله. أمّا بالنسبة إلينا، فقد كان لدينا إجتماعات بالطرق واحتجاجات رافضةً لهذا المنع. كان هنالك أُناس مخدرين:المهرجانات الشعبية، أبنية عديمة الفائدة، أي شيء وكل شيء ليبعد الرجل الموجود في الشارع عن التوقف والامعان والتّفكير.

فقد أرسلت «مونستر» بالضبط كما فعل النازيون الألمان الرتل الخامس وعددا من القادة ليحتلوا الدولة المجاورة والحقيقة هي أن «دينيست شنور»، رئيس الحرب الدعائية، الذي يعرج مثل «غوبلز» ماهو إلا مزحة أعدها التاريخ منذ أربعمائة سنة: كما أن الحقيقة التي جعلتني أتأنى في الحذف من كتابي، هي أنني معتاد على نزعة الإنتقام من وزيرنا الكاذب. وبما أننا تطرقنا إلى الأكاذيب، فإنه توجد فترة قصيرة بين العصور الوسطى والحديثة تسمى عصر اللصوص. وهذه الفترة تهدد العالم القائم بأكمله، القيصر والطبقة النبيلة وكل العلاقات القديمة. وقد وُضِعوا جميعًا لإبقاء التعطش إلى السيطرة وجنون السُلطة. أشياء أخرى كانت على وشك الحدوث ليكتمل هذا التشبيه.في «مونستر» المحاصرة عام1534 أُجبر الناس على ابتلاع برازهم وأكل أطفالهم. قد يحدث هذا لنا

أيضًا، تمامًا مثلَما واجهَ هلتر وأتباعه المتملقون نفس النهاية الحتميّةَ التي لقيها «بوكلسون» و«نيبردولنغ».

إنني أقف أمام هذه السجلات التي يبلغ عمرها 400 عاما، وأنا مندهش من فكرة أن هذا التشابه قد لا يكون بمحض الصدفة إطلاقًا، ولكنها قد تكون محددة بواسطة بعض القوانين المخيفة التي تصدر بشكل دوري من أرواح الجثث. فما الذي نعرفه بالفعل، عن السّراديب والكهوف الموجودة في مكان مّا تحت هذه الأرض العظيمة. ما الذي نعرفه عن سراديب الموتى ورغباتنا الخفية وكوابيسنا وأرواحنا الشريرة، رذائلنا وخطايانا التي نسيناها والتي لم تكفر بعد؟ تلك التي دفنت على مدى أجيال. ففي أوقاتنا العادية، نجد أن هذا كله يمتزج و يصبح كالأشباح في أحلامنا. فتظهر هذه الأشباح للفنانين على هيئة شياطين. ومن ثم نجد أن الجرغول القوطي في كاتدرائياتنا يدفع الفاحش بقوة إلى الهواء، كما أن هناك إيحاءات غريبة في اللوحات الزيتية الملهمة لـ «غرونوالد»، بأنف كالمنقار وقدم بأصابع إنسان، تجسد كل الرذائل: إن هذه الهجمات العنيفة التي تضرب المنقذ تبين أن القوانين المكتوبة حتميّة لذلك يشعر المرء بالشفقة...

ولكن، أليس من المفترض أن كل هذا بشكل عام يدفن باستمرار في لاوعينا حيث يجرف ليخرج إلى مجرى تنظيف الدم؟ ألا يفترض أن هذا أصبح في العالم الموازي الآن ومن ثم تحرر من نفثات الشيطان، وفرّت من صندوق باندورا؟ أليس هذا ما حدث في «مونستر»، قبل وبعد ذلك الحدث بالضبط؟ ألا يفسر كل ما حدث لهؤلاء الناس الخدومين العاملين، دون مقاومة من كرسوا حياتهم ليعيشوا الحياة بطريقة أفضل، بنفس الشراسة والعنف الذي لا حصر له منذ اليوم الأول لنظام هتلر الذي لم يكتف فقط بجلب البقع الشمسية التي أثرت على المناخ، وجعلت الأمطار تنهمر بغزارة طوال فصول الصيف

ليفسد الحصاد، وتأتي زواحف أخرى غريبة لتدمر هذه الأرض العتيقة، بل سعى بطرق مبهمة ليقلب المفاهيم، مثل أنا وأنت، مثل الصحيح والخطأ، مثل الفضيلة والرذيلة ومثل الرب والشيطان؟

كنت في ميونيخ مؤخرًا، أثناء أحد الإحتفالات الرسمية، والتي أصبحت الآن تحدث يوميًا، كانوا يحتفلون بأبواق الطوباس والطبول المنجلية. لم أتمكن من الحصول على غرفة في الفندق الذي اعتدت على المكوث فيه بالقرب من المحطة، ثم وجدت مكانًا لأنام فيه في المدينة القديمة، مقابل مبنى مدرسة ترتاده قوات هتلر الشبابية في فترة العطلة.

رأيت واحدًا من أولئك الصبية، وقد رمى حقيبة ظهره للتو، نظرت إليه وهو يدخل القسم محدّقًا من حولهِ، لاحظت كيف وقعَ نظره مباشرة على الصليب المعلق خلف مكتب المعلم، كيف لهذا الشاب الصغير أن يتحول وجهه البريء بسرعة إلى علامة للتّوحّش، كيف مزق تلك العلامة، التي كُرست لها الكاتدرائية الألمانية والقديس ماثيو، ثم نزعها من الحائط ورماها من النافذة في الطريق...

كانَ يصرخُ بقوّةٍ: «ارتمي هناك، أيتها اليهودية القذرة!».

سبق أن رأيت هذا فقد سمعت من أُناس أعرفهم عن أطفال قد تخلوا عن والديهم سياسيًا، وبهذه الطريقة كانوا يقتادوهم إلى الموت. آه، لا أعتقد أن كل أولئك الأطفال قد خُلقوا أشرارًا: فقد يكون قاتل المسيح بالأمس مفتونًا بقصة شجرة العرعر المسكونة، أو قصة هاينريش المؤمن، في نبله وقلقه على سيده المنفيّ المسحور، فهنالك تنشأ عصبة حديدية.

قريبًا سوف أدخل العام الخامس في هذه المحنة. لأكثر من اثنين وأربعين

شهرًا، كنت أفكر بحقدٍ، أنام والكراهية تتغلغل في أعماق قلبي، لقد حلمت بالكراهية واستيقظت عليها. أشعر بالإختناق من حقيقة أنّني سجين تلك الجماعة الفاسدة، فأنا أُجهد عقلي بالتفكير المستمر كيف أن نفس هؤلاء الناس الذين كانوا يحرصون على حقوقهم قبل عدّة سنوات، أصبحوا غارقين في سبات عميق، لم يكتف هؤلاء الناس المغشي عليهم بالسماح لمن كانوا عاطلين ومشردين بالأمس، أن يحكموا سيطرتهم عليهم، بل وبلغوا ذروة الخزي والعار، **فلم يعودوا قادرين على إدراك شعورهم بالعار**.

أخيرًا رأيت هتلر في «سيبراك»، وهو يقود ببطء سيارته المدرعة، وأمامه حراسه الشخصيين يقودون دراجات نارية كنوعٍ من الحماية الإضافية له: محب للمظاهر، ذو وجه رمادي خبيث، دائري الشكل تقبع في وسطه عينان سوداوان كئيبتان كحبات الزبيب. فالمحزن جدًا والتافه بشكل لا يوصف، هو أن تلك الملامح قبل ثلاثين سنة فقط، لم تكن لتحظى بفرصة أن تصبح في منصب رسمي. ما أن يعتلي وجه كهذا كرسيا رسميا، حتّى يكون مصيرُ أوامرهِ العصيان، ليس فقط من قِبل الوزراء وأصحاب المناصب العليا: كلا، بل العصيان سيأتيه من البواب، ومن عاملة النظافة!

واليوم؟ سمعت أن هتلر قد أنهى تحقيقًا، تكفّلَ بهِ «ويليام كاتل»، القائد العسكري الذي أُعطي سببًا وجيهًا لعدم الرضا، فرمى مزهرية برونزية على رأس الجنرال. أليست هذه من الأمور التي قد تحدث عادةً حينما يغرق الشخص في نفس بالوعة العار؟ «كل ما فعلوه كان يجب أن يحدث، لأن هذه مشيئة الرب». هذا ما قرأته في القرن السادس عشر لتاريخ مونستر.

لست غامضًا أو زاهدا. أنا ابن زمني بغض النظر عن كل التشاؤم الذي أحمله، وأتمسّك بقوة بما أراه. ولكن هنالك لغز مخيف، وها أنا أعود مرة بعد مرة

لما يبدو لي أنّهُ الإجابة الوحيدة عن هذا اللغز:

إنّ الذي رأيته هناك، خلف حصن مماليكه، ينسلّ كأمير الظلمات بحد، لم يكن إنسانًا.

بل كان جسدًا مبعوثًا من شبحٍ.

لقد التقيت به عدة مرات، ليس في واحدة من اجتماعاته بالطبع. **كانت المرّة الأولى** عام 1920، في منزل صديقي «كليمنس فرانكنستاين»[19]. ووفقًا لما قاله كبير الخدم، إن واحدًا من الحاضرين كان يقتحم طريقه في كل مكان، وظل هناك ساعة كاملة كان ذلك الرجل هتلر. فقد دبّر دعوة لمنزل «كلي» متخفيًا بستار أنه مهتم بتصميم مشاهد الأوبرا. (كان «كلي» مديرا للمسرح الملكي). من المحتمل جدًّا أن يكون لدى هتلر فكرة أن التصميم المسرحي متعلق بهندسة الديكور وتعليق ورق الجدران، فهذا عمله السابق.

جاء إلى منزلٍ لم يسبق له أن زاره من قبل، مرتديًا بذلة وحذاء وقبعة واسعة الحواف، حاملًا بيده سوط الخيل. وكان معه كلب ضخم أيضًا. كان وجوده بين أنسجة الغوبلين والجدران الرخامية الباردة، مشابهًا لراعي البقر الذي كان يجلس على عتبة مذبح الكنيسة الباروكي مرتديًا بنطالًا من الجلد وتلك المسنات الحديدية التي تخز بها الخيل، مع مهر بجانبه. ولكن هتلر جلس هناك، كما لو لو أنّهُ كبير الخدم، في ذلك الوقت كان جسده أنحف. بدا حينها ميّتا من الجوع. كان مذهولًا بحضور الهير «بارون» شخصيًا، كان مرعوبًا، ولا يستطيع أن يجلس على كرسيه بالكامل، بل جاثم على نصفه، أقل أو أكثر، بمؤخرته النحيفة، غير مكترث مطلقًا بكل الأمور الطيبة والرائعة التي كان يقولها له

(19) . كان "كليمنس فيوهير فرانكنستاين" ملحنًا، فمن عام 1914إلى 1918 و من عام 192 إلى1934 كان مخرجًا في مسرح بافاريا.

مضيفه، بل كان ينهش الكلمات بتعطش كما يفعل الكلب بقطعة اللحم.

وأخيرًا، قرر أن يبدأ بخطاب. تكلم و تكلم إلى ما لا نهاية. فقد ألقى خطابًا دينيًا وبدأ يوجه إلينا المواعظ وكأنه قسيس في الجيش. ونحن لم نعارضه على الأقل أو حتى تجرأنا على إبداء إختلافنا معه بأي طريقة كانت، ولكنه بدأ برفع صوته علينا حتى أن الخدم ظنوا أننا نتعرض لهجوم، وأسرعوا لحمايتنا.

جلسنا بعد مغادرته صامتين لولهة، حائرين ولسنا راضين نهائيًا. كان هنالك شعور بالرعب، كما لو كنت في قطار واكتشفت فجأة أن الشخص الذي يشاركك المقصورة مريض نفسي. جلسنا لفترة طويلة من دون أن ينطق أحدنا ببنت شفة. و أخيرًا، وقف «كلي»، و فتح واحدة من النوافذ الكبيرة لتدخل إلينا نسمات الربيع الدافئة. ليس لأن ضيفنا المتهجم كان قذرًا، ولوّث الغرفة بالطريقة التي تحدث غالبًا في ولاية بافاريا بل لأن الهواء الجديد سيزيل شعورنا بالظلم ليس لأن ذلك الجسد النجس كان في الغرفة، بل بسبب شيء آخر، روح مسخ نجسة.

اعتدت على زيارة مصنع ميونيخ للأسلحة، بعد أن أتناول طعامي المفضل في مطعم «لونبروكلر»، كان ذلك اللقاء الثاني الآن، لم يكن قلقًا من أنه يمكن أن يُطرد، لذا لم يكن مضطرًا إلى ضرب حذائه بالسوط، كما كان يفعل في إجتماع «فرانكنستاين».فمن اللمحة الأولى يمكنك أن تلاحظ أن شعوره بانعدام الأمن قد تلاشى.وجعله هذا الأمر يبدأ مباشرة بواحدة من خطبه المسهبة. كنت أعاني بشدة، وجائعًا جدًا، لا أريد إلا أن أُترك بمفردي لأتناول قطعة من الطعام. ولكن بدلًا عن هذه فقد سكب عليّ كل الكلمات السياسية الموجودة في قاموسه. أعلم يا عزيزي القارئ أنك ستقدر فطنتي وكل مبادئي. لقد أصبحت السياسة الخارجية الألمانية سلسلة من عمليات السطو القانونية

وازدادت أنشطة قادتها لعمل سلسلة من الاختلاسات والتزوير والانتهاكات ليمكّنوا ذلك الرجل الصغير الانتهازي من أن يرأس كلًا من معلمي المدارس، البيروقراطيين والكتّاب المختزلين، الذين أصبحوا منذ ذلك الحين الداعمين الأساسيين لهذا النظام... كالزميل الرائع والسياسي الحقيقي جنكيز خان.

مع شعره الدهني الذي ينتثر على وجهه كلما تحمس في الحديث، كان منظره كالرجل الذي يحاول إغواء الطباخ. أخذت عنه انطباعا حولَ الغباء الجوهري، نفس نوع الغباء الذي يملكه صديقه «بابن»، ذلك النوع من الغباء الذي تتساوى فيه مؤهلات رجل الدولة مع مؤهلات تاجر الخيول.

ولكن هذا الانطباع لم يكن آخر انطباع، ولا أكثرهم دهشة. فكلّما فكّرتُ في الأمر، أجد أنني مغبون من الطريقة التي يلقي بها ذلك الانتهازي خطابه الديني علي، و يفرق بيني وبين قطعة السجق ولحم العجل الخاصة بي ويشعر بالنّصر كنادل حصل على بقشيش. وهذا الانطباع يشبه الصورة التي ظهر بها وهو يصافح «هندنبيرغ»، تمامًا كالنادل عندما يغلق يده بإحكام على البقشيش.

وفي اللقاءالثالث رأيته في قاعة المحكمة، كان متهمًا بإحداث شغبٍ في أحد الاجتماعات السياسية. في ذلك الوقت، كان معروفًا خارج مدينة ميونيخ.. ومن ثم رأيته في برلين، وهو في طريقه إلى فندقه وكان حينها مشهورًا. في المحكمة، كان منظره و كأنه يتوسل بطلب كلمة لطيفة من الضابط صاحب الرتبة الصغيرة الموكل بجلسة الاستماع. نظرة الرجل الذي كان مسجونًا لعدة مرات. وفي مرة أخرى، كان في طريقه إلى الحارس، يمشي بظهره المتصلب وكأنه ذاهب إلى مدير فندق ليطلب سلفة، وهو يعلم أنه سيرمى في الخارج.

ورغم توليه المنصب الآن، لم يحدث أي شيء جعلني أغير انطباعي الأول عنه منذ عشرين سنة. فالحقيقة الباقية هي أنه كان، ومازال يفتقد إلى أصغر

مقومات الوعي الذاتي والسعادة، فهو ببساطة يكره نفسه، فانتهازيته اللا محدودة في حاجة إلى إدراك. كما أنني أرى أن غروره المروع يرتكز على شيء واحد، ألا وهو محاولته دفن الألم الذي ينهش روحه.

هنالك تفاصيل إضافية، فقد قالت «ايرن هانفستنغل»، التي تعرفه أكثر مني، إنه أصبح يخاف من الأشباح بشكل متزايد. كما أنها تعتقد بأن هذا الخوف من أرواح أولئك الذين قتلهم قد جعله يتنقل باستمرار، ولا يمكث في مكان واحد لفترة طويلة... وكلامها يتفقُ مع كونه يقضي الليل دائمًا في حجرة العرض الخاصة به، حيث يضطر مشغلو ماكينة الأفلام المساكين أن يعرضوا له ستة أفلام بشكل يومي...

قد يكون ذلك صحيحا. فهو يثبت صحّة تشخيصي للأشياء.حتّى أنني لا أعتقد أن هذا الرجل عديم الأخلاق على وجه الخصوص، بل إنّ لقب المجرم الكبير جعله يكسب الكثير من الإحترام. فلو أن الحكومة الألمانية بنت استوديو ضخما، لدعت الصحف إلى القول إنّه أعظم فنان في تاريخ البشرية، ولتمكنت بهذه الطريقة من إرضاء غروره بشكل لا محدود، فأعتقد أنها بهذه الطريقة ستحوله إلى كائن غير مؤذٍ، ولن يخطر بباله مطلقًا، أن يضرم النّار في العالم.

كلّا، لا أصدق أنّ طابعَ شخصيّتِهِ يعودُ إلى بورجيا. أعتقد أن في هذه الحالة، كان الكبت وتفاقم المشكلات قد قاد إلى فشل ذريع مما أدى إلى انجراف البشرية وانغماسها نزوات التاريخ، وهذا سمح له بأن يلهو بعض الوقت في قلب السلطة، كما سمح «كليون» بأن يلهو بأثينا . وأنا أؤمن بأن هذا كله قد تزامن مع ساعة محمومة مع أولئك الناس. فهذا الشيطان السقيم الفار من جحيم «ستريندبيرج»، كما كان في بروكيلسون، تزامن في الوقت مع انفجار الأمة، فقد جاء مجسدًا لمعنى الظلام والكبت المحكم لرغبات الشعب، مثل

مونستر، الشخصية الفارّة من أشباح ألمانيا!

رأيته مرة أخرى عن كثب. كان ذلك خريف 1932، حيث كانت درجة الحرارة في ألمانيا في ارتفاع. كنت مع «فريدريك موك» نتناول طعامنا في «اوستريا بافاريا» في ميونيخ عندما دخل هتلر إلى المطعم وجلس إلى الطاولة المجاورة لنا، وحيدًا، و بالمناسبة، كان من دون حراسه المعتادين. جلس هناك، والآن هو صاحب سلطة على الألمان... جلس، وشعر أننا نراقبه، و نتفحصه بتمعن، و لهذا بدا عليه عدم الارتياح. فتجهّم وجهه مثل بيروقراطي بسيط غامر بالدخول إلى مكان لم يكن ليدخله، و لكن هاهو هنا، يُخدم لوفرة أمواله «أن تتم خدمته و معاملته بشكل راق كرجل ألماني نبيل... ».

هاهو جالس، كخُضار جنكيز خان النيئة، كشراب الكساندر غير المسكر، كوحدة نابليون من دون امرأة، كشخصية بسمارك المكروهة، ولو أنه جرب أن يتناول وجبة إفطار واحدة من وجبات بسمارك، لنام لمدة أربعة أسابيع. . .

كنت أتجول في البلدة، في سبتمبر 1932، كانت الطرق قد أصبحت غير آمنة تقريبًا، وكان بحوزتي مسدس محشو. كان بإمكاني أن أطلق عليه النار في ذلك المطعم المهجور. لو كان لدي مجرد شك في الدور الذي سيلعبه هذا النجس، وفي السنوات التي سيجعلنا نعانيها، لكنت قد قتلته من دون أن أفكر. ولكنني كنت أشاهده وكأنه شخصية من مسرحية هزلية، لذلك لم أقتله.

لو أنني قتلته، لكنت قد فعلت خيرًا، في المجلس الأعلى وفي حياتنا البائسة التي نعيشها. لو أنهم أخذوا هتلر في ذلك الوقت وقيدوه على سكة الحديد، لخرج القطار عن السكة الحديدية قبل أن يصل إليه. ولكن حينما تحينُ ساعته، ستأتي نهايته من جميع الطرق والأماكن التي لا تخطر ببالك. هنالك الكثير من الشائعات عن محاولة اغتياله. ولكن كل المحاولات تبوء بالفشل، وستستمر

بالفشل. لسنوات (وخصوصًا في هذه الأرض، أرض الشياطين) فعلى ما يبدو أن الرب نائم. ولكن تقول حكمة روسية: «عندما يشاء الرب، حتى المكنسة قد تطلق النار!».

مايو 1937

انتشرت في أرجاء ألمانيا تقارير تؤكد على فضيحة سياسية. وأصبح «بوتزي هانفستنغل»[20]، سليل عائلة دار ميونيخ المشهورة للنشر، والطفل المدلل للنازية، غير مرغوب فيه. حدث الأمر بسرعة. ففي أحد صباحات فبراير الباردة، حجز طائرة متجهة إلى إسبانيا. وفي منتصف الرحلة، أصبحت الطائرة تتمايلُ بشكل عنيف لتلقيه خارجها، وعندما فشلت محاولتهم، أنزلوه في مكان ما في غابة «ثورنغيا» وسط عاصفة ثلجية قوية، حيث كانت درجة الحرارة عشرة تحت الصفر، وهو يرتدي بدلة رسمية. عاد إلى برلين، ووجد أن مكتبه قد أُغلق، لقد كان مسؤول الصحافة للإعلام الأجنبي. كان السفير الإنجليزي السيد «إيرك فيبس»، الذي تدخل من قبل في الانقلاب على «روم» بطلب من «برونغ» و«تريفيورنوس»، رئيس الوزراء، قد ساعده ليهرب إلى انجلترا.

على الأرجح أنّهُ كانَ السبب وراء هذه الطريقة لجعله يتنازل عن منصبه، وقد قيل إنّ «هانفستنغل» يحمل نزعة انتقادية حادة تجاه التدخل القضائي الألماني في إسبانيا، أيضًا شركة الأفلام الموجودة في أرضه المخالفة في إقليم

(20) . إن الاسم المستعار لـ"ايرنست هانفستنغل" هو "بوتزي" ويلقب به منذ طفولته. كان يعمل رئيسًا للصحافة النازية الأجنبية. كانت الأحداث التي رواها عن رحلته من ألمانيا مشابهة لما أخبرنا به "ريك". مع بعض الاختلافات البسيطة: فعلى سبيل المثال، لم تكن والدته ذات الثمانين عامًا هي من تم إرسالها إلى إنجلترا لمساعدته، بل تم ارسال مبعوث من قبل "غوريغ". ومن مؤلفات "ايرنست": هتلر، السنوات الضائعة، لندن، 1957.

«غوبلز». وثمة قصة أخرى تحكي أنه كان ثملا للغاية في إحدى مقاهي باريس، وبات يحكي بصوت مسموع عن علاقة «توكاجفسكي» بآخرين متورطين في محاكمة في موسكو وعلى علاقة بهيملر، وقد قاد ذلك إلى الكشف عن كل المؤامرة. على أية حال، أصبح «هانفستنغل»، الذي تناولت معه الطعام قبل عدة أسابيع، والذي أجده رجلا أنجليزيًا لطيفا ومهذبًا. فطالما أنه كان يعرف الإجابة عن ذلك الغموض الذي يحيط، أو بالأصح ذلك الغموض الذي يفترض أنه يحيط باحتراق «الرايخستاغ»[21]، فإن برلين تنتفض خوفًا. تم ارسال والدة «هانفستنغل» التي تبلغ من العمر ثمانين سنة إلى لندن لتحضره، ومعها خطاب حماية من الحكومة الألمانية، وضمان خاص من الهير «غورنج» غيابيًا...

الأمرُ شبيه بورطةٍ! فالهانفستيجل مقيدون بكل الروابط الاقتصادية مع الألمان، وكل ممتلكاتهم هنا، و هم على أتم الاستعداد لمواجهة أي حركة تقوم بها الحكومة ضدهم. لذا فقد ذهبت الأم، ولكن الإبن لم يرغب في لعب في هذا الدور، وأوضح أنه يعلم تمامًا أن كلًا من هتلر و«غورنج» عند كلمتهم. وقد قلص حجم المخاطر لهذه اللحظة.

تناولت الإفطار مع الهير «ارنو ريتشبيرغ»[22] في منزل الأخوات «بوتزي». كانت «ايرينا» قد خبأت هتلر بعد محاولة الانقلاب على النازيين في «فيلد هيرن هالي»[23] قبل عدة سنوات، ومن خلال هذا كانت لتحصل على لقب «راعية

---

(21) . لم يعد الألمان يصدقون بعد الآن أن النازيين يضرمون النّار الرايخستاغ. في كتاب نشر في عام 1962 عن النيران، يخبرنا به الكاتب "فرتيز توبايز" أن الإيرلندي "لوب" كان الشّاهدَ الوحيد عن النيران المشتعلة. كانت علاقة "هانفستنغل" في هذه الحادثة، هي أنه قد شاهد تصاعر الأدخنة والنيران المتصاعدة من نافذة منزله، و قد استعدعى هتلر في منزل "غوبلز".

(22) . كتب الإتحاد الفيدرالي الألماني سجل بعنوان (في ألمانيا) "أرنولد ريتشبيرغ ومشكلة التوجه الألماني إلى الغرب بعد الحرب العالمية الأولى".

(23) . إن المرأة التي حمت هتلر بعد فشله في تولي السلطة في التاسع من نوفمبر 1923 لم تكن شقيقة "هانفستنغل"، التي تدعى "ايرينا"، بل زوجته، "هيلينا". وقد تمّ إلقاء القبض على هتلر في منزل "هانفستنغل" في بافاريا بعد يومين.

الرايخ الثالث». ولكن الآن على أيّ حال، تستعر تلك المرأة غضبًا على غوبلز، وتتهمه بالحسد والحقد، كما وجهت إليه أصابع الاتهام في مشكلة قديمة كانت معروفة على نطاق واسع.

في نهاية خريف 1933، حينما كانت تعيش في فيلا معزولة تمامًا في إحدى ضواحي «هاوزن» شرق ميونيخ، كان أحدهم قد دخل بيتها حينما كانت في الخارج. ذهبت إلى الهير «هيملر» لتخبره بهذا، ثم بعد حين أخبرها بأن ذلك كان بأمر من مسؤول ذي مرتبة عالية جدًا، وأن ما كانوا يريدونه ليس رسائلها فحسب، بل حياتها. كما أنه قد أخبرها بأن ليس في استطاعته أن يفعل شيئا حيال هذا الأمر، ونصحها بأن تنتقل إلى وسط المدينة واستجابت لنصيحته، وأخبرتني بأن «غوبلز» هو المسؤول الذي أمر بتفتيش منزلها بسبب حيازتها على عدة رسائل كان قد أرسلها إليها هتلر. فهذه الرسائل قد تتخذ ضد رئيسه وسيده هتلر وتدفعه إلى خسارة منصبه أو منعهِ من السفر.

يا لها من قصة مدهشة، عندما نرى أن رئيسنا القزم العظيم هتلر يحاول جاهدًا أن ينال حب هذه السيدة التي تناسبه إلى حدٍ كبير: ف «إيرنا هانفستنغل» في مقابل هتلر، يمثلون نموذج البافاريين في ميونيخ.

وهكذا نحن نعيش في ألمانيا الآن.

بما أننا نتحدث عن «إيرنا هانفستنغل» الشابة البريطانية. كان اسمها «يونيتي ميتفورد»[24]، ومكانها المعتاد هو قمة «اوبرسالزبيرغ»، حيثُ يقعُ منزلُ هتلر. كان مرادها أن تصبح ملكة ألمانيا، وكانت غايتها أيضا، جلب الصّلح بين

(24) . إن "ينيتي ميتفورد"، إبنة العم من خلال زواج "وينستون تشرشل" وأخت زوجة "اوسوالد موسلي"، الزعيم الإنجليزي الفاشي، قد قيل في مراجع أخرى أنها قد تمنت أن يحدث هذا الزواج مع هتلر. قيل بأنها قد حاولت الإنتحار في حديقة إنجليزية في ميونيخ في عام 1939. وقد توفيت من التهاب في الدماغ في عام 1948.

ألمانيا وبريطانيا.

في غضون ذلك الوقت، كنتُ في برلين، قلب الاجتهاد في العمل والنشاط والمثالية كما يقولون. في رأيي المتواضع، أراها آلة عظيمة، تحدث أصواتًا هائلة ولكنها لا تنتج شيئًا.

لا أصدق أيًا من هذا. فأنا أعرف معنى «أن تعمل بيديك وقدميك»، وأعلم بشأن دفاتر المواعيد التي تسجل كل دقيقة للثلاثة أشهر المقبلة وتجدول الاجتماعات والمؤتمرات. أعرف كلّ شيء عن الإنتاج مهما كانت التكاليف. وعن اللهفة البائسة بعد السياسة الأمريكية الزائفة. هذا يظهر لنا الحياة كلها وكأنها جيش عملاق، وقد جلب لنا هذا الكره لكل العالم. فطالما أن هذه الدولة قد سمحت لنفسها بأن تمثلها هذه المدينة البائسة، فإننا سنذهب من كارثة سياسية خارجية إلى أخرى.

لا أعتقد أن هنالك دلائل تؤكد أنّ الناس في برلين يعملون بجد أكثر من أي مكان آخر. إنهم يملكون دوافع تاريخية ليبقوا في الطليعة، وربما تبدو تلك الحقيقة إشارة إلى أنهم بعيدون تماما كل البعد عن معرفة مدى فراغهم الداخلي. أعتقد أن هذا نفسه هو الخداع الكاذب الذي يحول سائق مملوك إلى «سيد مدير»، وحديقة الكوخ الخلفية لكل مشروع إسكان إلى «مقصورة حديقة»، وكل نقاش حول كيفية غش الزبون في شحنة شوربة مجففة إلى «مؤتمر».

إنّي أعلم ما الذي أثرى برلين فعلًا، وأعلمُ ماهي انتاجياتهم وماهو عملهم الحقيقي، فالعاملون في شرق برلين، هم سائقو الترام والشاحنات وسعاةُ البريد. أعتقد أنه ينبغي على سائق سيارة الأجرة أن يكون مثل الأب الذي يقلق على أطفاله، عندما أطلبُ منهُ مثلًا أن يوصلني إلى ضاحية ما، يحذرني بشأن تكلفة المسافة، وباندفاع روسيٍ اقتصادي ينصحني بأن نسلك الطريق... أوه،

أنا أؤمن بالصلابة الغاضبة لبواب برلين، أؤمن بذلك النوع من الفكاهة الموضوعة على أقدام التمثال الذي يلوّح بخنجره.

«هنالك غرفة لشخص واحد فقط في هذا الموقد»[25].

ما الذي لم أقبله نهائيًا هو هذا المتعفن المثير للاشمئزاز الذي مكث هنا منذ عشرين سنة... هؤلاء النساء بنظاراتهنّ الشمسية، بأفنية منازلهنّ الخلفية الواسعة، وبأثدائهنّ الكبيرة، يمثلن وكأنّهنّ سيدات... هؤلاء السادة المديرين مع دفاتر المواعيد خاصتهم. باختصار يأتي الانشغال والتسلط من تلك الكتب، محامون وبائعو يانصيب بحقائبهم المقفلة ثلاث مرات كموظفي السّفارة، في حين أن كل ما يهتمون به هو الثلاث شطائر الخالية من الجبن.

إن الشكل النموذجي لمدينة برلين هو الخداع. شكل خيالي لمدينة منعدمة الأمن سواءً بالأمور المادية أو العملية. فمتدربو الميكانيك الذين يتطلب عملهم أكثر من مجرد دقة في العمل، ينبت ريشهم فجأة ونجدهم يصنفون أنفسهم على أنهم مخترعين أو بناة. كأن يضعوا الجلد البالي المزيف في سيارات «كيدي»، ووظيفيًا يضعون مصابيح بأسلاك معطلة، وكانت هناك «ووظائف جديدة» تقوم على صناعة طاولات وأسرّة تفتقر إلى الجودة والصلابة، ومن ثم يدعونه بالمنتجات «الرومانسية» وهي أقل وأدنى من كلمة «غير عملي». والقليل من العناوين الزائفة الأخرى.

«بنية اقتصادية» والقمامة يدعونها «الحاجيات غير المستهلكة»: الملابس المصنوعة من الصوف الصناعي والتي عادة ما تكون غير دافئة وصعبة التنظيف، وسم الأفاعي ذلك المصنوع من الكبريت والسكر ويرسم على

(25) . "إنني لا أحصل على النقود هنا".

أوعيته رسومات شيطانية، ويباع في كؤوس كالنبيذ في مطاعم شرق برلين، النبيذ، ذلك الخمر الذي ينبغي أن يكون شكله ورائحته كالنبيذ الحقيقي، أن يكون قوامه وطعمه كالنبيذ، إلّا أنه لا يظهر على هذا الشراب أي شيء يدلّ على أنه نبيذ عدا الثّمالةِ التي يشعر بها الشارب صباح اليوم التالي مع دوار بغيض بسبب الشرب.

كلا، لا أصدق أن هنالك الكثير من المدن التي أضاعت وقتها في إعادة تنظيم البيروقراطية، والثرثرة من دون هدف، وإلقاء المواعظ، مثل برلين.

عندما تمّت دعوتي إلى «بابلسبيرغ» لعرض مخطوطتي، قال لي كاتب أفلام ذو سمعة طيبة، «رأيت سبعة رجال طاعنين في السن مجتمعين على طاولة كبيرة خضراء اللون، من الواضح أنهم كانوا جميعًا يعانون من ارتفاع ضغط الدم بحوزتهم علب من الأدوية قد وضعوها على الطاولة المجاورة لهم. هؤلاء السادة سُحروا بنصي. ومن ثمّ، بعد أن بدا لي أن كل شيء مستقر، خرج كاتب نص مسرحي مبتدئ من العدم واضعًا نظارتين دائريتا الشكل. فهذا النوع من الكتّاب يعرف حقًا ما يريد، فهم يدفعون مبالغ كبيرة لمحاولتهم إيجاد الأخطاء، فعلى الأقل يدفعون 300 مارك شهريًا.

نهض هذا الرجل ليقول بأن النص رائع، ولكن يمكن لاعترافه هذا أن يزعج تلك المجموعة التي تشرف على الشركة الألمانية للطباعة، فيبررون انطباعهم بأن هناك أجزاء من النص لن تكون مفهومة من قبل سكان المريخ أو موظف مدني أو الكتاب الذين تخرجوا للتو من الثانوية. كان الجواب أنه أيًا كان المقصد من تغطية كل الأمور الطارئة التي تحدث، فهي في الحقيقة لا تغطي شيئا، ليس له تأثير. أُعطي الرجال إشارة ليستيقظوا من سباتهم العميق لمحاولة اضفاء الشرعية، برواتب أعلى بكثير. كل واحد منهم يعصر دماغه ليضيف

«الآن، ومن جهة أخرى..» إلى النقاش. والآن ها قد بدأت قصة دورة الاجهاد العصبي لأسابيع من عقد الاجتماعات المليئة بأدخنة السجائر والاتصالات ووجبات الافطار، والأمر المعروف لجميع الكتاب الذين يعملون في استوديو «بيبلزبيرغ»، أن هذه الاجتماعات تنتهي برفض نهائي للنص الأصلي. ويتم تنقيح النسخة وإزالة كل ما لا يتناسب مع ذوقهم. تناسبًا مع مقولة «لماذا الأشياء سهلة في حين أنه يمكننا أن نجعلها معقدة بسهولة كما لو كانت محاولة للتحليق نحو القمر.

و أخيرًا ستزول كل المخاوف وتبقى نسخة مشوهة تفتقر إلى النتاج الفكري. عمّ الصمت لأخذ نفس عميق، ومن ثم تم التعليق. «بسيط، جيّد».

«تبدو هذه الحقيقة مقبولة في كل الاعتذارات، إذ تقدم مع صفعات قلبية رقيقة، وربما مع القليل من التجريح. الجزء السيء من الموضوع هو أن النسخة الأصلية قد ضاعت في وقتنا الحالي، وأن الأربعة أسابيع والثلاثة أشهر المتتالية التي قضيت لصناعة الفيلم، قد ضاعت بسبب نقاشات تافهة خلال تلك الأسابيع كان بإمكاننا انتاج العمل.

أليست هذه برلين؟ أليس هذا المسؤول الذي وضع خطًا تحت كل ما حصل في هذه المدينة البائسة خلال الستين سنة الماضية... المصانع والفنون، وبالطبع لا ننسى مؤهلات رجل الدولة؟

أخبرني الجنرال «ستافر» عن تجربة خاضها صيف عام 1917 في شبه جزيرة البلقان. قال لي: «في شهر يوليو، وكنا تحت ضغط عالٍ، إلى درجة أننا في بعض الأحيان لا نستطيع الوقوف، بعد انتهائنا من تناول طعام الإفطار بدقائق، تم استدعائي لإجراء مكالمة هاتفية، أنه المدير بنفسه. تعرفت على صوت «لدندروف». كنت أسمع صوته بوضوح رغم المساحة الكبيرة. مندهشًا من

سماع السؤال من سماعة الهاتف، آتيًا من خلف جبال الفوج والدانوب والراين، نزولًا إلى منحدرات جبال بلقان، وكان السؤال يتكرر مرارا:

«هل يوجد هنالك فراولة؟».

لا أعلم كليًا ما الذي كان يرمي إليه سيدنا و رئيسنا. كنت أفكر في ما إذا كان يحقق بشأن قائمة الطعام الاقتصادية لوجبات الإفطار الخاصة بنا، أو أنه كان يقصد أنه لم يعد موجودا أصلا. و أخيرًا، أدركت بعد التفكير المجهد ما كان يرمي إليه.

«كان قد سمع أن الأرض التي تحيط بمناطقنا المحاصرة مناسبة جدًا لزراعة الفراولة. إذ أنه كان قلقًا بشأن المستوى الاقتصادي لألمانيا، وفي الوقت نفسه كان يريد أن يوفر أعمالا مناسبة للعساكر الألمان الذين قد يكونوا كسولين، تخيل فكرة أن يجعلنا نزرع الفراولة، فتعود أرباح المبيعات إلى تعزيز رصيد البلاد من العملة الأجنبية. إن الاحتجاج على كوننا مضغوطين من قبل العدو ونحتاج جميع رجالنا الذين يريدهم أن يزرعوا له الفراولة، لم يكن لمصلحتي على الإطلاق.

«أخذهم بالفعل. وكان علينا أن نسحب العساكر الذين نحتاجهم في الجبهة ليقوموا بالزراعة. كنا نفعل هذا والشك يعترينا، فقد واجهنا مشكلات كثيرة لسد الفجوات التي أحدثها. وقد حصل على الفراولة خاصته وفي السنة المقبلة حصل على محصول وافر، و قد أصرّ على أن يتم نقله إلى برلين ومن ثم يتم تصديره إلى الخارج. كان المحصول من الدرجة الأولى فعلًا، ولكن عندما وصل إلى برلين أصبح متخمرًا ومتعفنًا وفاسدًا بشكل كلي. فقد تم شحنه عن طريق السكة الحديدية وتمّ وضه في حمولة ثقيلة. ولكن في النّهايةِ تمَّ رمي كامل المحصول».

وهذه هي حكايتي. تناولت اليوم طعامي في المطعم الإيطالي الصغير الواقع في شارع «انهالتر»، حيثُ رأيت أربعة من ضباط الكتيبة ذوي مناصب عالية، كانوا سكرانين كليًا، يصرخون على سائقي السيارات، كانت أشكالهم تبدو كشخصيات من أوبيرا فيردي، أو نوادل نابيليون. كانت الكلمة الوحيدة التي كانوا يصرخون بها، وفقًا للتحالف الجديد بين إيطاليا وألمانيا، «كولابوراتسيوني» والتي تعني التعاون ... فقد تكون هي الكلمة الوحيدة التي يعرفونها من اللغة الإيطالية. في نفس الوقت، كان خلفي مشهد آخر، ربما أقل وطأة من المشهد الأول، فقد كان مشهدًا حركيًا. في هذا المشهد، كان هنالك سيدتان من الطبقة البرجوازية، على نفس نمط النساء اللاتي وصفتهنّ سابقًا، كانتا في نزاع شديد على معطف سهرة كان قد وقع من خلف الكرسي على الأرض. وحينما كان النابليونيون يشاهدون مبتسمين، اتهمت واحدة من هذين السيدتين الأخرى بأنها قد أوقعت المعطف عن قصد. مرت الثواني بشكل بطيء جدًا، ثم نطقت: «أعتذر منك سيدتي، أنا امرأة ألمانية!».

وهذا ما يحدث في برلين.

في هذه اللحظة التي شعرت بها بالإنهاك والتعب من هذا الصخب والهراء الذي لا نهاية له، توجهت إلى غرفتي في الفندق المجاور لمحطة «انهلتر». كان أثاث المكان عبارة عن خردة من سنوات قبل الحرب، وورق الجدران سميك بسمك اصبعي. لو أني تجرأت هنا في غرفتي الصغيرة القابعة بالدور الرابع في حرارةالصيف، على أن ألفظ كلمة «لا !» بصوت أعلى من المعتاد، لأجابني صوت بلجهة بلقانية من أعماق الدور الأرضي:

«آه، ربما عليك التفكير مرة أخرى».

ونعود مرة أخرى إلى مدينة برلين. مدينة الصيّغ والصور النمطية. فالشيء

الوحيد الذي يزدهر هنا يكون مكون من أرقام، أعمدة، صيّغ، وأنماط. ومع كل هذا، هنالك فقر مثير للاشمئزاز، وهذا لا علاقة له بالبساطة، بل هو مجرد غطاء للوضاعة والغباء. إن الوضاعة و البخل هما شعارا هذه الأرض. حينما كنت لا أزال مرتديًا سروالي القصير، قرأت أن «فريدريك» أعظم رامي قنابل كان يرتدي صدرية لا يبدو شكلها كصدريات العتادة على الإطلاق بل كانت كمثلثات من الأقمشة الحمراء المحاكة لتقي صدورهم. سواءً إن كانت هذه القصة صحيحة أم لا، فأنا أرى مثلثات الأقمشة تلك في كل مكان ، بأحجام صغيرة و كبيرة. مظاهر وحيل، مع كل الأفكار العميقة ليصبحوا شيئًا مميزا، لماذا؟ لأن لديهم رغبة ملحة للسرقة والنهب وهذه خصلة متأصلة في كل أولئك الذين يعيشون بدناءة.

«ألمانيا لا تشبع، بغض النظر عن الشكل والمذاق، فهي تفتقر إلى الحياة المريحة والهادئة، فليس لديها إلا طموح واحد، أن تتقّدم أكثر. وعندما تحصل أخيرًا على أكثر ما يمكنها استخدامه، تضعه جميعًا في مكان واحد وتزأر على من يحاول لمسه! شعب من القراصنة، يشنون غزواتهم على أرض جافة ويقفون دائما مع سيدهم، لتمجيد الرب أو لزيادة الإيمان. ولهذا لا يعجزون إطلاقًا عن احتلال هذه الأرض».

هل هذا بيان الراين للاتحاد الفكري؟ هل هذا أسلوب البافاريين بأسلوب الدكتور سيغل؟ كلا، هذا ثيودور فونت، طالب بهذه المدينة كواحدة من أملاكه، بروسيا بور سانغ. يمكنني أن أشهد بنفسي هنا. فأنا أيضًا ذو أصل بروسي عريق، غير أن والدتي تنحدر من أصول أسترالية.

فكرت مرة أخرى. جدي (من يصبح كما كان جده؟ من أقوال هامسون)... كان جدي رجلًا محافظًا ومثقّفًا يعيش حياة متصوفة، يقرأ

كريستيان غارف وأكسندر فون هامبولت، وعندما وصل إلى الخمسين من عمره بات يقضي ما تبقّى من سنوات حياته في صيد الأسماك بكلّ طمأنينة. كان يمثل حياة المحافظين الصّادقين والأرستقراطيين الحقيقيين الذين سعوا في الأرضِ وسافروا إلى أماكن بعيدة، مشككين في كل شيء.

شهد ذلك الجيل حرب فرنسا وبروسيا، التي توجت بنجاح ذلك الجيش العسكري الرائع، ولكنها كانت الحرب الأشد فداحة من الحروب التي خاضتها ألمانيا، و هذا كسر القاعدة. بعد سلسلة من زيجات الأثرياء، الذين أمنوا أنفسهم بالمكانة الإجتماعية والثروة، وفتحوا لأنفسهم الطريق ليؤثروا على الحكومة بشكل لم يسبق لهم من قبل. إذ لم يسمحوا لأحد أن يعارضهم في إنجلترا طوال العهد الفكتوري، وحتى في فرنسا خلال فترة التجديد. كان يتم امتصاص الدواء في انجلترا من دون آثار جانبية، كان هذا يهتك بفرنسا، وقد ثبت أنه سم قاتل ينهش جسد هذه الدولة، التي في وسعها ويتوجّبُ عليها أن تبني نفسها على الزراعة والإقتصاد الزراعي.

وقف بسمارك عام 1853 أمام قبور قتلى 1848 قائلا: «لا أستطيع حتى مسامحة الموتى». ولكن مع مضي ثمانية عشر عامًا، في ساحة المرايا في «فيرسيلاس»، ساعد في صناعة الليبرالية الوطنية التي كان ينادي بها نفس هؤلاء الأيديولوجيين المهيمنين الموتى. وم...بالتالي، من خلال ندائه لتحقيق رخاء صناعي، كان قد قوض أسس الدولة التي أنشأها. «بولو»، وهي نسخة عن ذكرياته التي قرأتها مؤخرًا، حيث وصف تأثير سياسة «بسمارك» مع مقولة «لا يعرف الخياط ما يخيط»... وهو مثل يقال عندما يسلط ضوء عظيم على مأساة الرايخ التي تشكلت دون الأخذ بعين الإعتبار للشكل الجغرافي. إن هذا «طابع» (لإستخدام المفهوم الشبنلغري) هذا الشعب يتطلب تجنب الحيلة في

التوسع الصناعي والاستثمارات الكبيرة. لقد خيّبَ كلّ شيء آمالنا منذ أن أخذت الأوليغراشية البروسية الإستثمارات الكبرى لمصالحها الشخصية. وقد كان هذا مسؤولاً عن تدمير العلاقات المجتمعية الأساسية المفيدة جدًا للألمان، وجعلهم شعبا بلا وعي سياسي.

كانت العلاقات السياسية الجغرافية لألمانيا في ذلك الوقت مقصية خارجًا، والعلاقات السياسية الخارجية تزدهر بشكل ملفت لأجل سوق التصدير. النتيجة: الحرب العالمية الأولى، كانت «جغرافية» بشكل كامل.

حتى قبل هذا، كان هنالك سخرية كبيرة، عام 1840، عندما نشأ جيل كامل في أجواء النوادي الطلابية، و عندما رمى «جون» التراث الروحي في عمق البحر... التساهل القوي في أحلام العظماء، و تدمير الموارد الطبيعية التي لم نسمع عنها، تراثنا وأخلاقياتنا، فلسفة السماسرة، التي تجلّت في الستينات والسبعينات، التي حجبت عنّا كل الأفكار حول المستقبل.

لقد قاد ويليام مجتمعنا ليصبح مجتمعا غامضا، إذ يقود الرجال المتعلمون سيارات السباق، وموظفو البنوك التحقوا بالوظائف التربويّة، وأصبح المتدين مدمنا على أسهمهم... وهكذا فقدوا أنفسهم وسط هذه الفوضى، وأصبحوا بلا هوية كالبقية تحت تأثير تلك الراية الوحيدة التي يمكنها أن تجمع هذه التفككات المادية.. التي غرقت في عوالم الكهوف، التي أعتقد أنها بشرت بدمار الحضارة منذ أيام «كاراكالا». إن مثاليّة المجتمع اللاطبقي التي جاءَ بها هتلر أصبحت مفروضةً على المجتمع الألماني المشوّه. ولكنّني أعتقد أن الطبيعة، التي كانت منذُ بدايتها شكلًا مستقلّا، لم تكره شيئًا أكثر من كرهها لمن هم غير مسيَّسين.

أنا أكتب هذا في فندق برلين الهادئ والصامت كالمدفع. فيه هذه اللحظة،

أسمع حديث السيدة التي تقطن في الطابق السفلي والتي تدعى على الغالب «دولينسكي» والتي هي بالتأكيد من نوع النساء اللاتي وصفتهن سابقًا، وهي تصف تفاصيل طلاقها لصديقتها على الهاتف. فالنوافذ مفتوحة، وكل التفاصيل اللاذعة تنتشر عبر الهواء الهادئ الحار. أخيرًا، سواءً أردت أن أعرف أم لا، ولكن فهمت الآن ما الذي جعل السيد «دولينسكي» يهرب من بين أيديها. لقد سمعت، واستوعبت مدى شدة غرور النساء الألمانيات وتباهيهنّ، كما رأيت أيضًا بالأمس في المدينة... فوج من صاحبات الأقدام المتقوسة والأوراك العريضة، مبتهجين بقبح واجهة مدينة مغرمة بقبحها، عارضة كآبتها، ومؤكدة على شنّ حرب على كل شيء مريح وسعيد بالحياة.

مع دراستي للتغييرات الكبيرة التي حدثت في القرن التاسع عشر، ومع هذا الفوج من النساء اللاتي مازلن في بالي، أدركت أن هذه هي اللحظة، فقبل سبعة عشر عامًا، عندما كانت ألمانيا فخورة بالموافقة على جعل بروسيا المنظمة والقائدة، وتقريبًا قد فسد هذا وأكثر من ذلك بكثير، فقد ذهب هذا إلى آل «دولينسكي»، الذين يملكون المكان. إن بروسيا عبارة عن دولة تشكلت من مناطق صغيرة. ولم تكن مهيأة نهائيًا لتصبح دولة. ولتمسك بأجزائها المشكلة على ذلك النحو، كان على البروسيين أن يضعوا جلّ طاقتهم القوة العسكرية ... وفي النهاية، لم يصبحوا من الطبقة المتوسطة، ولا الطبقة الأرستوقراطية، ولا فئة حقيقية من المتعلمين، ومن ثم، بشكل مفاجئ أصبحوا يتبعون إختفاء حكم الأقلية الممزوجة من المخرب «كاشوب» الذي تم وصفه آنفًا، وهو قائد من النوع الذي إن رأى جماعة من المتشددين يبنون كاتدرائية، يصبح مشغولًا بنقش السحالي الخضراء حولها. إن نهر إلبه عبارة عن أخدود في الطبيعة مهم جدًا في تاريخ ألمانيا، وهناك أسباب جيدة لسبب كون أن هنالك أنواع من الطيور

والنباتات لا تتزحزح من يمين ضفة النهر إلى يساره. بالنسبة إليهنَّ، تجد أن من نهر الإلبه إلى فيستولا تنتشر آمال السيدات صاحبات الأقدام المتقوسة. وهنا، الأرضُ الخصبة التي يدور فيها السباق ويحوم فيها البكاء. إنها حاوية تمتص كل طاقات الرجال المكبوتة، الرجال الخاضعين لكل تعاملات الغش والسرقة التي باتت سمة بازة في هذه الدولة التي حكمها هتلر للسنوات الخمس الماضية.

إن هذه الرغبة الملحة تجاه الصدارة الإصطناعية الخاطئة، يمكن رؤيتها من خلال الزركشة الموجودة على سرج فرس ملوك بروسيا، على الجص المطروز بالذهب في قصورهم، بالإضافة إلى المطالبة، و الردع بالسلاح، ليقولوا لك أرجوك، إذا كنت تسمح، اقبل بكل هذا بقساوته وحسمه وكونه قانوني جدًا. هنا حيث تأصلت «المزيد، المزيد!» اللانهائية، وتأله الابتذال، وقدّسَ القُبح، فذلك الوثن العملاق الذي وضع مكان تمثال «رغبة هندينبيرغ الحديدية»، الذي علا عنان السماء أعلى من أشجار «كونيغس بلاتس»، ذلك المكان الذي يملك عينًا منتفخة من الكراهية تجاه كل من كان لديه حس إبداعي، عين لا تغفل عن مراقبة ممتلكات الناس، مستعدة على الدوام للسرقة، باتت تمهد لنفسها الطريق، لا لأن تصبح دولة متدينة فحسب، بل لتصبح الدولة الدينية لألمانيا، ومن ثم للعالم أجمع. وسيحققون مبتغاهم، طالما أنهم يستخدمون أسلحتهم ضد كل من تمرد عليهم!

تذكرت هذه القصة من عريف عسكري، أخبر جند المشاة الموجودين عند بوابة الكنيسة بألّا يضيعوا الوقت «بالجلوس هناك وأخذ غفوة» بل أن ينجزوا و ينهوا أعمالهم (من الهيكل إلى الأرغن ومن الكاهن إلى الخارج!) أي أن يستغلوا وقتهم لمنفعة أفضل بمكان آخر. شيء كهذا كان مقبولا طالما أن ملك «ماشيافالن» يستخدم الجنود بشكل كامل ورائع «لشرف السيف». ولكن

الجيش قد يكون في خدمة شركة «آي غي فاربن» الذي تشنّ حربًا على فكرة البناء الاقتصادي الألماني، وجوارب حرير الرايون، وتصنيع البدلات، في بلد تكسوه الوفرة والكثرة. أصبحت ألمانيا قبيحة وخبيثة ومركزا للكوارث في خمس وعشرين سنة فاصلة، اليوم الذي أسس به «بسمارك» الرايخ، وأصبح الشعب يُقاد من بروسيا المستعمِرة.

وهنا، لمست مركز المشكلة السياسية التي تؤثر على أوروبا اليوم. بعد حكم الأقلية البروسية التي أدركت مؤخرًا أن عليها مسؤوليات كبيرة اختفت، وكان رجال فرساي متهمين بالتعدي على النمسا بغباء شديد. وبعد هذا، كان كل ما يحتاجونه هو أن يجعلوا جشع بروسيا ليجتمع مع سياسة كوندوتيير والكارثة التي نعرفها جميعًا أننا جعلناهم فوقنا.

كانت المعركة المريرة في شمال ألمانيا في أوجها ضد النازيين ومعركة أخرى ضد البروسيين، والدفاع عن شكل الطبيعة الألمانية . قد تكون هذه مشكلة ألمانيا اليوم، ولكن غدًا ستكون مشكلة أوروبا ومن ثم العالم أجمع ليحلها. مر الوقت سريعًا لنصل إلى الفترة التي تحدد فيها ألمانيا إما أن يجعلوا أنفسهم جزءًا من هذه المشكلة أو أن تختار أخيرًا الدفاع عن نفسها ضد اجتياح بروسيا.

9 سبتمبر، 1937

على الأرجح أنّ ظهور «الغستباو» قد تزامن معَ وضع أساسيات الإدانة، بشكل مفاجئ في منزل عالم اللّاهوت ثيودور هاكر[26]، الذي كانَ يحملُ صحيفةً ويبحثُ في مخطوطةٍ. صادفَ أن أخذ أحدُ الرّجالِ الملف وهمّ بالقراءة فقاطعه أحدُ الحاضرينَ بطرح سؤال، فشعر الرجل أنه قد تمت مقاطعته، فوضع رجلُ الغستباو الملف جانبًا من دون قراءة.. كم كان «هاكر» بائسًا في ذلك الوقت، إذ لم يتحكّم في أعصابه على كلّ حال. لا بد أنه كان يرتعد قلقًا ويرجو انقضاءَ الثواني والدقائق بسرعة!

استغل أصحابي الفرصة ليحذروني من كتاباتي. كان إحساسي الداخلي يجرفني، بأن أتجاهل تحذيراتهم وأكمل كتابة ملاحظاتي، التي ستساهم في إثراء المحتوى التاريخي لفترة حكم النازيين. ليلة بعد ليلة، كنت أخبئ هذه التسجيلات في غابة في أرضي... كنت دائمًا أخشى أن أكون مراقبًا، فكنت أغيّر المخبأ باستمرار.

وهكذا نعيش الآن، يا أصدقائي الخفيين. هل تملكون أدنى فكرة، يا من رحلتم عن ألمانيا منذ أربع سنوات أو أكثر، كيف هو حالنا من دون وضع قانوني، هل تعلمون كيف هو الوضع عندما تكون مهددًا بالإدانة في أي وقت

(26) . نشرت يوميات "ثيدور هاكتور" بشكل مستمر من عام 1933ـ 1945 في ميونيخ.

من أيّ هيستيري يأتي؟

كم هو غريب أن أفكر فيكم، وغريب الآن أن أنصتَ إلى أصواتكم وهي تتردّدُ من أعماق المحيطات، أصواتكم الآتية من عالم قديم جدًا منذ أن تمَّ قمعنَا! كم هو غريب أن يحدث لي هذا في أماكن كنّا نتحدث فيها منذ بضع سنوات. أنا مشتاق إليكم رغم أن غالبيتكم كنتم خصومي فيما مضى، ومن الناحية السياسية كنتم مع الحزب الآخر. اوه، وأخيرًا، صدقوني إن هذا قمعٌ للمعارضة وحقّ الاختلافِ مهما كانَ نوعهُ، والنتيجة هي رتابة مميتة، وهذا يجعل الحياة هنا لا تطاق على الإطلاق.

لكنّك لن تفهمها في البداية مطلقًا. نحن الذين كنا أصدقاءك، كي تتصفّحَ الرّوابطَ التي كانت تجمعنا. أو هل لك أن تتمكن من استيعاب حقيقة أن السفر في رحلة جوية إلى المدينة أسهل بكثير من المكوث في هذا المكان الخطر، والخضوع لمراقبة البرابرة لك؟ هل ستتمكّنُ من فهم ما الذي يعنيهِ قضاءُ سنوات طوال بقلب مليء بالكراهية، أن تكرهَ وأنت منبطحٌ وتكرهَ وأنت منتصبُ القامةِ، أن تغرقَ في الكراهية لساعات طويلةٍ وأنتَ في حلمكَ. يحدثُ كل ذلكَ دون حقوقٍ تسنّها القوانين، ودونَ أدنى وسيلة تفاهم، من دون أن تقول«يحيا هتلر» لمرة واحدة، من دون حضور إجتماع واحد، عمومًا، تبدو هذهِ المسألةُ وصمة عار من القواعد الخارجة عن القانون التي ستبقيها مطبوعةً على جباهنا. هل سنوف نبقى نتحدث لغة واحدة عندما ينتهي كل هذا؟ هل ستبقى متماسكًا كما كنت طوال السنوات الماضية رغم توابع المدن المتحضرة... هل تعي أن الوحدة المميتة في حياتنا والهواء المسموم الآتي من سراديب الموتى الذي نتنفسه منذ وقت طويل جعل أعيننا لا تنظر بوضوح؟ ألا يمكن أن تزرعَ هذه الأعين الخوفَ من المسافة بعد اللحظة الأولى التي تعود بها؟

ماذا عن عالم أفكار عام 1789، ذلك العالم الذي يحيط بك، والذي مازال أساس حياتك وتفكيرك، كدليل حقيقي على أنّ الغضبَ يحملُ قشرةً تحميه؟ افهمني: نحن هنا نفهم جديًا أن دائرة المعارفِ بأكملها، التي تدعو إلى نهضة الإنسان المضطهد من قبلِ آلهتهِ ما هي إلا طريقة حيوية للعيش. لا تدع أحدًا يظلمني بتكبيل عينيّ إلى أن تتحولا إلى كوابيس أو هلوسات ناجمة عن ارفاع درجة الحرارة نتيجة الطاعون! و لكن أليس ما نواجهه الآن هو النتيجة النهائية لعام 1789؟ ألم تكن الطبقة البرجوازية، التي بدأت عام1790 رافضة مصادرة السلطة إرثها الذي تركه لهم الملوك عندما كانوا يصرخون بأعلى أصواتهم «فلتحيا الأمة»، تظهر وكأنها أكثرظاهرة غير سوية؟ ألم يتنبأ بالزاك بمأساة بروسيا وألمانيا على حدٍ سواء، عندما قال: سيأتي يوم ويسمع فيها البرجوازيون زواج فيغارو؟ ألم يعلن السيد جست منذ وقت طويل، إكتساح الشمولية للبلاد؟ ألم يصل غيردونيزم إلى الزهرة الأخيرة في كروبس، فوغلر، روشلنغ، وبسخرية، رمى جانبًا كل ما يعوقهُ، إنهم يجعلون من أنفسهم محورا لكل ما يخص ألمانيا، نقطة الأساس في المجتمع الألماني، المحارب غيروندزم، عديم الأخلاق، عدوا محلفا لرجال الدين، الذي انتصر في واترليو رغم أنه قد هُزم في ساحة المعركة؟

طالما أن النازية متورّطة، لن يتجرّأ أحد منكم يا أصدقائي القدامى، على مجادلتي عندما أقول إنه كانت هنالك أمة ألمانية عام 1500، ولكن لم تكن ثمّة قوميّة، فاليوم، في الوقت الذي تنفتحُ فيهِ أعيننا على بنطلونٍ يحتوي على علامةِ «صنع في ألمانيا»، نشعر بالعكس ثمّة قوميّة دونَ شعب. سنكون جميعا متفقين بكل تأكيد على أن هذه الحكومة البيروقراطية مع صاحبها هتلر المتطي ظهر

الحصان الذي يمسك به هير ثايسون[27] وأصدقاؤه، قد أحبطت كامل للشعب، ليصبحوا لا شيء سوى محاولة فاشلة لإطالة أمد القرن التاسع عشر...

أوه، كلا، لن يكون هنالك اختلاف عندما نتوحد مجددًا ضد الرئيس الألماني! ولكن هل سنكون متفقين عندما نبدأ بالحديث عن المستقبل؟ عليك العودة فقط من الحضارة التي ترتكز على الحاضرين. هل ستبقى مدركًا الوضع، أم أنك ستتراجع بشكل شديد عنا عندما نخبرك بما نراه؟

إن الحركة الهتلرية ماهي إلا علامة، تشير إلى اضطرابات عميقة وواسعة الانتشار في العالم. في المنطقة التي تحتلها البشرية، ثمّةَ عامل جديد مجانبٌ للعقلِ، مهّدَ مجددًا لبروزها.

هل يمكن، لهذين العينين اللتين فتحتا على هذا العذاب العظيم التّغاضى عن أزمات هذا العالم... عن الكتابات الموجودة على جدران قصورِ العقل البشري العاجية التي اعتقد البشر أنها غيرُ قابلةٍ للهدمِ؟ هل كانت العلوم الدقيقة على وجه التحديد التي هزت القواعد مجرّد صدفة؟ هل تقول قوانين الجاذبية الآن إن «الفيزياء المجهرية» صحيحة، فقط؟ وإن في آخر اختبارات سرعة الضوء، حوّل علماء الفيزياء الأرض، من تلك الكرة الصغيرة التي نعرفها بالأمس، إلى محور الكون؟ وأن رائحة الإفلاس في الخمسة قرون

---

(27) . كان صاحب المصنع الأول في ألمانيا "فريتز ثايسون" يدعم النازيين (ليحمي ألمانيا من البلاشفة). وقد عارض ألمانيا عندما أرادت البدء بالحرب عام 1939، وقد هاجر إلى سويسرا، ثم ذهب إلى ألمانيا وهناك تم إعتقاله من قبل الألمان أثناء إحتلالهم لفرنسا. في البداية وضعوه في مصحة عقلية في "مدينة بابل"، ومن ثم وضعوه في معسكر الإعتقال في "أورانينبيرغ"، ثم في "بوخنفالد"، ثم في "داخاو" على التوالي. كان انتهاء الحرب بالنسبة إليه ما هو إلا تغيير مكان سجنه: حتى أنه قد أعتقل من قبل الأمريكيين. وعندما أُطلق سراحه أخيرًا، سافر إلى الأرجنتين وتوفي هناك سنة 1951. ألف كتابًا يحمل عنوان "دفعت الثمن لهتلر"، و قد تم نشره في نيويورك وتورانتو عام 1941.

الماضية، جعلت الفلاسفة يظهرون بنظرية «إن صح القول» وهي أن يتم دعم القليل المتبقي ليدعم الوقوف وسط الأنقاض؟

أعتقد أن الروحانية العظيمة في البشرية تؤثر بشكل واضح على الحياة على سطح الأرض، وهذا إن تم الإستمرار في تحطيم سكانها، سيدمر الكوكب نفسه، و يحوله إلى أجزاء صغيرة بسبب هذه الكارثة الكونية. ولكن ما الذي أراه آتٍ، ليس كونيًا، بل تاريخيًا، إن الأمر الكارثي الأخير الذي لا مفر منه هو الأفكار الجماعية، الناس، وكل شيء يحدث هنا وأراه في الأفق بكل مخاوفه وبجميع وعوده.

ما الذي يمكن أن يعنيه هذا التفشي بالشعور من هذا الإفلاس الكامل، هذا الخوف الخفي والارتجاف الذي يشبه الشعور الذي يسبق حدوث العاصفة لهؤلاء الناس المنعدمي الروح؟ نحن نعيش بشعور كبير بالفراغ. في أي لحظة، متخوفين من هذا الفراغ ومن الفوضى المرعبة التي قد تجلب الطّوفان. رجل بضروريات مادية وجسدية، نشأ من رحم نفسه المتكون من الفساد و العزلة. فهذه الأشياء مهمة له كما الطين مهم للخنازير. ولكن ماذا سيفعل إن انزلقت شرنقته منه؟

ليس لدي أدنى شك في أن المعاصرينَ من كاركلا قد عاشوا في كسوف روحي مشابه. إنني مدرك تمامًا كم كانت خطوط النور ضعيفة وقصيرة ولم تسلط كفاية لتظهر الشهود الحقيقيين على هذه الإهانات والانتهاكات العميقة التي لم تمر على أحد من قبل. حاليًا، مع القنابل التي تمطر على إسبانيا التعيسة، كنت أقرأ مجددًا ريلكه وستيفان جورج... ثم أضعُ كلّ شيء جانبًا مرة أخرى وأنا مدرك أن كل شيء أحببته سابقًا أصبح باهتًا وملوثا من الهواء الذي نتنفسه منذ سنوات، مع ذلك فإن ريلكه صادق ومؤثر، يتعب فقط من التعامل مع

الكائنات الميتة، إلا أن جورج، في الضوء الأحمر السّاطعِ والمنبعثِ من عالم مشتعل، يستطيع ان يتجسّدُ في شخصية طموحة متكلفة.

ألم يكن الفنان الذي أكد على أنه يستطيع الآن تأليف سلسلة رباعية أو يبني كاتدرائية، يستطيع أن يكون شيئًا أكثر من مجرد كافرٍ بالأصنام، ويقفُ أمامنَا كرجل كاذب ومخادعٍ؟ باعتبارنا فنانين، ألم نكن جميعًا واقفين أمام الحائط، منتظرين تلك اليد الخفية بأن تظهر وتوجه الضربات إلى الحائط؟ وماهي الكلمات، «نهاية العالم »، كما كتب «دوستويفسكي» في كتابه قبل سبعين سنة، ولكن في الوقت الحالي نجد أن هؤلاء الفرسان المتوحشين يسلطون عذابهم علينا، ويتنبؤون بخيبتنا؟

كلا، أنا لست مؤلفًا، والإيمان القوي بقوة الحياة تجعلني أصدق أن الكارثة التي تحدثت عنها سابقًا ستكون واحدة فقط من الكوارث الأخرى التي شهد عليها هذا الكوكب. وأخيرًا، علي أن آتي بخاتمة تجسد هذه الحياة، وهذه الكوارث التي بدأت منذ عصر النهضة، والتي اكتمل عملها في هذه السنوات الأخيرة، والتي دمرت التوازن بين العقل والجسد، فمن دون هذا التوازن بين العقل والجسد تكون الحياة على الأرض مستحيلة.

أخبرني الأطباء الذين شاهدوا الرياضيين في الأولمبياد المقدسة في السنة الماضية أن اضطراب الدورة الشهرية لدى الفتيات والقصور الجنسي المنتشر لدى الرجال كان على ما يبدو يظهر نشاطًا لا حدود له لهذا الجيل الرياضي الذي ينطبق عليه المثل القائل (ربما لست من الأبطال، ولكنّني من متابعيهم). لا يوجد إثبات أفضل من هذا، الاضطراب الناشئ عن تحويل القلق إلى أعراض جسمانية يدمر الحياة. كما أن الغاز الذي يعد المشغل الأساسي لكل المحركات، قد أسهم في الفساد الداخلي للبشرية أكثر من الكحول نفسه.

مع جلّ احترامي للرجال البسطاء، الذين يرتدون زيّ ملازم الشرطة أو عادة ما يكونون في هيئة أستاذ جامعي ، أكثر مما تراهم في لباس العامل العادي، تلك الفئة من الناس مع أسلحتهم المتفجرة، وجيناتهم الفاسدة وخلاياهم غير المستقرة والتي تشبه فقط الخلايا السرطانية. خلال مائتي سنة، انكمشت روما الصاخبة إلى أن أصبحت في حجم بلدة ريفية، وقد ضاعت نصف الهياكل الضخمة في الميادين العامة داخل حقول القمح.

إن التكنولوجيا والإنتاج الميكانيكي يعتبران شيئًا أساسيًا في تكوين الرجل البسيط الذي لا يتأثر بانقلاب الأدوار في هذه الحياة التي نعلم أنها حصلت معَ المآسي القديمة... إن البيروقراطيين المزايدين الذين يرسلون استبيانات لا نفع لها إلى مناطق مصابة بالشلل والتي لا تزال منتجة لن يتجاوزوا تلك المناطق، خاصة أنها ترفع شأن المصانع «الوطنية» في الأسواق المذكورة آنفًا فهي ستجعل من المستحيل على الأسواق الأوروبية أن تصدر الفائض، وسيصبح من المستحيل أن تحافظ على نسبة الإنتاج والتكاثر الذي يشبه تكاثر الأرانب.

ولكنني مازلت لا أفهم كيف أن بعد كل أشكال الإفلاس وظهور كل هذه المفاهيم الجديدة التي أتوقعها، تجنّبت التكنولوجيا والإنتاج الميكانيكي السقوط في الحضيض، أو على الأقل أن يخرجَا إلى هامش الحياة. فقط هناك «آدم الجديد» البربري والذي يملك جلدًا أبيض بالصدفة، يستخدم اليوم كل هذه الأجهزة غير مكترث بحماقته. لم يتصور أنه يجب على أحدهم أن يجدد العالم الفكري وما تقوده هذه التكنولوجيا من خراب ، فقط الرجل البسيط يمكنه أن يتوجس من قابليته للتدمير. وليحافظ هتلر على وجوده، يكون هذا الشيء المؤذي ملجأ له في الحياة. أي عدد من الحضارات العظيمة قد تكون تحت الأنقاض بسبب رجل واحد في هذا العالم، يكون المحرك رباعي الاسطوانات وسيلة للخلود. وفي

الجو، الممتلئ برائحة العرق، تتوسّعُ معلومات الانسان باطّرادٍ من قبل فلاسفة الطبيعة من العصور الوسطى إلى أحدث أساتذة الكليات. وإن كان بإمكاننا أن نعمل على أن نحيا حياة طويلة، سنصل إلى الهدف -شكرًا لهذا التقدم المتواصل من البشر عندما يأخذ أستاذ آخر سرّا سماويًا آخر من الإله.

يرى «أورتيجا واي غاست» أن شباب اليوم يأخذون بعين الاعتبار وجود الراديو والمحركات الكهربائية كعلامة واضحة على الانعزال عن الواقع. وقد اقتبس بشكل رائع من العالم ويل، «إن عدم المبالاة لجيل واحد قادرة على تدمير المناخ الفكري الضروري لبقاء التكنولوجيا».

هل من الممكن أن يتم تجاهل حقيقة هذا الجزء من المرحلة الأخيرة لتكوين الثقافة، وأيامها المفعمة بالقوة، والتكنولوجيا المهددة في حدّ ذاتها من قبل بعض الرجال؟

يشتري الرجل البسيط المنتجات التكنولوجية بغفلة شديدة، من دون أن يكشف عن نفسه، أو حتى يهتم بالعمل الجبار الذي جعل هذا الشيء حقيقة - إن الرجل البسيط أخ بالدم مع الرومانيين في أيام كاركلا، الذين كانوا متوجسين من طريقة حياته المرفهة- ولكن لا يتمكن من أن يوقظ نفسه من هذا الكسل حتى يحافظ عليها من السقوط والتّفتت.

أنا لا أصدق أن لدى «آدم الجديد» أسوأ فكرة وهي أنّ وجوده يعتمد بشكل كلي على هذه المنتجات التكنولوجية. لدي إعتقاد بأنه حتى في بداية نهاية العالم سيرغب بشدة في أن يعرف كيف ستتدبر الحكومة أمرها في وضع جدول مباراة كرة القدم التي ستجمع ألمانيا والسويد. إن نهايته واضحة بالنسبة إلي ولا يمكن تجاهلها. إن الحرب العالمية الثانية القادمة ستكون بداية النهاية، نهاية العصر الذي تكون فيه العقلانية مسيطرة، وسيكون ميراث الذين يعتقدون بأن

الأرض مازالت قادرة على تحمل أجيال جديدة سيكون شكلا آخر للحياة يرتكز على اللاعقلانية.

هذا ما سيحدث، وهذه الجماهير المحكوم عليها بالفشل، ستبذل قصار جهدها لتحطيم كل من لا يشبههم بسبب اختلافه عنهم ببساطة. في ألمانيا، حيث يكون نظام هتلر الذي يحث على إطالة وجود البسطاء، سيكون الهدف هو تلك النخبة التي آذت ذلك النظام بشكل أكبر مع «لا» المبدئية من كل سياسة شامبرلين من الإرضاءات الضعيفة والسيئة. أعتقد أن شهادتنا، ذلك القدر المحفوظ لكتيبتنا، هي تكلفة ولادة الروح من جديد، ومن أجل تحقيق ذلك، لا يمكننا أن ننتظر أشياء أفضل من حياتنا التالفة على هذه الأرض، إلا أن نقول ربما هذا معنى لطريقة موتنا.

أنا، الذي وضع هذا، أعرف في قرارة نفسي أنني لست خائفًا من الموت بشكل مبالغ، وأعرف أيضًا أن كل هذه الإفادات الكبيرة ستعود عاجلًا أم آجلًا إلى الرجل الذي صرّح بها، وسيتطلب هذا إنجازا للوعود المقطوعة... ولكن لا يمكننا أن نسترجع الحياة التي شاركناك بها، الحياة التي ستعيشها بشكل مغرٍ عندما تعود. لقد عانينا جدًا حتى نصدق أكثر أنّ ما نراه هو أن الأساسيات يمكن أن تذهب في أي اتجاه سوى أن ترمى في قاع وادي الحسرات. لم تفتح لنا أبواب جهنم من دون أي سبب، ومن قد رآها مرة، لن يستطيع أن يستدل على طريق العودة إلى حفلات الشراب الأرضية. لقد تذكرت مؤخرًا ذلك الشاب من جماعة هتلر عندما رمى الصورة بالطريق وهو يصرخ «هنا مكانك أيتها اليهودية القذرة!» وقد تم إخباري عن هتلر نفسه، وكيف أظهر نفسه في تجمع للغوغائيين في بيرشتسجادن، وبعد حين حينما كانت النساء يبتلعن الحصى من تحت قدميه. اوه، إن أكثر شيء مشين في كل هذا أنه لم

يكن يملكُ جسدًا جميلًا ولم يكن مشبعًا روحيًا، بل كان شخصا عدوًا للمسيح، وكان كل شيء فيهِ يدل على أنه من أعداء المسيح وينتمي إلى الطبقة الوسطى...

اوه، لا يمكن للرجل أن يكون أشدّ سفالة من هذا. إن هذه الجماهير التي أرتبط بها بالجنسية، لم يكونوا فقط غير واعين بهذا الانحطاط، بل كانوا يطالبون بأن يصبح الجميع على نفس الدّرجةِ من الإنحطاط، وبنفس طريقة ابتلاع الحصى، بنفس مستوى الانحطاط.

عندما عدت إلى المنزل، رجعت إلى دوستويفسكي، الممنوع في ألمانيا فقط. قرأت مجددًا رواية «الشياطين» كانت الكلمات تقال على لسان بيتر ستبموفاج، إبن زوجة الجنرال:

(كل العبيد متساوون في عبوديتهم. الفرد ينتمي إلى الجميع، والجميع ينتمي إلى الفرد، و الشيء الرائع في الأمر هو المساواة. لنبتدئ بمستوى التعليم والعلم والموهبة فهي منخفظة. فالمستوى العالي من التعليم والعلم ممكن فقط لأصحاب الذكاء العالي، وهؤلاء غير مرغوب في وجودهم. **فدائمًا ما يصبح أصحاب الذكاء المرتفع طغاة ويملكون السلطة**. فلا يمكن للأذكياء أن يقاوموا فكرة أن يصبحوا طغاة، وغالبًا ما يكونون مؤذين بشكل أكبر من كونهم جيدون. سوف يعاقبون أو يسجنوا حتى الموت. فسوف يقطع لسان شيشرون، وتقلع عينا كوبرنيكوس، ويرجم شيكسبير. نزولًا إلى الثقافة. لدينا ما يكفي من العلم. نحتاج التربية أولًا. إن الشيء الوحيد الذي نريده من هذا العالم هو التهذيب. إن الطريق إلى المعرفة هو طريق أرستوقراطي سوف يدمرنا، سوف نوظف مدمني المسكرات- أصحاب سمعة سيئة- جواسيس. سوف نخنق كل عبقري منذ صغره. وسوف نحد من القواسم المشتركة! مساواة تامة، خضوع مطبق، فقدان كامل للحرية، البابا فوق الرؤوس، ونحن محيطون به...

جيل واحد أو إثنان من المذلولين لهما أهمية الآن، إنهم متوحشون، خسيسون ومنحطون إلى درجة أن الرجل يتحول إلى كائن كريه، قاسٍ، وأناني. سيكون هنالك حزن لم يشهده العالم من قبل. سوف تكتسي روسيا بالظلام، وستبكي الأرض لعودة آلهتها القديمة...

إن دوستويفسكي محقّ في أنّ نهاية العالم قريبة. إنها النهاية، حتى وإن كانت نهاية عالم واحد، عالم الأمس صاحب الدّموع المنهملة واللعنات المتتالية.

9 سبتمبر 1937

أمضيتُ عدة أيام في قلعة «**هوهينشوانكا**» ضيفًا على الملك[28]. وبعد حديث طويل استمرّ حتى المساء، حاولت الذهاب إلى غرفتي الموجودة في جناح بعيد مخصّص للضيوف، كنت أفكر وأنا أمشي خلال الدهاليز والممرات، أعلى وأسفل السلم، غير قادر على إيجاد مفاتيح الأضواء على هذه الجدران الغريبة، وانتهى بي المطاف وقد ضربت قدمي في عتبة الدرج فاضطررت إلى الانتظار وأنا أرتعد من البرد.

سرد لي مضيفي كل أنواع القصص: بداية من حامل السيجار الثلاثي الذي يحمل ثلاث سجائر هافانيّة من التي كانَ بسمارك يدخّنها. وكيف كان يستطيع من خلال تدخين ثلاث سجائر دفعة واحدة أن يدفع سحابة هائلة من الدخان بالطريقة التي يريدها، وكيف كانت شهية القيصر العجوز المفتوحة أثناء تناول وجبة الإفطار معهم، كان ذلك قبل فترة قصيرة من السنة المصيرية عام 1888. وأخبرني أيضًا عن الأيام الكئيبة والصعبة التي واجهها خلال الحرب العالمية قبل السقوط بفترة قصيرة... في ذلك الوقت، في سبتمبر 1918، انكمش عدد الجيش إلى النصف، وكان لدى الطيارين والجيش مخزون كاف من الوقود تحت تصرفهم.

وفي النهاية، أراني صورة للسيد غورنج في بريلنر تسايتونج، صورة في مكتبه

(28) . إن "الوزير الملكي" التي كتبها "ريك" تعني وصي عرش بافاريا الأمير "روبريشت".

مع امرأته، الآنسة سونيمان سابقًا. كانا واقفين أمام جدار هائل مليء بالزخارف التي كانت جزءًا من مجموعة ويتلسباش الخاصة، التي سرقت منها تحفة اليد القصيرة تمامًا كباقي الأشياء في هذه الصورة: الخواتم الضخمة في أصابع سيد المنزل والعقود والأقراط التي ترتديها زوجته. تكلمنا عن أصول هؤلاء الناس الأنيقين، إبن النادلة زوزنهام، الذي لم يحصل على قبول في الكلية العسكرية في ولاية بافاريا. كان برنامج الكلية بين أيدي أولياء العهد ومن ثم تم إرساله إلى بروسيا. والآن، مع ذلك المعطف الرائع ذي الأكمام، كان للهير غورنغ نسب قديم يلتقي مع جنرال ويستفالي أوائل العصور الوسطى. من الواضح أنه كان مختلًا عقليًا، والآن هو يأخذ نفسه ليصبح ملك بروسيا. إن أحد معارفي ممن أُتيحت لهم الفرصة ليذهب إلى كورن هول مؤخرًا، شاهد لوحات من الخزف الصيني معلقة على أبواب السائقين، مكتوب عليها أسماء المرافقين للسيدة سونيمان، الوصيفة الأولى، الوصيفة الثانية، وهكذا.

ولكن هكذا هم جميعًا مع بعضهم البعض، هكذا تمامًا. هكذا تتصرف الطبقة الحاكمة، يرتدون معاطف ذات أكمام طويلة، يشكلون نسبًا أكثر من رائعة لأنفسهم، ويختارون مساعديهم من نبلاء شمال ألمانيا، ممن يتجمهرون خلفهم تمامًا كهؤلاء الذين كانوا يتجمهرون خلف بوكسلون. أصدر هير غورنج مرسومًا على أن تلقب زوجته بالسيدة. كان لدى الهير غوبلز بعض الأمراء الرثّين من الطبقة الوسطى للعائلة الملكية، ليشتري منهم إجلاله، وحتى الهير هيملن الذي كان يأخذ حق أتعابه ليوفر لنفسه حياة بسيطة، كان يجب عليه أن يملك خادمًا ملكيًا من ضمن حاشيته. ولكن الأسوأ هم النساء، النادلات اللاتي ذكرتهم آنفًا، أغلبهنَّ كنَّ ممن مررنَ على أيدٍ كثيرة، هاهنّ الآن يضطجعنَ مع جواهرهنَّ المسروقة من العوائل النبيلة، ولكنّهن مازلن غير قادرات على

إزالة هالة المطبخ التي تغطيهنّ. يضعن مساحيق التجميل ليصبحنَ شبيهاتٍ بشيء بين نجوم الأفلام والمومسات، وهنّ يمثلن أمام المحكمة: كيف يحدث، فورا غوبلز، وأن أطلب ثلاث سيارات رسمية لتكون تحت تصرف زوجك، وهو مخول له أن يأخذ اثنتين فقط؟

ولكن هذه هي طريقتهم. الثوريون، وأولئك البرجوازيون الأنذال الذين لا يستطيعون أن يخلصوا أنفسهم من أطواق الكلاب التي ارتدوها بالأمس، أولئك الذين يجلسون على طاولة ملوكهم المخلوعين.

في طريقي إلى المنزل، سمعت آخر فضيحة. في أول سنة لهم في السلطة، أعلن النازيون أنّ المبازرة هي حق مشروع لجميع الرجال -كتمديد لفلسفة عام 1789- ولمزيد من البهرجة، أعلنوا أن كل فئات المجتمع لديهم موافقة دولية لهذه الطريقة في حل الاختلافات. أي اختلاف في وجهات النظر بين الخادم والسيد في طريقة صبغ الحذاء يمكن أن يحل بالمسدس. ولكن المبارزة الأولى التي حدثت تحت قانون الإعفاء الجديد، أردت واحدًا منهم قتيلًا -من خلال القانون القديم، ليس أسوأ من الكثير. كان السيد رولاند سترانك، صحافيًا من العيار الثقيل الذي تجاوز المستوى المعتاد من الأساتذة على حد معلوماتي، أنه كان رجلًا كريمًا وصاحب مبادئ.

اكتشفت في يوم ما أن زميلًا كان عضوًا في الحزب، جاهلا وصغيرا، كان قد استغل إحدى الخيام النازية لمآرب جنسية متهورة، حيث أنه قد نام مع إبنة سترانك. تم استدعاؤه ومن ثم أُردي قتيلًا. وقد تم إيقاف قانون المبارزة[29]. كثير من الأمور الآن أصبح يعاقب عليها القانون بالسجن.

---

(29) . تحدث هتلر عن حظر المبارزات وعن قضية "سترانك" في وقت لاحق. يمكنك أن ترى هذا في كتاب (محادثات هتلر الرسمية) 1941ـ1942، حرر بواسطة هينري بيكر (بون، 1961).

كان لدي خلاف بشأن هذه السياسة مع«كليمنز فون فرنكنستاين»، الذي كان متشككًا. وها قد انتهيت الآن من «حدث افتراء»، وهي رواية إنجليزية تتحدث عن اثنين من فرسان الشرطة يسعون إلى تعويض الخسارة من خلال المقامرة بالملاكمة أولًا، ومن ثم ينقلان هذه المشكلة إلى المحكمة، من دون تصرف ضباط الشرطة، وكذلك من دون الكاتبة، «ماري بوردن»، في منحها هذه التحفة الفنية للقرّاء غير المتحدثين باللغة الإنجليزية وشد انتباههم لمعرفة من هما الشخصيتين الرئيسيتان في الرواية.

الآن، أنا بعيد جدًا عن أنّي مدافع عن ذلك الطالب الأحمق المعروف والمراق دمه، ولكني لا أستطيع حقًا أن أتجاهل الحقيقة أنّهُ منذ 1918، يعد قانون المبارزة اختراقا لكل معايير الشرف. فالآن، أي شخص معتدٍ لا يخشى من العواقب الوخيمة كما في السابق، وهذا لم يبدأ مع النازيين. أرجوكم، لا أريد لأحد أن يجيبني بالاعتراض القديم الذي يظهر بشكل عام كالكذبة. عندما تأخذ الجاني إلى المحكمة، يكون الأمر كأنك قد أعطيت مجرما صغيرًا أكثر مما يستحق، وعندما وصل الأمر إلى رفع قضية التشهير بشرف العائلة وأكثر الأمور خصوصية، يكون القتل أمرًا أكثر انسانية من أن يتم تسخير قصص الجرائد والمجلات عن حياة الناس الخاصة، وشن التحديات بين الثرثارين في الشوارع. وقد شهدنا تراجعًا مروعًا في العادات عند الأوروبيين خلال الثلاثين سنة الماضية. علينا أن نحذر من عدم التراجع أكثر.

في طريقي إلى المنزل، مررت بميونيخ، المدينة التي تجنبتها منذ أن احتلها البروسيون، كانت فريدة من نوعها في يوم ما! منذ وقت ليس ببعيد، كانت المروج المحيطة بالمدينة لا تلمس، حتى أصبحت الأرياف الممتدة تشعر المرء بالسلام، بشكل مختلف عن كل مناطق ألمانيا الأخرى. كل هذا تم تدميره

بواسطة نيرانهم ومخلفاتهم، من خلال تقطيع أشجار الغابات لمد خط سكة حديدية، ومخلفات المنشآت الصناعية الوحشية، وتصرفاتهم البربرية، فهم غير قادرين على فهم أن بعض الأشياء لا يمكن تعويضها. لم أعد قادرًا على تمييز ميونيخ، التي كانت سابقًا المدينة المثالية الروحانية التي تغمرها السعادة. في الحقيقة، لم تكن مدينة كبيرة، بل كانت بلدة وأرضا للفلاحين والمزارعين. أما الآن، فهي ممتلئة بالنساء صاحبات الأوراك العريضة، زوجات البروسيين البيروقراطيين الذين اجتاحوا بافاريا، وهم يدفعون عربات أطفالهم بالقرب من واجة مبنى مليء بالزهور، وفي كل مكان في دهاليز الفندق تسمع قرع أقدام أحذية رجال الشرطة. لقد تراجعت شركة هوف ثيتر السياحية خلال الثلاث سنوات الماضية، منذ استقالة فراكنستاين، حتى أصبحت في المرتبة الرابعة. انتشار الشقراوات في كل مكان وازدحام الفندق بزوجات مديري المصانع الألمانيين الشماليين، والحمالين المنتشرين في كل المخارج والمداخل، تجعلك تبقى متذكرًا بأنهم على موعد مع العصابة النازية. كلا، لا أريد أن أرى المزيد من هذه المدينة التي أفسدها البروسيون البربريون إلى أن يتم تحريرها.

حين تمّ اختيار مدينة هوفغاتن المنعزلة، حيث أراد هتلر أن يبني أكبر دار أوبيرا في العالم من خلال إزالة الأروقة ولوحات روتمان، كان الرسام زيغلر يشير إليّ[30]. و قد تم تعيينه بواسطة هتلر«لتنظيف التراث الفني الألماني من الانحلال»، وهل هنالك مثل الرئيس من بين كل الفنانين الألمانيين، رجل لا يملك مؤخرة لرأسه. فقد امتلك مسمى «سيد النساء الكادحات»، فقد تم منحه هذا المسمى من قبل أصحابه على ضوء ميله إلى هذا النوع من التمثيل.

(30) . "أدولف زيغلر" الذي منحته النازية الميدالية الذهبية، وقد أُعطي لقب أستاذ الفن في أكاديمية ميونيخ من قبل النازيين عام 1933، ثم أصبح رئيس غرفة الفنون الألمانية.

وهذا ما يحدث في ميونيخ. إن الشعور العام في متابعة المنهجية البروسية تظهر أنّهُ لو كانت هذه الأحداث في عصر ريجنت العظيم منذ ثلاثين سنة، لكان أنهاها على الفور. إن مناطق هايدهوسن المعزولة وغايسنغ، التي تعتبر نسخة ميونيخ الحية ذات الطبيعة الخلابة، كانت في إحدى الأوقات مكانًا غير آمن بسبب مجموعة من المراهقين الذين كونوا عصابة تحت شعار «المرساة الحمراء»[31]، الذين أنشؤوا حملات إرهابية ضد كل من كان يرتدي لباس النازيين. شريطة ألّا ينتهك أحدهم إحدى المحرمات ضد من كان يتحدث لهجة ألمانيا الشمالية، فكان يستطيع أن يجتاز غايسنغ بسلام مرتديًا معطفًا من الفرو وقبعة، ولن يصاب بأذى فأصحاب المرساة الحمراء يضعون أيديهم على من يرتدون البذلات النازية فقط، وخصوصًا من ينتمون إلى مجموعة القوات الخاصة. ومن غير العادل أن تستبعد هذه الجماعة وكأنها غير مؤذية، في حين أقرّ أصحاب «المرساة الحمراء» بأنهم مسؤولون عن عدد من عمليات القتل. وقد تقصت الشرطة عن عدد من جنود القوات الخاصة، وتحدثت مع القاتلين بلهجة أخوية محترمة. والمضحك في الأمر هو أن كل المجموعة قد تم أخذهم من تلك المجموعة الشابة الذين يلقبون أنفسهم «أعداء النازية»، والذين تم تجنيدهم إجباريًا في جيش شباب هتلر، والآن هم يؤدون كلا الوظيفتين. ولكن النقاط غير المفهومة هو أنه في الظروف التي تقترب من عالم الجريمة في «شيكاغو»، يجب أن يكون رئيس المنظمة هو محامي ميونيخ، فقبل أكثر من عقدين ونصف تُرك الأب العظيم بطريرك يترنح! حقًا، فقد تحرر الشيطان من قيوده في ألمانيا. آه، لا أحد منا يعلم كيف نكبله بالأصفاد مجددًا.

---

(31) . معلومات عن شعار عصابة "المرساة الحمراء" التي تتشكل من مجموعة من المراهقين المعارضين الذين انتشروا في أجزاء من ميونيخ.

20 مارس 1938

والآن، في النمسا.

إننا نراها قادمة منذ أسابيع. بشكل طبيعي، كنا نشعر بأن كل تلك التهديدات وأعمال الشغب، مقصودة... كل ذلك الآداء الرث كان مفتعلا بشكل رث ليكون عذرًا للتدخل القضائي. والآن تطوّق طوابير الدبابات والمدفعيات، كل شارع، تحت قيادة شباب القوات الخاصة المندفعين، وفي بلدتي، كانت الأوضاع تمامًا كالحرب إما الحياة أو الموت، فقد كان شباب جماعة هتلر غير الناضجين يلعبون لعبة الأبطال، وكانوا يتطوعون في الجيش كأنّ عدوهم القوة الأوروبية العظمى، وليس جماعة صغيرة من الناس يبلغ عددها سبعة ملايين نسمة.

لا أستطيع إلا أن أرى هذه الوحشية في التعامل، الرضا المقرف بالقضاء على قادة النمسا، وهذه السعادة العارمة بتلك التهكمات والسرقات. شيء حقير، يجعلني أستعر من الأعماق...

النمسا، المسكينة، التي أصبحت سخرية للأبد، كانت خطيئتها الوحيدة أنها أصبحت في وجه المدفع حتى النهاية، فقد قاومت حتى الذكرى الأخيرة للإمبراطورية المقدسة للألمان.

والآن في سالزبورغ، حيث مكثت الأيام القليلة الماضية، كانت الأوجه الشبيهة بالطماطم تملأ الشارع، جميعًا مع نسائهم الممتلئات. فبفضل أسعار

العملة، كانوا على أتم الاستعداد ليتخلوا عن أي شيء مقابل أغنية، بالإضافة إلى البضائع التي لم تعد متوفرة في ألمانيا، حتى باتت خزائن المتاجر خالية. كانوا يتصرفون كأنهم مجموعة من الخدم من دون رئيس، وجدوا مفاتيح خزائن النبيذ، وها هم يلهون مع نسائهم...

العصابة خارج المنزل

فلنشرب كل ما تركوه

قبلة منك

وقبلة منك

الحياة في النهاية، الحياة في النهاية

هي ما نعيشهُ

شيء من هذا القبيل. تم توجيه أسراب من رابطة فتيات ألمانيا إلى هنا، كنّ يلوّحن لصفوف المدفعيات التي كانت تطوّق هذا الشارع القديم. فالعدد القادم من **صحيفة برلين**، سيكون الخبر الرئيسي رحب بهِ السكان المحليون بمحرري ألمانيا ترحيبا حارًّا... نحن نعرف جيدًا بشأن موهبة غوبلز التمثيلية، البائع الأحدب في دكان الخردوات.

سمعت أنه قد تم حبسُ شوشنيغ في أكثر السجون قذارة، وقد أُسيئت معاملته. فقد كانوا جميعًا يستمتعون بعجز أولئك الناس الذين كانوا جريئين بالتمسك بمناصبهم حتى النهاية.

في حين كان من المستحيل على الكتّاب –كتابهم– أن يتغيبوا عن حفلات العربدة، جاء السيد برونو برام مع نشرة مطبوعة سريّة ليحضر هذه المناسبة.

كانت تلك الحفلة تحتوي على النشيد الوطني لهتلر، الذي أشاد به هذا الخائن لشعبه وكأنه متمم لحلم ألمانيا.

ولكن سيتم الوصول إلى أدنى نقطة عندما تتجرأ الصحافة الألمانية على التكلم بشأن «عودة النمسا إلى ألمانيا» وكأن هؤلاء البروسيين لديهم أدنى حق بالمطالبة المشروعة ليصبحوا ورثة عرش هوهنشتاووفن وهابسبورج الإمبراطوري... فأحقيتهم بالمطالبة تشابه أحقية مربي الخنازير الذي عاش في هذا العالم، وتزوج إبنة عائلة مرموقة وقعوا في أيام سوداء، ومن ثم ادعى بأنه قريب من الدرجة الأولى وله الأحقية في أن يحمي العائلة.

تحدثت مع قريبي، «إل»، الذي شارك في هذا السطو السياسي كلواء ولم أكن أعلم لمَ لم تكن عيناي تلمع بالبهجة في ذلك المساء؟ وسألته إن كان قد تصور كيف أن لرجل ذي أخلاق عالية مثل مولتك الكبير أن يقبل بذلك، لم تكن ردة فعله السريعة بأن يقدم استقالته بعد أن أعطى أوامر لشن هجوم مثل هذا. والأمر المفزع الذي لا يصدق هو أن هؤلاء الضباط البروسيين، الذين يحملون أسماء معروفة وعظيمة، ليس لديهم أدنى فكرة عن عملهم الذي أُمروا بتنفيذه هنا. إن هذا المسح والإعدام للشعور والشرف، هذا الفساد الأخلاقي، وإنكار الرب الذي يقف في المنتصف بين الصحيح والخطإ يدفعني لتصديق عمق السوء والكراهية في الروح الألمانية.

حكيت قصصًا مؤثرة، عن ضباط نمساويين وجهوا بنادقهم نحو أنفسهم، في أجزاء من بريغنز، كانوا قد وضعوا أنفسهم في معركة خاسرة أمام الأعداء: عن جنود عاديين من نظام سالزبيرغ القمعي القديم، الذين رموا أنفسهم من نوافذ قلعة حصن سالزبورغ جراء الإذلال في دولتهم. لماذا لم يعطِ شوشنيغ أمرًا بإطلاق النار، في محاولة أخيرة لإيقاظ العالم من سباتهم العميق بواسطة هذه

الطلقات؟ كانت الدول المجاورة تشاهد هذه الإنتهاكات البائسة لهذا الشعب، ثم يهزون أكتافهم متجاهلين. لن يتحرك أحدهم ويوقف هذا قبل أن يفوت الأوان. فيبدو أنهم يفضلون أن يقفوا في الخلف وينتظروا حتى ينتشر السم.

ولكنّني أرى يومًا سيندم فيه الناس على سلبيتهم الجبانة. ستكون التكاليف لا تقدر بثمن، ولكن يومًا ما سيكون عليهم أن يدفعوا الثمن. في أول اختراق لقانون السلام، ترك المجرم من دون عقاب وهذا جعله يبدو أكثر قوة مما هو عليه فعلًا. وكلما ازدادت قوته، أصبحنا نحن، آخر خصومه في ألمانيا، أضعف وأكثر عجز.مكتبة .. سُر مَن قرأ

هل ستتمكن، وكل من كان يفكر مثلنا، من أن نواجه دبابات الجيش النازي، شكرًا لخمول الحكومات، التي استولت على أسلحة النمسا الآن؟ ها أنا أطرح السؤال الآن، و أرى اليوم الذي سأكرر نفس السؤال للمرة الثانية، بعد أن حُسمت الحرب العالمية الثانية. لو أن قبل خمس سنوات، في الوقت الذي تم فيه ما يسمى تولي السلطة، أبدى الشعب الأوروبي ردة فعل، لكان كل شيء قد انتهى باقتحام من الشرطة، ووضع الأصفاد بأيدي المجرمين وانقادوا إلى السجن.

ولكن ما الذي فعله الجميع. كانوا واقفين يشاهدون، حتى أنهم بدوا كما لو أنه من المستحيل أن تظهر أي مقاومة من داخل ألمانيا. ما الذي يفعلونه الآن؟ إنهم يقفون وهم يشاهدون، مشغولي البال في كيفية تجنب مضايقة هتلر وهذا يجعل إبداء أي نوع من المقاومة مستحيلا أكثر. في المستقبل، ستتمكن من فعل عدة أمور: ستتمكن من معاقبة أولئك الذين جعلوا ذلك اليوم الشائن ممكن الحدوث عن طريق صفقاتهم السياسية البائسة، وستتمكن من معاقبة الجيش وأولئك الرجال الذين وقفوا خلف كواليس انهيار الاقتصاد. ولكن الشيء

الذي لن تستطيع فعله هو لن تتمكن من جعل جميع أفراد الشعب مسؤولين عن النظام الذي شاركت بتقويته، نعم أنت. لقد كسرت مقاومتنا عن طريق خمولك السياسي، مع جيشك الجبار وامتلاكك أقوى القوات البحرية في العالم، لا تتجرأ.

سيأتي يوم وتواجهنا بهذا العتاب، وبهذه المناسبة.

ها أنا أكتب هذا، ومعركة شائكة من قاذفات القنابل الجوية تدوي فوق رؤوسنا. كانت أصوات القذائف مستمرة لساعة كاملة، فقد كانت تلك الطائرات تحلق ضد قوة عالمية. أنا ألماني، وأُطوق هذه الأرض التي عشت فيها بكل حب. ولا يمكنهم أن ينتزعوني من هذه الأرض. إنني أنتفض لكل شجرة وكل خشبة قد اختفت، لكل قرية هادئة دُمرت، لكل مجرى نهر تم تخريبه...

أعلم أن هذه الأرض في القلب النابض الحي للعالم. وسأبقى مؤمنًا بهذا القلب النابض، رغم كل المشوبات التي تجري بدمائها. كما أنني أعلم أيضًا أن تلك البروق والرعود التي تشوب سماءها ما هي إلا رفض للعدالة، للحق وللإيمان ولكل شيء يجعل الحياة حقيقة بأن تعاش. أنا أؤمن بأن هذه الصورة المشوهة لألمانيا، قد رسمت بواسطة قرد خبيث هرب من قيوده.

أنت، الذي هناك: أكرهك في يقظتك ونومك. سأكرهك وألعنك حتى في ساعة موتي. سأكرهك وألعنك حتى في قبري، حتى أبناؤك وأبناء أبنائك ستصلهم لعناتي. لا أملك سلاحًا آخر سوى هذه اللعنات، رغم أني أعلم أنها تذبل القلب، ولا أعلم إن كنت سأنجو إلى حين سقوطك.

ولكن ما أعلمه، هو أن على الرجل أن يكره ألمانيا من كل قلبه إن كان فعلًا يحبها. وسأفضل عشر مرات أن أموت على أن أراك منتصرًا.

أكتب هذا، وأنا أنكمش من الداخل. قريبًا سيحل عيد الفصح، وكما هي العادة سيصدح المذياع بالكلمات النهائية لأغنية السيد ماثيو باشن الساخرة «نجلس لنبكي...».

ألمانيا، بلدي ألمانيا... نعم، هذه الأغنية لأجلنا.

والآن؟

الآن، لا تزال، فوق السماء، تلك الآلات الغبية التي تشن هجمات وحشية، تطير مفتعلة الأعمال الموحشة والجرائم، وتغرق كل سلام وهدوء يكسو هذا اليوم الربيعي. أنا أبكي. ولكن هذا البكاء جراء الغضب والخزي أكثر من كونه بسبب الحزن...

يوليو 1938

تعرض السيد شيلنغ للضرب في نيويورك بواسطة أمر من الملك موب، كان عليّ أن أصدّق بأن هزيمة الألمان كلهم كانت بسبب أن الصبي الألماني الجزار صاحب المعاش المرتفع قد هُزم في نيويورك بواسطة صبي جزار آخر ذي معاش مرتفع وقد صادف أنهما يملكان نفس جنسيتي! مكث أربعة منا حتى انتهاء هذا اليوم الصيفي الدافئ لنستمع إلى نتائج هذا الصراع. عندما علمنا أن كل هذه الدراما قد حدثت خلال دقيقتين فقط، أغمي علينا من الضحك. أحبائي أبناء وطني، أتمنى أن تعيشوا لتروا اليوم الذي ستتعلمون فيه أن تصدقوا بآلهة أخرى غير الأفلام الإباحية وعدد من مقاتلي الجوائز.

في أحد صباحات الصيف، رأيت ثلاثة رجال يتجّولون في حقولي. كانوا غريبين، حتى أن وجودهم كان غير متناغم مع تلك الأجواء السلمية التي كانت سائدة في تلك الفترة. كانوا يتنقلون في حقولي وممتلكاتي مع كل أنواع الأجهزة ونظم القياس والمسح، ولم يكلفوا أنفسهم بإلقاء التحية علي عندما رأوني، وعندما سألتهم، عرفوا بأنفسهم على أنهم موظفون من سيمنسورك برلين. فعلى ما يبدو أن شركة سيمنس، التي تعد من أكبر الشركات في برلين، تخطط لبناء مصنع هنا...

من دون سؤالي، من دون وضع ترتيبات معي، من دون أي ملاحظة، ومن

دون حتى أن يظهروا أي نوع من أنواع الالتزام بالقانون. طرحت سؤالًا لأرى كيف ستتقبل شركة سيمنس كوني لا أعلم بممتلكاتهم وشروعهم في التنقيب. أدى هذا السؤال إلى نقاش مفعم، وقد رغبت بأن أُحدّثَ هؤلاء الرجال من برلين عن مفهوم الممتلكات والأسلوب الحسن، إلا أنني ببساطة اتصلت برجالي وأخذت منهم الصك الذي كان بحوزتهم وأقفلت عليه بالمفتاح.

وقد أدّى هذا إلى ارتفاع الأصوات ووصول عديد التهديدات. وفي اليوم التالي وصلت المساعدة إلى اللجنة الإقليمية المساعدة. وقد قاموا بلومي بشدة على لجوئي إلى القوة، وأخبروني بأن أترقب زيارة اللجنة خلال اليومين التاليين. وصلت اللجنة في اليوم المحدد؛ وكانوا خمسة مسؤولين إداريين بافارايين رفقةَ مهندس نمساوي مؤيد للنظام النازي، فقد كان يضع شعار النازية على طية سترته. عرفت أساسيات المشروع، الذي يدعو إلى تخريب كل ذلك المنظر البديع للوادي، وتدمير منزلي القوطي العتيق، ووضع أربعمائة هكتار تحت الماء.

وهذا المشروع تصل إنتاجيته إلى 4000 حصان، أي ما يعادل الطاقة التي تنتجها قاذفة القنابل الواحدة. وهذا من خلال النظام الذي يؤكد على شرعية امتلاكها للمزارعين، والتي أختيرت واحدة من الشعارات التي تقول إما أن تكون ألمانيا وطن المزارعين، أو أن تكون لا شيء. منذ أول كلمة نطقوا بها علمت أن ما الذي يحدث هنا لم يكن فقط لتوليد طاقة تعادل 4000 قوة حصان، بل إن جوهر المشروع هو أن يتم نقل رأس مال شمال ألمانيا إلى الجنوب. بدأت أشم رائحة الحرب والانعطافات المصاحبة لها، فهذه المصانع تحول أموالهم الورقية إلى أصول ثابتة، أصول قد سُرقت من المزارعين، غير مكترثين بتدمير الموارد الطبيعية ومصادر رزق الناس الذين يعيشون في تلك المناطق. كان كل هذا تحت مسمى المصلحة العامة لتغطية المعاملة الوحشية في

تصرفات كبار شخصيات سارقي المصانع من سلالة حكام ألمانيا والعوائل العريقة.

فكّرت في هدوء هذا الوادي وسكينتهِ التي لا تضاهى، فكرت في الثمانية عشر جيلا من الرجال الذين كانت تعطيهم هذه الأرض الغذاء والمأوى. ثم وجدت أنه لا يوجد سبب لإخفاء غضبي...

كان المسؤولون البافاريون إلى جانبي، وكان تكشيرهم يدل على هذا. ولكن المهندس النمساوي كان مبتهجًا مع الحركة الهتلرية وكره تبادل أطراف الحديث. فقد تحدث عن مصلحة المجتمع، وسألته عن المقصود بكلمة مجتمع. وعندما بدأ الحديث عن التجريد من الملكية، قاطعته بقولي إنني قد أخرج من هذا المنزل، ولكن إن فعلت سيكون عليه أن يغادر قبلي على النقالة.

لم يعتد الشعب الألماني على سماع حديث واضح وصريح من هذا النوع خلال السنوات القليلة الماضية، وقد كان غير قادر على الحديث عن شرّ غضبه. إلا أن إحتمالية حوزتي على مسدس محشو في جيبي جعله يتغير بتشكك وخوف في مقعده. وفي حين كان أولئك البافاريون ينظرون إلي بتعجب كأنني حيوان عجيب، غير بسرعة طريقة حديثه وأخبرني بأن هذا الموضوع قد يستغرق سنوات ليحل. وبهذا انتهى اجتماع اللجنة.

و بعد فترة عرفت خلفية هذا الموضوع في ميونيخ. فقد أخبرني مصدر من قسم الإنشاءات الكهرومغناطيسية في وزارة الداخلية أن هنالك إقتراح آخر قد تم طرحه منذ وقت طويل، وهو أن يتم الحصول على بعض الطاقة ولكن هذا سيقضي على الوادي بأكمله. ولكن تم رفض هذا الاقتراح، لأن القنصل آرنو فيشر، رئيس القسم ومخترع المحرك الذي يعمل بقوة الماء، أراد أن يستخدم هذه المحركات طوال مدة المشروع. وهذا بالتأكيد سيعطي فائدة عظيمة لجيبه. فمن

أجل هذه المحركات التي تعمل بقوة الماء ومن أجل جيب المخترع، سيضحون بالوادي بأكمله. ثم نجد المترصد في الخلف، شركة كيميائية بافارايا، كانت تنتج مواد متفجرة لوقت طويل، وكانَ يقفُ خلف ذلكَ أيضًا السيد الجبار غورنغ، الذي كان في السنوات القليلة الماضية يحضر محاكمات بمديونياته بين الحين والآخر، ها هو الآن قد أصبح السيد والرئيس بفضلِ أسر المزارعين.

هذا هو السبب إذًا. فحسب معلوماتي الموثوقة، لم يعد هناك أملاك آمنة في ألمانيا من هذه الأمور. سنرى، أيها السادة، سنرى. آه، أن أرى ممتلكاتي وكل ألمانيا تنفجر، أحب إلي من أن أتركها لهؤلاء...

سبتمبر 1938

في طريق عودتي إلى المنزل من برلين، التي وجدتها متوترة ومهتاجة منذ البداية كالتوترات التي اجتاحت الدولة التشيكية، رأيت من نافذة غرفة النوم قطارات منطقة «بالاتينات» العليا المحملة بكمية هائلة من الأسلحة والذخائر متجهة إلى الحدود. إن ألمانيا، وأعني هذا الجيل الأخير، ترعى مفاهيم السرقات التي تتم على الطرق السريعة، وهذا بالتأكيد أمرٌ غريب. يتعلق هذا الأمر بذلك الذي يدعى الزعيم كنوع من القانون الكوني، وكل المعارضين، وحتى أولئك الموجودين خارج حدود ألمانيا، يعتبرون مجرمين. نعم، بالتأكيد، الشعوب الأجنبية متورطة، وهناك أيضًا مشكلة صغيرة وهي كسر المعاهدات ولكن الزعيم يريد هذا...

وماذا لو تشجع الآخرون أخيرًا وقالوا «لا» لذلك الزعيم الذي أصبح منتشيًا بعد نجاحه في السطو السياسي؟ قد تكون هذه صدمة له بأن يعرف بأنه ليس محور الكون، لأنه يعتقد ذلك، وهذا سيكون كافيًا. وفي اللحظة التي لن يستطيع بها أن يسلك طريقه للمرة الأولى، سيختفي عن الأنظار ببساطة.

ولكن كل شيء يشير إلى أن أوروبا سترى كل شيء وتبقى صامتة، كما في هجوم النمسا. وسيزداد مركز هتلر قوة. فهذه هي أبعاد ما نحن بصدده؛ نحن، الذين لسنا أسوأ ما في ألمانيا، يجب أن نضع كل آمالنا في الحرب لنحرر أنفسنا

مثلما تتحرّرُ أسراب الجراد.

ناقشت هذا الأمر لوقت طويل مع «بي»، الذي لم يستوعب رؤيتي هذه. بالطبع، هو رجل أعمال، وطالما خالجتني فكرة أن الجوهر الأساسي للقومية ذو طابع تجاري. إلى جانب أنه يعتمد إن كان الفرد يعترف بهذا النظام أم لا، فقد نشأ على الخداع، الابتزاز، والاحتيال، كالحكومة الشرعية. منذ الثلاثين من يناير 1933، لم أتوقف عن النظر إلى الموضوع على أنه جريمة في حق الطبيعة، واختلاس للدولة الحديثة. فإن حدث أن اقتحم منزلي مجموعة من اللصوص، وهاجموني وضربوني، فهل يحق لي أن أتذمر من الشرطة التي أتت لإنقاذي وكسرت باب منزلي الرئيسي؟

أستطيع الآن أن أثبت أن استفتاء منح الشرعية لهتلر الذي وضع في النمسا كان مزورًا بطريقة فظة جدًا. والآن قد صوّتُ والأربعة الموجودون في منزلي بـ«لا» بشكل طبيعي. بالإضافة إلى أنني أعرف عشرين شخصًا على الأقل في هذه البلدة ممّن صوّتوا بنفس الشيء. إلا أنّهُ وفقًا للنتائج الرسمية، أن جميع سكان البلدة كانوا من دون أي صوت معارض «و هذا أثبت أعمال الزعيم».

امتلأت الأجواء بشكل غريب بشائعات تتعلّقُ بالاغتيال الذي تعرّض لهُ الحرس الإمبراطوري للقوات الخاصة، والذين يلقبون بنظام الفرسان الألمان (وهم من المساعدين وكتاب البريد). وهذا ما حدث معي في ميونيخ مؤخرًا...

عندما كنت أحلق ذقني في الفندق الصغير القريب من المحطة كالمعتاد، رأيت من نافذة غرفتي في الطابق الثالث شيئًا ما قد وقع، ثم سمعت صوت ارتطام قوي. وعندما غادرت الفندق رأيت رجلًا ممددًا على الطريق، أرجله ممددة على مصراعيها، جمجمته محطمة، ورأسه غارق في الدماء ودماغه منتثر على الرصيف. كان يرتدي بنطالًا رياضيًا أسود وسترة بيجامة بلون رمادي وأبيض.

كان المشاة واقفين وهم يحدقون بدهشة، وسائقو الدرجات يتحدثون بحماس عن أنهم كانوا يدهسون هذه الجثة الساقطة من الطابق الرابع. وامرأة ثرثارة كانت قد رأت هذا الرجل وهو يقف على حافة الشرفة قبل سقوطه. غطى حارس الفندق الجثة بكوم من الأوراق في حين كان اثنان من عمال النظافة ينظفون الدماء والدماغ المنتشر على الأرض. ثم جاءت شاحنة الصرف الصحي، وكان الخرطوم موصول بأقرب صنبور، وتم تنظيف الرصيف والجثة مازالت ممدّدة على الرصيف، وحذاؤه مازال ظاهرًا من خلف الأوراق التي تغطيه.

بقيت الجثّة حيث هي في الشارع الذي تم إغلاقه للتو. كانت قدماه المفتوحتان على مصراعيهما تظهران كلما لاح الهواء على كومَ الأوراق التي تغطيه والتي أصبحت بنّية اللّون. عندما سألت الحارس عن هذا الرجل، أخبرني بأنه قد جاء إلى الفندق في الساعة السادسة صباحًا، في زي القوات الخاصة، وكان ثملًا بعض الشيء، وطلب غرفة في أعلى طابق بالفندق. ومن ثم طلب لترًا من البيرة و زجاجة كاملة من شراب الكونياك وقد وجدنا في غرفته الموجودة في العلية، أنه قد شرب ثلاثة أرباع زجاجة الكونياك، وكانت مرمية بجانب سريره الفوضوي. كما وجدنا أيضًا سترة سوداء مرمية على الأرض، ومجموعة من الطوابع التي تباع للسائحين في ميدان التجارة في لشبونة أو بورسعيد، منثورة على السرير.

لقد زادتني هذه الحادثة بكل ما فيها من حزن، تعاسة أكبر لأن هذه الجثة قد ذكرتني بالقصة التي أخبرني بها صديقي هانس فون يولو، إبن أخ أعظم جنرال، منذ بضع سنوات. في عام 1918، خلال الحملة الفنلندية، تم القبض على ضابط بروسي سابق أصبح زعيمًا لعصابة بلشفية. كان هذا الرجل قد قضى

سنوات في معسكر أسرى الحرب الروسية، وكانت هذه التجربة إضافة إلى ما عاشهُ في حياته خلال الثورة قد حولته تمامًا إلى قاتل. كان قد تمت ترقيةُ رتبته قبل الحرب، ومنذ عام 1912 أصبح يُعطى جميع امتيازات الضابط. وهذا الرجل، الذي أصبح الآن وحشيًا بشكل تام بعد قضائه أربع سنوات بالسجن السيبيري، والذي عرف بأنه الرجل الملتحي القاتل، قد تم الحكم عليه بالقتل بتهمة أنه زعيم عصابة قد ارتكبت جرائم غير منتهية. ولكن الأمر الذي لا يصدق هو؛ عندما كان واقفًا أمام فرقة إطلاق النار، نظر إلى فوهة البنادق السوداء الموجهة نحوه، ثم طلب سيجارة. أشعل السيجارة، نفث الدخان مرة أو مرتين، ثم في اللحظة التي سبقت الأمر بإطلاق النار عليه، انفجر بنطاله، وأسقط كومًا من الجنود خلفه.

تحدثت مع «بولو» عن هذه القصة القديمة. في اللحظة الأولى، كان هنالك طيف عابر لشوبان، الذي بكى عندما دنا الموت منه وبات يصرخ «تبًا!» كم كان يكنّ احتراما وتبجيلا أيضًا لهذا الجيل المعاصر بسبب احتقارهم للموت...

و لكن قد يكون الرجل خاطئًا هنا. فإن ما كان يظهر على أنه شجاعة وقوة في وجه الموت، هو في الحقيقة عدم مبالاة الرجل البسيط. وما كان يظهر على أنه رزانة هو في الحقيقة تفسير لحالة الرجل البسيط؛ سواءً كان جيدًا أم سيئا، ولكن مع بعض الارتياح لكونه لا شيء تمامًا.أنا لا أعرف حقًا كيف أصف أرواح هؤلاء المعاصرين الكئيبة بشكل أفضل من هذا.

اندلعت اليوم شائعات عن تعميم الإنتفاضة في فيينا. وبالنسبة إلي، فأنا لا أصدق أن أيًا من هذه الشائعات صحيحة. و على الأرجح، أن هذه الشائعات قد انطلقت من عدد من النساء الثرثارات اللاتي تعملن في المحلات، وهذا كل ما في الأمر. إن حياة الرجل البسيط كالتالي؛ يتحرك مثل الروبوت، يأكل وينام

مع امرأته الشقراء، ثم يخلف أطفال للحفاظ على النسل بعمليات مستمرة. يردد تعويذة مانيتو العظيم كلمة بكلمة، استنكر أو تم استنكاره، مات أم قتل، وهكذا. ولم يخجل أبدًا عندما واجه ميراث آبائه، من خلال امتلاكه لجذور نبيلة، من خلال تتويج انجازاته التي صنعها لنفسه.

ولكن حتى مع هذا، إن اجتياح هذا العالم من الرجل البدائي، ليس هو الشيء غير المحتمل. ولكن الشيء غير المحتمل فعلًا هو أن تلك المجموعة من الناس البدائيين يطالبون بهؤلاء القلة من الأسوياء من الناس الباقين، ليعودوا معهم إلى الكهف؛ ومن ثم يعتدون عليهم إن رفضوا.

لنقرأ هذا الجزء لهيراقليطس:

لقد تخلّصوا من اعتقادهم بأن الأكثرية هم من الأشرار والأقلية هم الأخيار. إن كتاب «أفسس» يدعو كبار السن إلى أن يشنقوا أنفسهم ويتركوا المدينة للشباب. لقد طردوا هيرمودر، الذي كان واحدًا منهم قبل كل شيء، من المدينة مع صيحة عظيمة «يجب ألّا يكون بيننا رجل فاضل، فليرحلوا بعيدًا عنا».

ديسمبر 1938

لقد أجهدت عقلي في محاولة اكتشاف سبب تحريض غوبلز على هؤلاء اليهود المُضطهدين[32]. ففي الوقت الذي كان هذا النظام يحتاج بشدّة إلى السلام، كان يجب أن يُلقب هذا النظام بعدو العالم القاتل وتشنّ عليه حرب محتومة. لا أستطيع أن أرى أي شيء محفز، حتى وإن حاولت أن أتخيل نفسي كفرد من النازية، واتبعت الطرق التي تلائم أفكاره.

أعلم أنه يجب على الدكتاتوريين أن ينظموا عروض ألعاب نارية كل خمسة أشهر بغية تجديد الولاء... وهذا ما قاد نابيلون الثالث من سيفاسنوبول إلى الصين، إلى ماجينتا، سولفرينو، المكسيك، وأخيرًا سيدان.

كل هذا لا جدال فيه، وربما يفسر أحداث التاسع من نوفمبر، إن لم تكن الحقيقة أساسًا أن هتلر أيضًا جلب هذه الحرب لنفسه، الحرب التي كان عليه أن يتجنبها بكل تأكيد إن لم يكن يريد أن يحفر قبره بنفسه.

ناقشت هذا الأمر مع «إل»، وهو موظف مجتهد في وزارة الخارجية، كان قد سخر منّي ومن تحليلاتي المعقدة. كان تحليله لكل مصدر نوبات الغضب

(32). تعود حادثة مطاردة اليهود من قبل "غوبلز" إلى الليلة الكريستالية، في التاسع من نوفمبر 1938، عندما حطموا المتاجر اليهودية (تاركين الزجاج المهشّم على الأرصفة)، وأشعلوا النيران في جميع كنائس اليهود. وقد عملت ألمانيا على برنامج الرعاية الرسمية في التاسع من نوفمبر 1938. الليلية الكريستالية، بواسطة هيرمان غرامل، بون، 1953.

المفاجئة التي كانت تجتاح هتلر، أنه الآن يلعب دور الملك «**أرتحشتا**»، كان هتلر يصرخ بشكل هيستيري عندما لا يصل إلى ما يريده مباشرة، يرمي نفسه على الأرض، و يعض السجاد.

إذًا، هذا هو السبب وراء كل هذا الغموض والخزي اللا محدود، إن كان «إل» محقًا. ولكنني أريد أن أتحدث عن حادثتين وقعتا أمام عيني. **الأولى** بشأن إبنة أخ الممثل «سونينثال»، التي تم نقلها من ملجإ إلى آخر، وأخيرًا وبعد محاولات مميتة، قررت أن تنهي حياتها، ثم ببساطة تسلقت أعلى قمة الجبل في إحدى الليالي الباردة من فصل الخريف. وبعد أيام من البحث، وجدناها في النهاية؛ كانت ميتة.

القصة الأخرى أشدُّ تحطيمًا. ولن أتطرق إلى تفاصيل الأمر لأسباب شخصية للغاية. لقد قيلت لي هذه القصة عن طريق أرملة فقيدنا «لوي زومباخ»:

كانت السيدة المسنة «إكس» تعيش في عزلة كبيرة في شقتها التي تحتوي على غرفتين في ماكسميليان ميونيخ. أراد ممثل معروف أن ينال شهرة عظيمة بين النازيين وقرر أن يأخذ هذين الغرفتين. فوجد أن لا أحد قد سمع بأن تلك المرأة اليهودية العجوز تمتلك هذين الغرفتين فأدان تلك العجوز ليستولي على الشقة. وكان ما يريد أن يفعل بها شبيهًا بعمليّة تهجيرٍ نحوَ معسكر الاعتقال والموت البطيء في المجاعة. كانت السيدة العجوز تعرف هذا جيدًا، ورأت أنها متقدمة في العمر وأضعفُ من أن تتخذ ذلك المسار المرير. فطلبت بشكل عاجل من إحدى أمهات التلاميذ بأن تجلب لها سمًّا سريع المفعول.

كانت تلك الصديقة سيدة ذات شخصية ثابتة. أولًا، عرضت كل وسائل المساعدة الممكنة لتحمي هذه المرأة العجوز المتعبة. عندما لم تنجح جميع

محاولاتها، عزمت أمرها على أن تذهب إلى زميل زوجها في كلية الصيدلة في ميونيخ، لتطلب منه السم...

لسوء الحظ، كان هذا الرجل من أتباع هتلر، وقد استشاط غضبًا لتلك الفكرة، ورفض الأمرَ في البداية. إلا أن تلك المرأة البائسة ذهبت إلى منزله لتحاول معه مرة أخرى، استعاد الرجل تركيزه بعد نوبة الغضب ووضع في يدها خليطًا من الكورارين وغاز البوتاسيوم. عادت السيدة بالسمّ إلى المرأة العجوز «إكس» والتي كانت في حالة يرثى لها.

انهمرت دموعها وهي تشكرها على هذا السم، ولكن كان للسيدة «إكس» طلب آخر؛ وهو أن تغني لها صديقتها أغنية باهامس «الأغاني المحرمة» قبل أن يفترقا، ذلكَ أنها كانت مغنية، فوافقت الصديقة على الغناء ثم انصرفت. واليوم بينما كنا نتناول طعام الغداء، جاءنا خبر أنهم قد وجدوا السيدة العجوز «إكس» ميتة في شقتها. أمّا ذلك الرجل الذي اتهمها، الممثل «بي»، فقد صبرهُ فورَ سماعهِ الخبر وبلغَ باب شقتها خلال ثوان.

لقد شهدتُ هذه الأشياء بنفسي، وتحدثت عنها. ولم أبح بأسماء المتهمين في كلتا القضيتين. في قضية «سونيتشال»، كانت الشخصية راقصة سابقة في التّاسعة والسبعين من عمرها، تابعة لنظام هتلر وتعيش في فيينا... تلك العجوز القذرة التي سوف ترى مقعدها في النار وهي على فراش الموت...

وتلك الأخرى؟

لقد عشت الآن لأكثر من خمسين سنة، وقد أجبرت على أن أعيش أوقاتًا صعبة للغاية، وخرجت من تلك التجارب بالقليل من الحكمة، لم أفعل أي أمر مؤذٍ إلا وقد عاد إليّ بعد حين، حتى وإن استغرق الأمر قرونًا. أحيانًا بطريقة أو

بأخرى، عاجلًا أم آجلًا، وغالبًا حينما يكون ذلك الأمر منسيًا، أفكر؛ عندما يستمتع السيد «بي» بالكوكتيلات التي يشربها في شقته، هل من الممكن أن يتذوق طعم كوكتيل الكورارين وغاز البوتاسيوم... ومن خلال الأغاني التي تصدح من جهاز الراديو الخاص به، هل من الممكن، في وقت ما، أن يسمع نفس أغنية «الأغاني المحرمة» التي غنتها تلك المرأة؟

أبريل 1939

مع مرور هذا الشتاء الطويل، الذي بدا وكأنه قد تأقلم مع عموم الأحداث في الشمال، عدت مجددًا إلى برلين. كانت هنالك أحداث صاخبة تتعلق بعيد ميلاد هتلر، كانت الإجازة الرسمية دليلا واضحًا على حقيقة أن الفنادق كانت غارقة في عواصف شديدة ومتعددة وأعاصير وزوابع من الجنود الذين وضعتهم ألمانيا للتنظيم. كانت أحذيتهم القبيحة ظاهرة أمام جميع الأبواب.

قابلت أولًا «هانز ألبرت»[33]، وتناولت معه الشاي في شقته الفاخرة والغالية بكل تأكيد والمطلة على حديقة الحيوانات. كانت شقته ممتلئة بتحف عتيقة مريبة، والتي يظن بلا شك أنها فريدة.

ولكنه رفيق جيد، حينما أشعر أنني أتمزق خوفًا من تقدم العمر. يعتبرُ «ألبرت» من أبرز المشهورين في هذا الجزء من العالم، وفي حياته الشخصية تجده رجلًا بسيطًا وجذابًا، نموذجا لرجل «هامبورغ»، ولكن لديه نفس المشكلة التي كان يعاني منها القيصر فيلهلم الثاني. كان القيصر بسيطًا وجذابًا عندما تقابله وجهًا لوجه، ولكن في الاجتماعات كان شخصًا لا يطاق. إلا أن «ألبرت» يظهر بعض العاطفة معي، فقد فاضت عيناه بالدموع عندما أخبرني عن والدته عندما كانت على فراش الموت وغنت الأغنية الشهيرة لمدينة شليسفيغ هولشتاين «البحر الذي يحيطنا» بلهجة المدينة.

---

(33) . "هانز البيرت"، الذي كان مثالا في للرجولة بالنّسبة إلى عديد النساء الألمانيات، كان ممثلا ونجمًا سينمائيًا وربما أصبح معروفًا في العالم أجمع من خلال المشهد الذي مثله في "الملاك الكئيب" مع الممثلة مارلين.

تعجّ برلين برائحة الحرب، وكنت أشعر بنظرات غريبة تمزقني طوال الطريق؛ حقارة، شحوب، سخرية. كانت قائمات الطعام تعرض القليل من الأصناف، والنبيذ مشكوك فيهِ أكثر من العادة، ومناديل الطاولة غير نظيفة. كانت القهوة رديئة، ولا يوجد وقود لسيارات الأجرة، ومنذ أن تم تشغيل العمال في الحصون، أصبح وضع الفنادق مؤسفًا. ترى الآن جميع الأشياء؛ الفخمة والجبسية والبرونزية الخردوية التي كانت تخفي الحيلة التي تعبر عن النمط البروسي الطبيعي.

في إحدى الليالي، قادني الفضول إلى أن وصلت إلى ملهى بالجهة الغربية، يقع في الطابق الأرضي. وبسبب وجود السيد «غرونغ»، بقي الملهى مفتوحًا حتى الصباح إلى أن تملّكَ التّعبُ والإرهاق النوادل أمام الطاولات الفارغة. خلال وقت زيارتي، كان المكان ممتلئًا ويعج بشباب العوائل الريفية العريقة، وجميعهم كانوا يرتدون زي القوات الخاصة. كان من الواضح أنهم هنا لحضور مناسبة عيد ميلاد الامبراطور. كان الملهى يعج برائحة دخانهم الرديء وتصرفاتهم السيئة، التي كانت الأسوأ.

كانوا يحظون بوقت ممتع وهم يتناولون قطع الثلج من وعاء تبريد الشامبانيا ويضعونه داخل فساتين النساء اللاتي كن يرافقنهم، ومن ثم يسترجعون قطع الثلج من أعماق أجساد النساء في بهجةٍ عارمة. سخروا من رجل مسن ذي لحية بيضاء طويلة قد دخل للتو إلى هذا الوكر لسبب ما، وأصبحوا يتحادثون مع بعضهم بأصوات عالية يسمعها من كان يقيم في كوكب المرّيخ، كانوا يتحدثون بلهجة مرمزة كانت تستخدم كثيرًا لدى الجبناء القوادين في الحرب العالمية الأولى وفترة المحاصيل الحرة. لقد سيطرت تلك اللهجة على اللغة في العشرين سنة الماضية.

تفحصت وجوههم من طاولتي. كانوا حلفاء لأسماء قديمة لديها تاريخ ملطخ بالدماء، كانوا أبناءً لمدمني الكحول الذين كانوا يومًا ما مستشارين في السفارة وملحقين دبلوماسيين، يظهرون على العالم بأجسام رشيقة و حيوية مثل لاعبي كرة القدم. إنهم مضحكون إلى درجة أنه في وسعك أن تلمس جمودهم وضعفهم.

أن تتفحص هؤلاء الرّجال، يعني أن تنظر إلى الهوّة العميقة التي تفصلنا جميعًا عما كنا عليه أمس. صحيح أنّ البطون الممتلئة بالجعة والعيون المنتفخة قد اختفت نهائيًا، ولكن وجوههم باتت ضعيفة وهزيلة. فإن نظرت إليهم للوهلة الأولى تجدهم و كأنهم جماعة من قاتلي التنانين أو من ملائكة قد تركت أجنحتها في غرفة تبديل الملابس... وبعد ثانية، تبدو أشكالهم أقسى... فبعد أن تصبح هذه الخمارة تصدح بلغتهم وفظاظة حديثهم تتغير نظرتك عنهم مباشرة.

أول شيء هو الحماقة الظاهرة على وجوههم. ثم تلاحظ أن عيني أحدهم المضربتين من وقت إلى آخر، تبرقان بشكل مفاجئ. وهذا ليس له علاقة بالشباب. بل إن تلك النظرة هي النظرة النموذجية لهذا الجيل، وهي الانعكاس السريع للنظرة العادية والنظرة الوحشية التاريخية.

أعرفُ جيش القيصر العظيم. لقد اختفى بعد سنة أو سنتين من الحرب العالمية. وأعلم أن أعمال البلجيكيين الوحشية ضد ذلك الجيش كانت بسبب سوء فهم مأساوي أو بسبب حاجة الإعلام إلى هذا. وقد أُمر ذلك الجيش العظيم بأن يتحمل مسؤولية واحدة فقط من التصرفات الوحشية التي أُدينوا بها، وهو إطلاق النار على عدوهم المسالم، سيكون هذا تمردا! و لكن ويل لأوروبا إن أطلقت العنان لذلك العمل الهيستيري الذي يطبب جراحنا الآن. إن هؤلاء الرجال قد يحولون لوحات ليوناردو إلى رماد إن أخبرهم زعيمهم

بأنها أعمال منحطة. ولن يترددوا في استخدامهم الفن الجهنمي«آي جي فاربن» لجعل الكاتدرائيات تترنح بالهواء، إن كان هذا سيمنحهم مركزا. اوه، إنهم سيرتكبون أقبح الأفعال، بل الأبغض على الإطلاق، سيكونون غير متمكنين على الإطلاق من استشعار عمق الخزي والانحطاط من وجودهم.

في اليوم التالي أمام المحكمة الألمانية، وسط الحشود، شهدت الاحتفالات وكانت أذناي قد صمّتا من أصوات قرع الطبول وعازفي الصولفيج والطوباس في مسيرة القوات. سمعت الصخب و رأيت وجوه النساء المبتهجة، ورأيت السبب وراء كل هذه السعادة.

ها هو واقف هنا، الأكثر تألقًا على الإطلاق، مع تكلفه المعتاد ويديه المشبكتين عند بطنه، ينظر إلى الناس ببذلته فضّيّة اللّون وقبعته التي تغطي جبهته، وكأنه سائق ترام. تفحصت وجهه من خلال المنظار. كان جسده متخمًا بالدهون غير الصحية؛ كل ما به معلق، كان ثقيل الحركة وشكله يبدو كريهًا، هلاميًا، مريضًا. لم يكن مضيئًا أبدًا، لا شيء من الإشراق و التألق الذي يوحي برجل قد أرسله الرب. وبدلًا عن هذا، كانت تعتلي وجهه وصمة العار من القصور الجنسي، حقد نصف الرجل الذي عبر عن غضبه بسبب قصوره الجنسي إلى وحشية يمارسها على الناس.

وغير هذا كله، عواؤه البقري المغفل عندما يقول «الخلاص!»... نساء هيستيريات، مراهقات منتشيات، جميع الناس كانوا في أجواء روحية يصرخون كالدّراويش.

عدت إلى الفندق مع «كليمنس فرانكشتاين»، الذي التقيت به صدفة اليوم. تحدثنا عن ملاحظاتي بالأمس، وقد ذكرني بأن سجل العوائل النبيلة الألمانية مليء بقائمات عائلات كأرنيمز، رايدسلز، كاتيس، كليتس وبولوز، وآخرين

أصحاب مناصب كرؤساء مجموعات وآخرين متورطين في هذه القضية... يتم قبول هؤلاء الشرفاء من دون التفكير بالعار الذي قد ألحقوه بعائلاتهم العريقة، وبأجدادهم. وفكرت مرة أخرى بأولئك المتجمهرين وعوائلهم؛ لذلك الفاشل الذي كان يتلقى كل هذا العواء من الإجلال والاحترام؛ وفكرت أيضًا في هذا المحيط من العار الغارقين فيه جميعًا.

حتى أن أكثر جيل عرف بالأذى والشر، الذي كان في أيام «فيلهيلم»، لم يسبق لهم أن وصلوا إلى هذه المرحلة من تمجيد شخص مختار. في هذه الحالة، يصح القول بأن خطايا الأمس ليست كخطايا اليوم. كلّا، إن خطايا اليوم أكثر بذاءة! لا يوجد أي شيء يستحق العناية بهذه الطقوس. **فقد ارتخت قيود الشيطان، وبات أمامنا مجموعة من الشياطين.** . .

هؤلاء الناس معتوهون وسيدفعون الثمن غاليًا بسبب جنونهم. إن أجواء هذا الصيف تنذر بشؤم كبير.

في طريق عودتي إلى ميونيخ بالقطار، حدثني «دي»[34] عن أيام الحرب العالمية الأولى عندما كان مرافق هتلر الشخصي. فقد وصف هتلر بأنه رجل فاقد للوعي في أغلب أوقاته. فقد غالبًا ما يأخذ الشركة بين فكيّ الموت، وعندما ينجو، يضع اللّوم في فشل شركته على رفقائه.

وهنالك أيضًا إشاعة غريبة، لا يتوقفون عن تكرارها، وهي عن شارة الصليب الحديدي التي يرتديها باستمرار[35]. سمعت عن هذا الصليب فقط،

---

(34) . إن "دي" الذي ذكره ريك في كتابه قد يكون يقصد به الضابط القانوني لفوج المشاة البافاري الذي خدمه هتلر كجاسوس في الحرب العالمية الأولى، وهو الطبيب "دايس". وقد تم نشر العديد من الأعمال الألمانية في زمنه تتحدث عن حياة هتلر.

(35) . ربح هتلر الصليب الحديدي، وهي جائزة الصف الأول في الحرب العالمية الأولى. وقد قال "ويدمان" بأنه يستحقها.

فهو يفتقر إلى الحقائق للتحقق منه. لفت انتباهي مؤخرًا ضابط كان مطلعًا على جميع الإجراءات التي بموجبها يتم منح الأوسمة، إلى أن منح الصليب الفضي، وهو الأفضل، يكون بمثابة ترقية للضباط غير المكلفين. وهكذا تجري الأمور، ثم ختم الضابط كلامه بأن هذه الأوسمة تعتبر هدية للنفس.

إنني أكره العادات المستحدثة في السنوات الأخيرة، من الغيبة والانتقاد. ولن أفعل ما يقومون به، كما أنني بالكاد أسجل ما أسمعه، من دون أن آخذ موقفًا من المشكلة. فقد أصبح الرجال غالبًا ما يكذبون، وليس فقط في السياسة. فهم يكذبون عادةً وغالبًا ما يكون لأجل تحسين سمعتهم الشخصية. على سبيل المثال، في التاسع من نوفمبر1923، في ذلك اليوم العظيم، بعد أن خطط هتلر ليهرب من «فلد هرن هالي» غير مصاب بأذى[36]، ألّف قصة خيالية عن إنقاذه طفلا كان يبكي من صوت أزيز الرصاص. لا يوجد شهود قد رأوا الطفل. فلا شك في أن الهدف من وراء هذه القصة كان ليغطي عن رحلته المخزية بدموع عاطفية كاذبة.

لقد أخبرني «دي» عن شيء آخر يفسر شخصية هذا الرجل. فقبل توليه مركز السلطة، كان دائمًا يدعو مدير شركته السابق بـ «يا أنت»، كما «سيدي، القبطان»، وعندما يلتقون كان «دي» يناديه بـ«أنت» لرئيسه.

لقد كانت تلك أعراف الحرب العالمية الأولى، التي استمرت حتى 1932. والآن أصبح «دي» المفوض العام لميونيخ، والآخر أصبح رجلا ذا سلطة قوية مع قبعة سائقي الترام الفضية... والآن، كان هذا إله الألمان، المتحكم بالحياة والموت. لقد رفض أصحاب «بارر سترس»[37] لغرف المفروشة، الذين كانوا

(36) . خلال الإنقلاب الذي فشل عام 1923، أصيب هتلر إصابة بالغة في كتفه. وكما ذكرنا سابقًا، قد هرب إلى "اوفينغ".

(37) . لم يسكن هتلر في شارع بارر في ميونيخ، ولكن الجريدة النازية صرحت بهذا الخبر.

يجازفون مجازفات لا حدود لها ليعرضوا تصاميمهم لسيادة الدول الأجنبية[38].

ولكن هذا ما حدث مع البروسيين الأعزاء، وحتى مع بروسيا التقليدية المسكينة؛ فليحاولوا بقدر ما يستطيعون، فلن يتمكنوا من إخفاء ذكائهم العسكري المتواضع؛ حتى وإن قادهم الحظ إلى اعتلاء مراكز القوة. أثناء استمرار «دي» بالحديث، مرّ فوج من الجنود الشباب في الشارع بالأسفل في هذا اليوم الرّبيعي الرطب. لم يكونوا حاملين حقائب ظهر مريحة، بل حقائب من الصوف الخشن على ظهورهم. كانت الحقائب شبه خالية ويحملونها بوحشية، ولكن فائدتهم من كلّ هذا هي أنهم قد أصبحوا ذكرى في هذه الثكنات والساحات. هذا ما هم عليه. مجهزون وعلى أتم الاستعداد ليتم استخدامهم في أي وقت ليلبوا رغبات زعيمهم الذي اعتاد على التحكم في حياة الناس، فهكذا دمروا ألمانيا، وهكذا هم مستعدون لتمثيل العالم. قريبًا جدًا، ستواجه ألمانيا سؤالًا أخيرًا؛ إمّا أن تتحرر من سيطرة بروسيا، أو أن تتوقف عن الحياة. ولا يوجد خيار ثالث.

لقد استخدموا احتفالات عيد ميلاد الإمبراطور في برلين لإعلاء شأن «برونو بيرهام»[39] ليصبح شاعر بلاط. السيد «برونو بيرهام» الذي عرفني بنفسه على أنه مناصر لملكية أصحاب العرق ومن ذوي البشرة السوداء النقية. والذي كتب بعد سنتين كتابا منحطّا عن القيصر خلال الحرب... إن السيد «برونو بيرهام» الذي كان يسعى إلى أن يجد مكانًا في قائمة الإنتظار حتى بين

(38) . في عام 1939، زار "غورنغ" مدريد، وخلال ذلك الوقت أراد مشاهدة التمثال الألماني الجديد "الذي طلب بشكل خاص على شكل النسر الألماني" والذي كان يزين فناء رئيس أسبانيا "فرانسيسكو فرانكون". ولكن يبدو أن "فرانسيسكو" قد نسي بأنه قبل قد عرض ديكورًا أسبانيا على هتلر ولكنه قد رفض العرض.

(39) . ربح "برونو بيرهام" جائزة الكتاب الوطني الألماني عام 1939.

الأدباء اليهوديين في فيينا عام 1930، والذي كرّس كتابه «لذكرى مخلصة» لزوجاته، والذي أصبح، بعد عدة سنوات، يكتب مقالات تحريضية ومعادية، واحدة تلو الأخرى.

اوه، أنا واثق من أن لديه بعض سياسات الأرشيدوق التي يحتفظ بها في مأمن بمكان ما لتكون جاهزة للإستخدام كذريعة سياسية لصالحه عندما يتطلب الأمر هذا. على أيّ حال، أعلم أنه سيكون أذكى في تغيير مسار الخطة من «برونو»، الذي أصبح كاثوليكيا في عام 1933، عندما تراءى أن الكاثوليكيين سوف ينتصرون. ولم يحدث هذا، ثم بدأ مساره ينحرف إلى النازيين. ولكن مع الأسف لم يعطِ وجوده القوة والتأثير اللّذين كان يحلم بهما.

ولكن أليست هذه طريقتهم جميعًا؟ أولم يكن من المتدربين في الحرب للعالمية الذين لم تتم ترقيتهم أبدًا، وخرج من الحرب ليؤلف كتابًا يتحدث عن تجربته القوية والفريدة من نوعها، ومن ثم واجه حقيقة افتقاره وعدم قدرته على سرد قصة واحدة، لم يستطع إكمال كتاب آخر مأخوذًا من الوهم والخيال؟ فهم يستمرون في تقديم نفس الفكرة القديمة للمرة الثالثة والرابعة والخامسة، في كتاب بعد التالي، كزيادة الماء الحار من دون تقوية الفكرة الأساسية. فمنذ سنوات طوال وهم يعيدون كتابة نفس الكتب بشكل مليء بالفراغات الموجودة بالنسخ القديمة من الكتب التي كُتبت بواسطة كتّابهم العظماء.

إن المتدربين العسكريين الدائمين أصبحوا ذوي خبرة كافية تؤهلهم لقيادة الانقسام؛ يمشون على خطى «هازون» و«ألبيرت ستيفتر»؛ متخصصون في الدم والتربة، في تعقب الروائح وتدخين الغليون؛ شباب ما قبل رافائيل بأعين يملؤها الجحيم؛ قاتلوا الملائكة والتنانين لسلامة العذرية و«واسرمان».

لم يكن الجميع ذوي بنية جسدية صحية. لم ينج واحد منهم من أن يفعل

فعلة شنيعة كما يدعوها «فونتان» في «قصص الشيطان» التي كتبها. لا يوجد واحد منهم يمكنك أن تدعوه «صديقا».

لقد قلت هذا من قبل؛ لنا نحن الذين بقينا، إن أصعب ما لا يمكن تحمله هو ازدياد وحدتنا. فرفاقنا باتوا يختفون واحدًا تلو الآخر، مقاومين كأولئك الذين يعتقدون أننا مازلنا نقاوم.

اليوم، عندما نزلت من القطار، علمت أن «ماكس مور» قد توفي.

كان قد هاجر عام 1934، ومات بينما كان يعمل طبيبا في شنغهاي قبل سنة؛ وقد علمت بوفاته للتو فقط. كان ضابطًا شجاعًا ومعطاءً أثناء الحرب العالمية الأولى، متزلجا ومتسلق جبال، مزارعًا وطبيبًا.

صديق «ديفيد هيربرت لورنس». مؤلف الكتاب الذي لا ينسى «**ارتجاليات يناير**» الذي يحكي عن التمرد لدى الرومانسيين. كاتب أيضًا لروايتين أكثر قوة إن صح التعبير. لم يكن ثمة أحد بقوة ذلك الرجل وهو في أعلى قمم الجبال ووسط الثلوج.

ألم يكونا «لورانس» و«مور» عسكريين في الوحدة العسكرية الحديثة، من الذين عاصروا أسواق البورصة العالمية واستيقظوا من الإشمئزاز؟ ألم يكونا معا من تلك العصابة الصغيرة ولكن مجردين من الأعلام؟ إن كل شيء مشتت حتى الآن، ولكن طالما أن الشمس مستمرة في شروقها على الأرض، ما الذي يمكنه أن يفقدنا السيطرة كاليأس وبيع النفس؟

من «**صداقة لاديز**»:

عندما لم يكن الرجال يكتبون روايات في ذلكَ الوقت. كان هنالك فراغ كبير، ذلك أنّ الروايات لم تكن معروفة. كان البروسيون أول من كتبوا

الرواية... ولكن قد يكون هذا خارجًا عن الإدراك، لذا سيحظى الرجل بميدالية تذكارية ليوم ولادته!

لم يسبق لأحد على الإطلاق أن قاوم السخرية على وطنه، ولا أن طواه بحب عاصف. ولم يسبق لأحد على الإطلاق أن ركل مؤخرة شخص ما أو شيء ما نكرهه جميعًا؛ «كورفرستندروم» و«آي.جي فاربن»؛ المصانع المجاورة لحوض الرور، والفتية الذين يرتدون البناطيل القصيرة في ملهى «سيلبرسبيغل» (كان ذلك الملهى معروف بأنه ملهى المثليين جنسيًا)؛ وألعاب الورق والعاهرات المتطوعات في فوربورج برلين.

اوه، بريفيريا، يا حبيبتي، يا أجمل الأراضي على وجه الأرض. لقد باتت الآن متوقفة بين العمل الرابع و الخامس للدراما الكونية. أصبح طريق الوادي خاليًا حتى من مناجم الجنوب في «كاروندیل»، فهذا وقت إنتاج الحليب. لا تزال الأسراب المكسوة بالسواد بعيدة تتنقل بين الحقول، لقد تم طرد المزارع من منزله، وقتله وتم انهاء المهمة في وقت طويل من دون عجلة. والآن ها هم يأخذونه من منزله الذي ولد فيه، ومن عمله، والجيران يحملونه بين أيديهم متجهين إلى الكنيسة الصغيرة ذات الأبراج البصلية. ولا يزال في الجوار جيران آخرون، محمولين على عربة القش. أحصنة ضخمة تجر عربات ذات لون أخضر، آخر الأحصنة البافارية قبل مجيء الجرارات، التنانين الفولاذية.

كانت الشمس تلقي أشعتها على هذه المشاهد. ما هو السر الذي ظهر وجعلك تتألم بحسرة وألم على منزلك؟ إن أشعة الشمس البازغة تلقي الضوء على شبابك وشبابي عندما أعطيتني «صداقة ليديز» في ذلك اليوم المشؤوم من شهر يوليو 1913.

وبعد سنتين من الهجرة إلى شنغهاي، توفي بسبب نوبة قلبية بعيدًا عن

موطنه ومكان ميلاده «كاروندل». تم حرق جثته في الغربة، وإلقاء رماده إلى الرياح من على سطح النصف الأخير من السفينة المبحرة في البحر الشمالي، قرب المنزل، بعيدًا عن «هيلغولند»...

على خلاف الجميع، نرى هؤلاء الروائيين، مع قصص الحرب خاصتهم التي لا حصر لها والعقود المبهرة التي أمضوها من حياتهم قد انتهت بـ(حظ الموت المفاجئ، الذي نتمناه جميعًا في النهاية).

والآن حتى أنت. ينطفئ ضوء ويأتي آخر. وأخيرًا، يعم الظلام على المسرح والمنصة، بينما كانت الحيوية والنور ماهي إلا فترات قصيرة قد انتهت، والآن لا شيء. بين الحين والآخر، تهب رياح شديدة البرودة من الحجرات المظلمة الموجودة خلفنا، وتكتسح المسرح.

الشجاعة شيء متطلب حتى تعيش الآن. الشجاعة، واستجماع القوة بشكل يومي لكل شيء يريد أن يقوم به المرء. فخلال السنوات القادمة، ولتستمر في العيش، يجب أن تستمر في الكراهية. الشجاعة مطلوبة، والايمان بهذه الفكرة يتطلب صراعًا حادًّا حتى تصبح حقيقة.

أغسطس 1939

ذهبت إلى منزل «جانتغز»، في «وولفغانغ». أصبحت ملكيته العقارية في موضع خطر، فصاحبها يخشى الحرب. كان مشغول البال بالخوف عمّا سيحدث لمجموعته الفنية وأسهمه وأمواله، وعن إمدادات مركز التدفئة في منزله بالفحم، وماذا لو وفرت أنواعا كافية من السجق لوجبة عشائه في السنة المقبلة. فهو باعتباره ممثلًا، يبدو أنه ليس أكثر ولا أقل من شخصية ممثل من الدرجة الأولى. كرجل، أرى أنه رجل سمين من الطبقة البرجوازية، ممن يخشون أن الأزمة العالمية ستفسد عليهم متعة الاستمتاع بالصيد وتدخين السيجار على ضفة البحيرة.

أخبرني «جينتغز» عن كل الأمور الفاضحة التي فعلها مشاهير برلين الذين كان من بينهم «غوبلز»، الذي كان برفقة زوجة الممثل «فروليك» وجهًا لوجه، وقد ضرب أحدهما الآخر. الحقيقة شيء آخر مع الأسف. بما أن «جينتغز» قد قال إنّهُ كان شاهد عيان، سوف أؤكد على حقيقة ما يقوله.

كان يبدو أن «فروليك» قد ترك الحفلة التي ذهب إليها برفقة «جينتغز»، وخرج ليجلب سيارته ليذهب إلى المنزل. وجد «فروليك» زوجته في السيارة سويًا، مع السيد الوزير... دعنا نقول، وجهًا لوجه. لم يتشاجر مع «غوبلز»، ولكنّهُ صفع زوجته بعدَ لحظات، عدة مرات وشكر خادمه لأنه ساعده على

كشف زوجته الزانية.

هذه هي القصة الحقيقة. فالرجل لا يمكنه أن يتحلّى بالشجاعة لمواجهة أي مشاحنات في الأماكن العامة. ولكن النسخة الشهيرة تتضمن نهاية مرضية بشكل أكبر للقصة، وهي أن الوزير «غوبلز» قد تعرض للضرب. وبشكل مفاجئ أصبحت أغنية (أريد أن أصبح سعيدًا) مشهورة على نطاق واسع.

لقد أمضيت الأيام القلية الماضية من شهر أغسطس في «تشيمسي» مع السيد «كي»، الذي كان عضوًا في مجلس الوزراء قبل عدة سنوات، والذي كان رغم صغر سنه يعرف «بسمارك». تحدثنا عن تجربته خلال الحرب، وعن أول أيام الحرب قبل خمس وعشرين سنة في حدود شرق بروسيا. ومن ثمّ، في الليالي مكتملة القمر وقبل فترة قصيرة من إعلان الحرب، أسرعت الدوريات متجهة إلى أطراف الحقول، واصطفوا رجلًا خلفَ آخر، غير مبالين بسيقان نبات القمح. وحتى بعد أن بدأت الحرب، كان من الصعب أن يجندوا المزارعين ويجعلونهم يمتطون الأحصنة في الحقول استعدادًا لموسم الحصاد...

إن تلك الأحداث والصور ليست بعيدة عنّا زمنيًا، ولكنها أصبحت مجرد أسطورة من الماضي:

غرس جندي في سلاح الفرسان البروسي رمحه في جسد رجل روسي خلال أول معركة للفرسان، وأسقطه من فرسهِ. ولم يستطع أن ينتشل رمحه. ثم بشكل مفاجئ، نظر إلى جسد ذلك الروسي أسفله،وشرع في البكاء بمرارة. أمسك الروسي بيده، وأخبره بألّا يغرس الرمح في قلبه، لأجل المسيح.

مشهد آخر: حُكم على فتى يهودي بالقتل وفقًا للقانون العسكري بتهمة مساعدة العدو، وقد تم جرّه إلى ساحة الإعدام وهو لا يعلمُ السّبب. كانوا قد

سلّموه بيانًا يحملُ قرار المحكمة، فنظر إليها بتشكك وسأل: «أرجوك ... ماهو محتوى هذه الورقة الصغيرة؟».

مشهد آخر: أخبرنا مزارع روسي طاعن في السن بعض الشيء، كان يرتدي زيّ العساكر الروسيين عندما قُبض عليه، أنه كان ورفاقه مستعدين تمامًا لإطلاق النار عن بعد ألف متر أو أكثر «لا يمكنك أن تصوب نحو شيء». حتى وإن كانت المسافة حوالي خمسة آلاف ميتر، كانوا يطلقون النار (على الأقل لا يمكنك أن ترى إن كنت قد أصبت شيئًا أم لا). ولكن عندما اقترب الألمان في حدود مسافة تبلغ مائة متر، ألقى الروسيون جميع أسلحتهم وفرّوا هاربين، ولم يستخدموها تحت أي ظرف كان «فمن سيتجرأ يا سيدي على ارتكابِ إثم على نفسه من خلال مسافة قصيرة جدًا!».

كنا نتحدث عن «بسمارك»، في حين أن **هتلر** كان يشحن من الأسلحة العسكرية الثقيلة المتجهة إلى طريق «سلازبيرغ» السريع. كان كل ما على «كي» فعله كشاب في الخدمات الخارجية، هو إعطاء المحاضرات قبل المستشار. كان يوجد على طاولة «بسمارك» صحن فيه قطعة من السجق، وبينما كانَ الشاب يلقي المحاضرة، كان بسمارك يقطع لنفسه شريحة من السجق من وقت إلى آخر، عريضة بعرض إصبع الإبهام، ثم يغطيها بقطعة من الزبدة بحجم الإبهام أيضًا، ثم يضعها في فمه، من دون أن يكلّف نفسه بوضعها في قطعة خبز...

لا يعتريني أي شك في اعتقادي بأن البنية الجسدية الكبيرة لرئيس الدولة تؤثر بشكل كبير على السياسات التي يتبعها. كما أن بزوغ إمبراطورية نابوليون وأفولها تعد أكبر دليل على ذلكَ. وأريد أن أعرف ما هي الكارثة المترقبة إذا قرر الرئيس المخصي الآن أن مصير ألمانيا متعلق بالجلوس على واحدة من وجبات بسمارك الخفيفة.

سأصاب بالشّلل الرّوحي إذا حاولت إنكار المكانة الحقيقية لبسمارك وعمق مشاعره. ولكن نحن الآن نجني حصاد المجالات الصناعية المختلفة لبروسيا العظمى التي زرع بذورها. إنني مقتنع الآن أكثر من أي وقت مضى بأن عمله يحتوي على أخطاء فادحة بسبب الأحكام الكبيرة غير العادلة التي يرتكبها الرجل، والآن يجب أن نشكر الحكومة على صناعة التفكير الأحمق، وعلى حقيقة أننا أصبحنا نحتج على الجماهير، الذين يتكاثرون كالأرانب، عاطلين بلا عمل يبقيهم منشغلين، غير أنهم كانوا الوسيلة لزيادة الجشع للسُلطة.

نحن الآن على أعتاب الحرب العالمية الثانية، ومرّة أخرى سيصبح العالم كله ضد ألمانيا، التي ستشتق من الدولة البسماركية. وأنا شبه متأكد من أنّ حربًا كهذه، تم التصريح عنها بواسطة بروسيا ، ستخسر قبل أن يتم إطلاق أول رصاصة. لا يمكننا أن نتحدث عن أيام أفضل قادمة إلا وإن باتت لدينا فكرة عن الكارثة القادمة التي ستحدث. ستكون لدينا توقعات فقط إن تمكّنّا من الجلوس على قمة هذا الركام الصغير من الأنقاض التي ستكون نتيجة تلك الحرب القصيرة الآتية، تلك الحرب المحتومة، و التي ستبدأ قريبًا.

بدأ فصل الخريف وأصبحت سماء اليوم صافية، إنه آخر يوم من السلام. مع تلك النجوم اللامعة الموزونة التي ترصع السماء، كان قطيع من الثيران يجرّ محراثًا صعودًا ونزولًا عبر حقل جاف. كان منظرهم كما في السابق عندما اقتربوا من مهد المسيح. كانت الأرض الفسيحة والطاهرة التي لا تشوبها شائبة منبسطة أمام عيني، منكشفة وآمنة، منعزلة كفقرة توضيحية في كتاب.

وبعد لحظات قليلة، وصل الدمار إلى عنان السماء. شعر الناس بهذا وأصبحوا قلقين من الأعماق. كان المزارعون، وعلى و جه الخصوص المزارعون البافاريون، الوحيدين الذين بقوا في ألمانيا ممن ظلّوا على تواصل مع كيانهم

الداخلي والشعور الأساسي للواقع، رغم الهيستيريا العالمية وسلسلة السرقات الناجحة التي تحدث حولهم. كان الوحيدون المتحمسون في الوادي هم «قوات شباب هتلر» المشاغبون الذين تم تدريبم في «رادو»، وكانت لديهم فكرة أن الحرب ستكون شبيهة بالمتنزهات العسكرية الأسترالية والتشيكية.

في اليوم التالي عندما كنت في طريقي إلى المنزل، زارني الحداد ليخبرني بآخر المستجدات: إنّ الأقزام الذين يتحكمون في مصير ألمانيا قد بدؤوا الآن الخطوة الأولى، وخلال هذه اللحظة أصبح صوت ذلك المخمور المصاب بانفصام بالشخصية يصدح في كل مذياع.

ضغطت على يد الرجل. قريبا ستنقضي سبع سنوات من المعاناة والكره الذي يعيشه وعشته معه. ليس لدي أدنى شك في أن المعاناة القادمة والتي لا حدود لها سوف تأتي، ولن نتمكن من تجنبه. ولكن أيضًا ليس لدي أدنى شك في الشيء الذي جعلني صامدًا للسبع سنوات الماضية، محافظ على قوّتي في أشدّ ساعات حياتي ظلمة... من المؤكد أن الوحش العظيمَ قد وقّعَ على وثيقة ضمانِ موتهِ.

لقد كرهتك في كل ساعة مرت علي في حياتي، أكرهك وأنا على أتم الاستعداد لأدفع حياتي ثمنًا في سبيل موتك، سأكون سعيدًا جدًّا إن دخلت إلى قبري بعد أن أشهد موتك، ومن ثم آخذك معي إلى أعماق الظلام. عندما حررت هذا الكره من داخلي، شعرت بأنني أستطيع التغلب عليه، ولكني لا أستطيع أن أغير هذا، ولا أعرف حقًا كيف سيكون التغيير. دعونا لا نسمح لأحد بأن يهمل هذا، أو أن يشعر بأنه أحمق بشأن قوة كراهية كهذه. تتحول الكراهية إلى حقيقة. فالكراهية هي أم الأفعال. فطريق الخروج من هذا المنزل المدنس والقذر من خلال الدعوة إلى كراهية الشيطان. من خلال هذه الطريقة

فقط سنتمكن من نيل الحق بالبحث عن طريق الحب من داخل الظلمات.

20 سبتمبر 1939

النازيون (لا أريد أن أتحدث عن الألمان)... النازيون محتلون عسكريون. إذًا، ما الذي ننتظره ليحدث بعد هذا؟ صيف ممطر لا أمل له جاء بعد انتهاء الخريف المشمس الصافي، إنه فصل مليء بجميع روائح الأدخنة، فوق أرض تغلب عليها الصلابة والقسوة ودبابات مأمورة بأن تكتسح وتهدم كل ما تراه أمامها... الفرسان البولنديون، وكلّ الجيش البولندي... وإن كانت بولندا لنا اليوم، فغدًا سيكون العالم كله تحت سطوتنا.

نعم، إنّ النازيين محتلون عسكريون وقد يكونون ناجحين في الإحتلال أكثر من نجاحهم في ساحة المعركة. إن المحررين الصحافيين يضحكون بطريقة متعطشة إلى الدماء على أوراق الصحف على ما آلت إليه غاباتنا. لقد اخترعوا لغة إعلامية جديدة تتلاءمُ مع هذه الأوقات العظيمة التي نعيشها، والآن ها هم قد أعلنوا عن إنجاز 1899، وعن التزامات النساء في الحرب، وتعزيزات النساء الألمانيات، وتحدثوا عن قطعة الأرض القديمة الموجودة على أرض ألمانيا، وهي «بوسن». وعندما تم تذكيرهم بأن «بوسن» مقاطعة بولندية منذ قديم الزمان، أي منذ زمن العظيم «فريدريك»، و حتى أن قديمًا حارب عساكر من "دانزيغ" إلى جانب البولنديين في معركة "تاننبيرغ" الأولى، أصبحوا بذيئين وهددوا بأن يخبروا الجيستابو...

بالطبع، إن النازيين محتلّون عسكريّون، كما أن «المعلقين الإذاعيين على الحرب» الذين كانوا يجلبون بأعينهم المزيد من البريق على اللّغة الألمانية، وكأنهم «يريدون الأعداء أن يروا شرًّا كافيًا ليجعلوهم يبدؤون بالسلام ويعطونه شيئا ما ليمضغه ومن ثم يردى مصروعًا على الأرض». وعندما أخبروهم بأن لغتهم الألمانية شبيهة بورق المرحاض وقطاع الطرق، تحولوا إلى أشخاص قذرين، ينبحون بأنهم جنود، وهذه طريقة حديث الجنود، وإن لم تصدقهم، يمكنك أن تكتشف هذا بنفسك في مخيم القوات العسكرية.

اوه، نعم، إن النازيين لا يفعلون شيئا سوى الاحتلال العسكري، فهم يحتلون من دون انقطاع تمامًا كما كانت جيوش فيلهيلم تفعل عام 1914، كما أن سراديب البيرة قد ضمّت مجددًا جميع أنحاء العالم. وفي المقهى الوطني، مؤخرًا، استخدم السلك الطبي في العصور القديمة هذه المصطلحات الحالية في أعمدة التعرج مع الإنجليز سويًا كالخنازير رغم حقيقة أن القدماء لم يروا في حياتهم مثالًا على هذا الآخر في «تصرفاته الطبيعية»، ليتحدثوا عنها.

عندما أقف و أعلق على هذه اللغة غير المبررة، ينظر إليّ بعيني الرجل المجروح، ويشعر بأن العالم بأسره قد تحطم وأصبح فتاتًا بين قدميه، ثم يتمتم بكلام عن أنه كان يظن أنني رجل «وطني».

22 سبتمبر 1939

عزيزي «ريك»،

ها أنا أكتب إليك من أرض الوطن، عائدًا من الحرب البولندية وقبل أن أغادر مجددًا إلى الجبهة الغربية لهذه الحرب الثانية. أنا الآن قائد للقوات الجوية، عدت للتوّ من الحرب البولندية وقد أدّيت إحدى عشر مهمة بعض هذه المهمات لم تكن عادية مثل قذف القنابل العشوائية واصطفاف صفوف من العساكر والقطارات العسكرية. مرّة، من شدّة حبّي للطائرة، نلت دعوة كضيف في مهمة إلقاء قنابل على «وارسو». إنها واحدة من الكثير بالطبع، ولكن كانت هذه مهمة نزول عمودي من 16000 قدم إلى 2200 قدم. وقد انتهيت من المهمة من دون أن تتأذّى الطائرة، حتى وإن كان هنالك القليل من الخدوش عليها. والآن ما الذي سوف يحدثُ لأنجلترا وما الذي سوف يحدث فيها بعد.

ما سمعته كان صحيحًا، فأنا لا أكذب، إننا على وشك أن نتحدى المستحيل. فنحن أبناء العظماء، وهم الأكثر رحمة. ولكن لدينا طريقتنا الخاصة في تحديد مصيرنا. فقد وضعنا أيدينا على حناجرهم، «باركني وإلا لن أدعك تذهب!».

عزيزي «ريك»، لم أكتب إليك منذ سنوات حتى الآن. ولكن لدينا الوقت الكافي والإضافي، نحن البشر، يجبُ علينا ألّا نستعجل. أريد أن أشاركك وجهة نظري في تفضيلي لشرق بروسيا، حتى وإن كانت بطريقة أو بأخرى سيئة للغاية. الآن، لقد حلقت في سمائها كلها، من أقصى شمالها حتى غطيتها كليًا،

لأجل مهاجمة العدو، وفي كلّ مرة كانت لدي حمولة من القنابل التي أرميها عن بعد 1600 كيلومتر. وفي كلّ مرة بعد ساعتين من المهمة كنت أعود من بولندا بأمان وسلام لأجل مجد «مادوراي». في بعض الأحيان، كان هنالك أموات على متن السفينة، وقد تفقد الطائرة، وقد يتم إطلاق النار على الشحنة، وتضطر إلى القيام بهبوط اضطراري على أكوام من المعادن. لأنك عندما تقبض على جندي مشاة بولندي ينقل كتيبة من ضفة الجزء الجنوبي من المستنقع، و بعد ربع ساعة يضعها في المقبرة، فيجب عليك ألّا تسأل نفسك ما هو الثمن الذي ستدفعه. ستشعر بأنّ موتك سيكون غير متوقّع. أنا لا أعلم يا «ريك»، كيف لك أن تعرف هؤلاء البولنديين حقًّا، وإلى أي مدى ستفكر في الأمر العسكري الذي نفذناه هنا. و لكن هذا كل ما أعرفه، سيسري هذا الأمر العسكري، حتى و إن تحولت أوروبا وإنجلترا إلى رماد وفتات.

لقد كنت أحد أعضاء جنود هتلر الشباب، وقد سلّمت بيانا من إحدى السلطات رغم حقيقة أني لم أكن جنديا عريقا في الحرب، وأنا بطبيعتي رجل مؤمن بالاشتراكية الوطنية حتى النخاع. نعم يا «ريك»، إنني أعلم بكل الأخطاء الفادحة التي ارتكبت. ففي بعض الأماكن تصل الجذور اليابسة إلى أعماق الأرض. ولكنني أعلم أيضًا أن تلك الأخطاء ليست فادحة إلى هذا الحد حتى وإن كانت تلك الأخطاء تلامس الروح، تمامًا في الشعور الذي يصفه صديقي العظيم، «ريك ملاكسوان»، وأنا أؤمن بكل ثقة في الروح الثالثة لوطني ألمانيا. نحن الإثنان، أنا وأنت، نمشي في طريقان مختلفان تمامًا بالطبع. النمسا والسوديت والبوهيميا وميمال كانوا بمثابة هدايا عيد الميلاد بالنسبة إلي. ومن ثم، في منتصف فصل الصيف، وحتى الآن، في منتصف الحرب، أجد أن مجرد التفكير في أن فيينا لم تعد بعد الآن جزءًا من ألمانيا يعطيني شعورًا بالراحة

الجسدية. لقد كنت سعيدًا في كوني جزءا من هذا. لقد كان علي أن أذهب إحدى عشرة مرة من شرق بروسيا الشامخة، وأحلق فوق حقولها البهية المنقطة بعشرات الآلاف من النساء اللاتي كنّ يلوّحن لي إلى اللقاء؛ وعدت إحدى عشرة مرة، سعيد للغاية، بشكل أعظم من كوني مازلت على قيد الحياة. الآن، يجب أن تكون الحرب ضد إنجلترا، لذا يجب أن تُحرر شرقي بروسيا من انعزالها وحدودها التي تجعلها كأنها وسط قفص، مرة واحدة و إلى الأبد. أعتقد أنها مهمة صعبة. أن تكون إنجلترا مثالا للإيمان، أو أنها عبارة عن خرافة. قد تظهر و كأنها قطعة من الجلد اليابس صعب المراس. ولكن لتفوز عام 1918 بثمن غالٍ، و من ثم في عام 1933، أو بالتأكيد عام 1935، ليسمحوا لعدو دولة ما ليتشبع بالقوة مرة أخرى إن هذه هرطقات سياسية من أسخف و أتفه نوع! ومن ثم فقط، حرب مع ألمانيا؟ كلا يا «ريك»، هذا بالتأكيد غير منطقي، غباء فادح، وكأنّ مظلة السياسات البرلمانية هي التي تعطي الفرصة لكل من يريد أن يدخل تحتها، و من ثم مجابهة الأعداء عندما تشعر بأنك شخصيًا مهان.

إنني لا أملك أدنى فكرة عمّا سيحدث من الآن فصاعدًا. فعقلي مستريح، بالكاد أستطيع أن أجلس خلف قاذفة القنابل وألقيها على كلّ من يقع في طريقي. ولكنني بدأت أستوعب فكرة أن المشكلة التي جعلتنا نحارب هنا ببساطة كل ما تبقى من وجود إنجلترا وألمانيا. لم أعد أهتم يا «ريك» بشأن عدد الإنذارات التي تأتينا بشأن «اسوداد السماء» وإنجلترا. نحن غير متعودين على المحاربة في الظلام. تذكر أننا قد نلنا تجارب ثمينة في بولندا عن كيفية التصرف تجاه الناس والشعوب الذين يُصِرون على أن يكونوا أعداءنا. و من الواضح أنا البولنديين قد حاربوا ببسالة. ولكننا مازلنا نرميهم بالرصاص بلا رحمة ونحوّلهم إلى أشلاء. كما أني أعتقد في قرارة نفسي أننا لا نكره البولنديون حتى

بكل تأكيد نحن لا نكرههم الآن، فهاهم اليوم ما هم إلا أرواح معنوية محطمة من البدائيون. ويبقى أنه عندما يأتي سؤال عن المزارعين الألمان على أنه قد تمت خيانتهم عن طريق إطلاق النار عليهم من الخلف، سنتمكن من الإمساك بزمام الأمور بالنسبة إلى هذه المسألة وسنتعامل معها ببرودٍ ألماني كامل، ولا يهم كم عدد البولنديون الذين سنضعهم خلف القضبان. و ما الذي يجري هنا هو الأهم على الإطلاق وقد انتهى، وبالنسبة إلى الأمور الطارئة فهنالك المزيد من العمال والمزارعين الألمان الموجودين أكثر من البولنديين الموثقين. لا أعلم إن كانت هذه الطرق متاحة في إنجلترا. ولكن ما أنا متأكد منه هو أننا قد اقتربنا من التصرف بروح: «إن لم تكن أخي، فسيقطع رأسك». وقد اتخذت قراري بشكل رسمي بأني سوف أشن غارة على أي عضو من أي شعب سيخالف أوامرنا العسكرية الجديدة في الشرق، أو يحاول أن يحدث خرابًا في الاشتراكية الوطنية. وسأفعل هذا دون أيّ رحمة قد تخالج عقلي لن أميل إلى تمني شن هجوم رقيق على ألمانيا، إلا حين تنتهي هذه المعركة إما بالحياة أو بالموت كالبشر. إن الإنجليز بالتأكيد، ببيانهم المتكبر بشأن ما آلت إليه الحرب من جوع على النساء والأطفال، قد أظهروا أنهم يفكرون بشكل إنساني وحساس.

ألا يرعبك هذا يا «ريك»؟ ولكن لم يسبق لي أبدًا أن أجبرت التشيكيين أو البولنديين على أن يصبحوا ألد أعدائنا، والآن ها قد اختارت إنجلترا هذه اللحظة بالتحديد لتشن الحرب علينا فقد كنت عقلانيا عندما قاومت الإرتعاد ولوحت بيدي علامة على بدء الحرب. إن هذه حرب عالمية جديدة دون شك، متجهة ضد الكثير من الناس، ولكن لا يعتريني أي شك في أن هنالك عشرات الآلاف ممن هم مثلي، ممن سيجبرون البقية على أن يكونوا كما ينبغي عليهم.

أعتقد أننا سنتدبر أمرنا بالنسبة إلى الحرب على إنجلترا بنفس

الاستراتيجيات الدقيقة الباردة. . . مع اختلاف بسيط بالنسبة إلى النازيين، بميزة الإصابة أو الإخفاق كما في حرب «ويليام». فمن المدهش كيف أنه رغم التعب و الإنهاك إثر الحرب العالمية الأولى، كان رئيس هذا الشعب قادرًا على إقحامه في حالة تأهب لحرب أخرى .على سبيل المقارنة، أعتقد أن الشعب الإنجليزي أكثر أو أقل ضعف بسبب كثرة سكان المدن، أي أنهم بالكاد قادرون على لعب دور البطولة، مع الأخذ بعين الإعتبار أرستقراطيتهم العتيقة وعاداتهم التافهة. والألمان بالطبع، فهم مختلفون بنسبة بسيطة بالنسبة إلى أرستقراطيتهم القديمة، ولكن بدلًا عن هذا، لديهم أحلام جديدة. على أيّ حال، سيكون الوضع مذبحة حقيقية، وإن وجدت نفسي قد سقطت مثل الصاروخ من السماء، سأظل، حتى آخر لحظة أعترف بأننا نتشاطر هذا المرح.

ولهذا، كان علي أن أتحدث.

مع أطيب أمنياتي.

صديقك «إكس.إكس»

رسالة كتبها سفاح هارب من العدالة؟ كلا، بل هي رسالة كتبها شاب صاحب عينين زرقاوين تشعّان بالحياة وضحكة فتى لا تقاوم، صاحب جيد كان يعيش حياة مدنية مسالمة... شاب من أسرة من الطبقة المتوسطة من سكان المنطقة المجاورة لنهر الراين، من أصحاب العادات و التقاليد الصارمة، وممن يهتمون بالطموحات التي تناسب حضارتهم. ولكن هذه نتيجة كل تلك الإنتصارات الزائفة و«الإيمان الزائد بالاشتراكية الوطنية». قد يكون «القفص» «مخمشًا» قليلًا، ولكن الإنسان لا يتردد أبدًا من الطيران متوجهًا إلى أنف الإله وإبلاغه: «اغفر لي ولكني لن أسامح، وإن لم تغفر لي، سنأتي ببرود ألماني جديد،

ونضع عددًا من الملائكة على الجدار».

هذا هو معنى كل تلك الإنتصارات. هذا هو الأسلوب، هذه هي لغة القوادين التي تصدح الآن من كل مذياع والتي تتدفق من أخبار الصحف كالمجرم المتنكر بزي رسمي. ولا تجرؤ على مخالفتهم، وإلا سيكون «الجيستابو» لك. و الأطفال، أصبحوا يستنكرون والديهم وإخوتهم إن كانوا يتبعون ذلك الشيء حتى ولو بنسبة بسيطة، يسلمون أخواتهم، والجميع للجميع، فدومًا يكون الصحيح هو ما يناسب ألمانيا. .

كما أن التأثير الذي حققناه من تلك الحرب، هو امتلاء العالم بهذا الجيل الجديد من الألمان، حتى وإن لم يكن هناك الكثير من المواليد الألمان الذين ولدوا... لماذا، إن هنالك إثباتات على مدى التأثير الناتج عن أوامر الألمان.

لقد اكتشف زوجان من سكان ميونيخ مؤخرًا أن الرؤية المشوشة، مع العمى المتكرر، قد تكون صفة متوارثة في العائلة. وقد أصاب الشاب نفسه بالعقم على الفور. ولكن بما أن الألمان الجيدين مجبورون نوعًا ما على أن يحظوا بأطفال، أرسل الرجل زوجته من دون تردد إلى ينبوع الشباب[41] إن ذلك الينبوع هو منظمة القوات المسلحة، مع مكاتب فيما تبقى من الكنيس وهو معبد اليهود في لينبابلتس.

وفي مكاتب الينبوع يوجد ألبوم مزود بصور المتبرعين بالنسب، وهم رجال شقر من القوات المسلحة الشمالية. ثم تقوم الزبونة باختيار صاحب واحدة من تلك الصور على حسب الذوق، ومن ثم تؤخذ إلى الشاب الذي اختارته في النافورة الرسمية. وبعد مضي القليل من الوقت، تجد المرأة نفسها حاملا، وعند الولادة، تسمي الأم ابنها الألماني الصغير «هاينز- ديتر» أو «إيك». وسيكبر هذا الطفل الصغير و سيغلب على الصفات الألمانية الجديدة التي تكسوها البرود،

ليُدمّر ويحطم كل من يجرؤ على مخالفة النظام الألماني أو الاشتراكية الوطنية.

كل هذا، سيهتم به ينبوع الشباب[40]، « لينبابلتس»، ميونيخ. رقم الهاتف، وما إلى ذلك. إن الدم الألماني الصافي سيتعكر!

هذا ما أصبحنا عليه، ومن ثم، هذا هو حال الشعب الذي يفوز بنصر تلو الآخر.

بصراحة، لا أعتقد أن هنالك مفهومًا واضحًا وراء ما يحدث اليوم. ولا أصدق أيضًا ينبوع الشباب ولا الأطفال الألمانيين، لا أصدق أعين قاتلي التنين، ولا خدّي الملائكة، لا عندما تلمس الفتيات الشقروات صاحبات الضفائر الشقراء التابعات لحزب المعارضين أكتافهم (أنظري! كم أننا دولة ذات شكل صحي بالكامل!)، ولا طبول شباب هتلر. أنا لا أؤمن بالنظام الألماني الجديد ولا بأعمال «ووتان» ولا بروؤساء ألمانيا فمتوسط الناس هو ستون بالمائة من السلوفاكيين... و«واتوون» التي يتحدثون عنها قد تكون غالبًا آتية إلى العالم من ضاحية «لايبزيغ» مثل إبن التفكير التيتوني المبارز، في حين أن زوجته «إيدا» ستصبح معلمة في المرحلة الثانوية من «شكويديتس»، «ساكسونيا».

كلا، فوفقًا لانطباعي خلال سنوات عديدة من مراقبتهم، سأقول إن كل هذا قد أتاهم من خلال الخداع الهائل للنفس، خلف تستر كل تلك الرغبات التي تقيّد الناس: إن الطمع والغضب، الانحطاط والتأثير والتحرر الجنسي، والانغلاق الكلي على الحريات الشخصية، ليس فقط من قبل آلهة واحدة، بل

(40) . كان ينبوع الشباب هو "ليبينسبورن" النازية، منظمة البوليس السري النازي الذي كان تحت قيادة رئيس البوليس "هينريك هيملر"، قيل بأن " ليبينسبورن" كانت تأخذ الأطفال من منازلهم في المناطق المحتلة و تعطيهم أسماء ألمانية جديدة. كما أنهم كانوا يستخدمون رجال البوليس السري النازي كـ"معشوقين" بنفس الطريقة التي ذكرها "ريك"، وهذا معروف على نطاق واسع، ولكن المراجع الألمانية لم تذكر أي شيء من هذا القبيل.

عديدة. إن الجماهير الغفيرة المجتمعة في المدن خلال سقوط الإمبراطورية الرومانية يظهر لنا نفس الطريق الذي جعلنا نصفهم بـ«الشباب»، نفس الضجة التي يصدرها المتخاصمون، نفس التحديات للشعوب الأخرى، ثم أيضًا، أيًا كانت المطالبات، يجب أن يوافق عليها العالم أجمع، لأن هذا ما يجري مع الشعوب الأصغر سنًّا!

في الحقيقة، إن ما لدينا هنا مرض عضال وأناس بسطاء لا مستقبل لهم، قدوتهم شخص لا أصل له، ولا شكل، ولا تعريف. من المحتمل جدًا أن يكونوا المسؤولين عما يحدث هنا هم رجال الأعمال وأصحاب المصانع، كبارهم و صغارهم، من مطلع القرن وسنوات ما بعد الحرب، الذين أعطوا دوافع لدعوة الحكومة بواسطة الشريحة الكبيرة من الناس المشردين المتجمهرين كأكوام النمل. قد يبدو لأولئك الرؤساء في هذه اللحظة أن أكثر السكان رضًا هم من الناس البدائيين. كما أن إعداد الأيديولوجيات والرموز الزائفة طوائف «ووتان» وسط الدينامو، الطبول وسط المذياع، ينابيع الشباب وسط عيادات الأمراض التناسلية، وأطباء أصحاب غدد درقيّة قد تكون أفضل طريقة لتشتيت الإنتباه من المجتمع الحقيقي والمشاكل الاقتصادية في هذا الوقت.

عمومًا، ألمانيا تغرق أعمق وأعمق حتى تصل إلى الخيال واللاوقعية كما لم يحدث من قبل... وها هي الآن مهدّدة بسبب أكاذيبها بشكل كلي. والعلاج سيكون أبشع مما قد مر في تاريخ البشرية.

الآن على الشخص أن يكره ألمانيا، كليًا وبمرارة، والسبب مرة أخرى هو لأجل ماضيها المشرق، لنتيح المجال للمستقبل أن نطوي هذه الصفحة ونحبها مجددًا كشعور الأم مع إبنها العاق.

نوفمبر 1939

ها أنا أكتب هذا في ميونيخ، التي مازالت تترنح إثر محاولة الاغتيال في حانة «بيرغر بلوكيلر». كانت الصحف تبكي بدموع التماسيح بشأن «الجبان، القاتل المجرم» الذي تجرأ على أن يهاجم المكان «الأكبر على الإطلاق في ألمانيا». ولكن، أتوقع أنه لم يكن هناك أكثر من ألف شخص من سكان ميونيخ الأصليين، ممن لم يحزنوا لأجل أن هذا الهجوم قد فشل. لقد كان الصحافيون يضحكون على مقالاتهم التي نشروها بأنفسهم. كان البيان الرسمي مصدر ضحكاتهم المرتفعة. لا أحد يشكك في أن كل المسرحية التي أدوها ما هي إلّا جزء من قاعدة الألعاب النارية التي وضعها النازيون بأنفسهم. إن تلك الألعاب النارية تكلف حوالي إثنتي عشرة ضحية، ولكنهم تلاعبوا ليوجهوا جميع الأنظار ضد إنجلترا وليظهروا هتلر في هالة مقدسة بدور المضحي.

أعرف «أوتو ستراسر» من خلال رسائله فقط. فبغض النظر عن أصوله البافارية، بدأ يدعو نفسه «راهبا دومينيكيًا بروسيًا» منذ الفوضى التي حدثت عام 1932[41]، وقد طاردني خلال فصل الصيف كله من تلك السنة مع مقترحاته السياسية غير اللائقة. كان أخوه جورج، الذي قتل في انقلاب «روم»، شابا صادقا، وقد قتل لأنه تفوه بالحق. لقد جاء ليراني عدة مرات في نهاية خريف 1932، وعندما بدا أن نجوميته بدأت بالسطوع، استقبلته ليشكر

(41) . في الثامن من نوفمبر عام 1932، انفجرت قنبلة كانت موجهة إلى هتلر في ميونيخ، وقد أدّت إلى مقتل ثمانية أشخاص وجرح ستة.

معلوماتي عمّا حدث خلف الأضواء من 1932 حتى 1933. لا يمكنني أن أنسى شيئًا مما قاله في شهر نوفمبر ذاك، عندما صوّت ضد النازيين في الانتخابات، وللمرة الأولى، بعد كل تلك الانتصارات.

قال سترايسر: «إنه يتحدث عن الانتحار ليخيف رسله. إنه رجل مجنون، لذلك عليك ألّا تأخذ كلامه على محمل الجد، وهو لن ينفذ تهديده مع الأسف. ولكن الأمور بالنسبة إليه الآن، إما كل شيء أو لا شيء على الإطلاق. وإن كنت أعرفه حقًا، فإنه سيؤدي هجومًا متهورًا إن تمكن من السُلطة. وإن فشل هذا ولم يصل إلى طريقه المنشود، سينتهي أمره. سيتناثرُ أشلاءً كالضفدع».

لقد دفع «جورج ستراسر» حياته ثمنًا في انقلاب «روم»، لأجل أعدائه. وعلمت أنهم قد وجدوا جثته المقطعة والعفنة في إحدى حقول الذرة. إن هذا الأمر يعد نموذجيًا، فعندما يُقال للأطفال بأن والدهم قد مات، تكون ردة فعلهم: «إن والد هتلر قد مات مقتولًا بالرصاص، وقد نجا، إنه زعيمنا». كان لزوجة صديق «ستراسر» الذي يدعى «غلاسر»[42] (قتل «غلاسر» في الوقت نفسه في شقته الواقعة في ميونيخ «أمالينستراسا») نفس أسلوب التعليقات التي تقولها بشأن موت زوجها؟

لقد أمضيت أسبوعًا كامل في «هيشندروف» في «بيلسنسي»، لأزور صديقي «كليمنز فون فرانكنستاين». فقبل أسبوعين فقط من الحرب، حضر «كلي» حفلة موسيقية في لندن، وكان ضيفًا عند «وينستون تشرشل». كانت تلك الأوقات تعيدني إلى الأيام الخوالي في بيت صديقي القديم، بجوار البحيرة الكئيبة أواخر الخريف. كنا قد تحدثنا بشأن الرسائل التي تم نشرها، التي كان «ستيفان دورج» يكتب إلى «هوغو فون هوفمانستال»، وعن التكبر العظيم الذي

(42). درس "أليكساندر غلاسر" القانون في ميونيخ. و قتل بالرصاص عام 1934.

ظهر من خلال هذه الرسائل. لقد أخبرت «كلي» عن تفاصيل المقابلة مع «جورج»، عندما سألني الكاتب وهو جالس على كرسيه المرتفع بين شمعتين فضيتين، عن وجهة نظري بشأن «أرسطو»، وبعد ساعتين، كيف أرى الملك «ستيفان» في «هيدلبيرغ»، لقد كانت الدهون تتساقط من فمه وهو يمضغ بحماسة ويقطع طبق أضلاع البقر المحمصة وقطع المخلل في غرفة انتظار محطة السكك الحديدية للطبقة الثانية.

كما تحدثنا أيضًا بشأن الرسالة الفضولية وغير المتاحة نوعًا ما، التي كان «هانز فيتسنر» يحتج بها إلى مديري المسرح الألماني حيث أنه قد تم إهماله فنّانًا، في حين أن «فيردي» الملحن للأعمال الوحشية، كان يلعب باستمرار. . .

مقارنة مثيرة للاهتمام: «فيتسنر»، ذلك الأخرق، قليل الخبرة الذي يلحن موسيقى مسلية، و«فريدي». . . كيف له أن تجرأ و دعا اسمه في اللحظة نفسها، في الورقة نفسها مع موسيقي عملاق تتدفق موسيقاه بشكل مستمر وغير منقطع كما يتنفس!

لقد تحدثنا لوقت طويل عن «فيتسنر»، عن أوراق الزهور الملونة التي جعلها تمطر على مسرح الأوبرا في أثناء معزوفته«ارتفع من حديقة الحب»، والسم في المسرحية الثانية «باليسترينا». جلست في واحدة من البروفات التي لا نهاية لها للرسالة في هوتثيتر ميونيخ. لاحظ «بول غرانر» أن «فيتسنر» يتسلل إلى المسرح، ويراقب الضيوف والمغنين، والأعداد الزائدة والمتنوعة، بنظرات كأنها نظرات معلم في المدرسة. قال غرانر: «لقد كان يسجل أسماء جميع من يضحكون».

لقد كان لدى «فيتسنر» عادة تغيير عازفي الموسيقى باستمرار. فحالما يجد كلمة "قمامة" على الموسيقى المكتوبة لعازفي المزمار. يسرع إلى المخرج ويطلب

إقالة العازف. ويكون من الجيد جدًا عندما يعاقب عازف المزمار بخصم خمس عملات «لأجل صندوق التقاعد».

أخبرني عازف كمان في أوبرا برلين مؤخرًا أن «فيتسنر» قد أدى أغنية لـ«فيردي»، في حفلة موسيقية، وقد قاطع حماسة الجمهور في أثناء التصفيق بقوله: «لا تضحكوا. ماهي إلّا موسيقى آلة الأرغن». من المنطقي جدًا أن «فيتسنر»، ذلك الهاوي صاحب الموسيقى المتواضعة، سيكره «فيردي» صاحب الموهبة التي لا يستهان بها، بضراوة وتقزيم.

إنني أعرف «كلي» منذ ما يقارب الثلاثين سنة. . . ومنذ تلك الأيام الرائعة التي كان يُدعى فيها رئيس المسرح الملكي، تحت حكم وصي العرش القديم. إن الطريقة التي تمت بها إقالته من مركزه عام 1934 مدروسة. في يوم من الأيام، ظهر السيد «كريستيان ويبر»[43] في قنصلية مدينة ميونيخ وقدم بيانًا يفيد بأن أوبرا ميونيخ لا تعتبر منشأة ثقافية مهمة، وهذه التغييرات لا بد أن تحصل. وكشاهد على الحالة الروحانية في الوضع الراهن عند الألمان، سوف أضع مقارنة ملخصة للنقد والملاحظات على نقده. . .

«هير كليمنز فون فرانكنستاين»

العمل: ملحن في دار الأوبرا كاحتياطي ألحان ومسرحيات وأدوار في عدّة من دور الأوبرا كما أنه معروف كقائد أوركسترا حول العالم. ومنبوذ ممن حوله.

العنوان: فيلا صغيرة مفروشة ومتواضعة في «ويستبول» ميونيخ.

«هير كريستيان ويبر»

(43) . كان "كرستيان ويبر" جنديا نازيا، عمل في عديد الأحزاب في وظائف إدارية في ميونيخ. كما كان من المقربين من هتلر، فقد كان نموذجًا للنازية.

العمل: له الأحقية في إعطاء حكمه في موقع دار أوبرا ميونيخ، متنمر في حانة «بلو بور»، تمت إدانته عدة مرات بتهمة إغتصاب. كصديق لهتلر، أصبح الآن رئيس جمعية ميونيخ للسباق، وصاحب بيت دعارة مزدهرة في «سينفيلدر ستراس»، ميونيخ.

العنوان: مكان الإقامة في ميونيخ، داخل أسوار رخامية شديدة الفخامة، وهو منزل «بوب بيوس السادس» عام 1782...

وكملاحظة إضافية عن الألماني الثالث، المحظورات التالية كانت من أوامر الزعيم[44]:

1ـ المناقشات عن الحياة الخاصة، في الماضي أو الحاضر، للشخصيات الموموقة من النازيين.

2ـ أي استعراض للأدلة الواقعية قبل جلسة المحكمة في القضايا الجنائية التي من المحتمل أن تلقي الضوء على واحد من أولئك المشبوهين.

ولكن بالنسبة إلى عامة الشعب في هذه القصيدة:

البذرة تذهب إلى التربة

تحوّل الشعوب

حياتنا في خزي وإهانة

في حين أن الأولاد السيئون يضحكون

ما الذي حدث من قبل

أصبح حقيقة مرة أخرى

(44) . لم يتم العثور على الأوامر التي أشار إليها الزعيم هنا. ربما أنها كانت مجرد كلمات و لم تكن بيانًا مكتوبًا.

فالطيبة قد اندثرت

والسوء في كل مكان

حينما يصبح هذا البؤس كالثلج

سيتحدث الناس عنه كما لو أنه الموت الأسود

ثم الأولاد الواقفون على متن السفينة

سيصنعون مجسمًا من القش

و سيحولون الألم إلى سعادة

وظلام الماضي إلى نور.

كتب هذه القصيدة «جوتفريد كيلر» في لحظة خارقة للطبيعة عندما كان يتأول الأمور قبل أن تحدث، فهذه أكثر قصة مشهورة في ألمانيا اليوم. الجميع يعرفها، قرأها بصوت عال ـــــ كمشكلة حقيقية، لقد سمعتها في حانة «ستينك» في «شوابينج»، كان «ستينك» العجوز يقرؤها بنفسه لزبائنه. كان البوليس السري النازي مستاء للغاية، ولكن لا يمكنه أن يرسل قصيدة إلى معسكر الاعتقال، ولا يستطيع أيضًا أن يوقف هذا التجمهر. فلم نصل حتى الآن إلى درجة أن يتم منعنا من الإستماع إلى قصة كتبها «كيلر».

يناير 1940

انتحرت «وحدة ميتفورد»، التي تحدثت عنها سابقًا. في البداية حاولت أن تطلق على نفسها رصاصة في فندق في ميونيخ. و لكنها لم تتمكن إلا أن تجرح نفسها. ومن ثم، بعد أن عادت إلى لندن، نجحت بقتل نفسها بالسم، وقد ماتت هناك. لقد كان هذا أفضل قرار اتخذته تلك الآنسة، التي كانت ترى نفسها ملكة لألمانيا بجوار شاب فائق الجمال. فعلًا، ومع كامل احترامي للأموات، إن الرجال التاريخيين قد أفسدوا بالأرض بشكل كافٍ عندما دخلوا التاريخ. و لكن النساء اللاتي حرصن على أن يصلن إلى مراتب عليا كانوا ألأسوأ. و الأسوأ من كلا النوعين هم الذين يدعون أنفسهم بالمنقذين. لقد ضقنا ذرعًا من أولئك الذين يلقبون بـ«النازيين». لدى إنجلترا أيضًا أنواع من هؤلاء، مثلا هنالك النساء اللائي يمسكن بمئزر السيد «غاندي» الأبيض. يجب على الإنجليزيين أن يكونوا ممنونين لأن هناك واحدا على الأقل.

حاليًا، لدينا فضيحة جديدة هنا في ميونيخ. هذه الإشاعة تخص السيد «فيشر»[45]، «المدير العام» لمسرح دار الأوبيرا التي يملكها هتلر في «غارتنبلاس». إن «فيشر» تحت حماية «غيلتر واغنر» أيضًا، ومكروه جدًا من قبل «إبريستين»، رئيس شرطة ميونيخ، والذي يعتبر العدو القاتل لـ«واغنر»... تناول «فيشر» طعامه في فندق «ريجنا» برفقة شابة صغيرة، وبخبث حجز غرفة مزدوجة لقضاء تلك الليلة. صعدا إلى الأعلى عند حلول

(45) . منذ عام 1938 أصبح "فريتز فيشر" المخرج في دار الأوبيرا البافارية.

منتصف الليل... و بعد وقت قصير، كانت صرخة نجدة قد عمّت المكان حتى أن الصوت قد وصل إلى الطابق السفلي. أسرع الجميع إلى مكان صدور الصوت، وإثنان من الرجال الذين كانوا في الغرف المجاورة أسرعوا بالدخول إلى غرفة «فيشر». رأوا الآنسة الصغيرة مرتدية ملابس النوم، بشكل فوضوي جدًا، في حين أن السيد «فيشر» كان لا يرتدي سوى خاتمه. صرخت الفتاة العذراء والدموع تذرف من عينيها بأنها رغم أنها لم تبلغ حتى «الخامسة عشرة سنة»، إلّا أن «فيشر» حاول اغتصابها، ومن ثم واصلت بوصف وجه «فيشر» بكلمات تستخدم بشكل خاص في ضاحية «جيسنغ» في ميونيخ.

أظهر الرجلان اللذان دخلا لإنقاذ الفتاة نفسيهما وأعلنا بأنهما من البوليس السري النازي، وتمّ إلقاء القبض على «فيشر» بسبب صراخ الفتاة وكونها «تحت السن القانوني». وباقي الأحداث التي أخبرني بها صاحب فندق «روجينا»، كانت الفتاة ورجال البوليس السري النازي ينتظرون أوامر «إبريستين»، الذي تمنى أن يفضح ويطرد واحد من أتباع عدوه على الأقل، وقد وقع هذا المغفل في الفخ فورًا. والآن يجب عليه أن يذهب إلى مكتب المدعي العام، ومن ثم يتم نقله من مكان الحادث، ولكني أشك بأن هذا ما سيحدث. فأنا متأكد من أنه سيظهر بعد فترة كالفلينة العائمة على سطح الخمر الغني بمياه المجاري و الدماء والدموع مرة أخرى. بشكل مفاجئ ستراه هنا، مستعيدًا شبابه ومطهرًا من الإثم الذي ارتكبه. وسيتطلّبُ الأمرُ برمته القليل من الوقت كما حدث عند إصلاح عربة نقل النازيين، «اولدنبيرغ»، الذي كان سيدخل السجن لأنه رفع ثمن كونياك.

السيد «جوليس سترتشر»[46]، ثالث أعظم زعيم لمحاربي السامية، تمت إدانته من قبل هيئة المحلفين بسبب نيله الرشوة من أغنياء «نورمبرغ» اليهود.

(46) . ألف "جوليس ستريتشر" كتابًا معاديًا للسامية وقد كان حاكمًا نازيًا لمنطقة "فرانكونيا". وفي عام 1946، أدين بإرتكاب عنن من الجرائم الانسانية في المحكمة العسكرية الدولية في نورمبرغ، وحكم عليه بالاعدام.

انتشرت شائعة أنه قد تم إطلاق النار عليه، و لكني كنت مقتنعًا منذ البداية أنه من المستحيل أن تلمس شعرة من رأسه. وخلال الوقت الذي كنت به أتوقع ما قد حل به، عاد «سترتشر»، الذي أدلى بشهادة زور قبل عدّة سنوات من توليه للسُلطة، آمنًا وسالمًا. ها هو الآن يسيطر على المنطقة التي يرأسها بالكامل، والرب يعلم لماذا، ويجب عليه أن يظل هناك.

وآخر الأخبار التي وصلتنا، هي أن ذلك «الرجل العظيم» أصبح لديه مدبرة منزل الآن، تدعى «إيفا براون». بالطبع، جميعنا يعرف ما هي الظروف، وتلك السيدة يجب أن يقال عنها عشيقة وليست مدبرة منزل. كما أنها كانت تسكن في واحدة من أكبر الفلات الفاخرة الموجودة في «أوبرسالز بيرغ» مع عشيقها، قريبة جدًا منه لتصبح «سهلة المنال» في أي لحظة. لقد كانت تلعب دور زوجة ثالث أغنى رجل، إن لم تكن زوجة الإمبراطور، كما أنها أقامت العقاب و الفضيلة بعدل بيّن، و أكثر ما كان مرغوبًا فيها هو مساعيها الحميدة للمتسولين من قبل معسكر الاعتقال. إسترق السمع موظف دولة جاسوس على محادثة طويلة بالهاتف كان قد أجراها رجلان، ذكر أن هتلر قد بكى بمرارة في حضن حبيبته بشأن الكميات الهائلة من الهرمونات و حقن الفيتامينات التي أخذها. لاحظ جيدًا؛ هنالك قصر كامل ممتلئ بالفتيات الشابات في «أوبرسالز بيرغ»، اللاتي يحضرن مجلس «قيصر العظيم» تمامًا كما يفعل أسلافهن في «بوكلسون». مثل الشاب «ديفيد» الذي كان يعزف على قيثارته لأجل «سول» عندما كان ذلك الملك مكتئبًا، هؤلاء الفتيات كن يرقصن للملك الذي كان مقيمًا رسميًا في غرفة مفروشة في «بارارستس»، ميونيخ عندما يكون حزينًا.

مثلما كان الأمر مع «بوكلسون»، كانت معظم الفتيات تقريبا يأتين من عوائل بروسيل نبيلة. لقد كنّ يأتن ويعرضن أنفسهن بملابس جميلة أمام «ديفن» و«القيصر اوغست» عن طريق القواد «فراه فون دي»، الذي كان يعمل

رسميًا سكرتيرا لذلك الملقب «هيرنكلب»، في برلين. ربما، عندما يأتي وقت التطهير المحتوم لذلك القذر، ستتمكن وقتها من البدء في تغيير مسار «قصر الحريم» إلى الطريق الذي ينبغي عليه أن يسلكه؛ إلى ناحية بيوت الدعارة في جنوب أمريكا. . . وكيف سيبدو الأمر لو تم إقصاء تلك العوائل النبيلة التي لطخت سمعتها بعد أن أصبح أبناؤها جزءًا من قوات الأمن الخاصة والبوليس السري الناز، من سجل العوائل النبيلة؟

أنا رجل محافظ ولا أحب التغيير، ولكني أعلن أن هذه الثورة القادمة ستعطي ألمانيا الفرصة الأخيرة لتحدث تغييرًا في هذه البلد وترتب أمورها. أما إن أضاعت هذه الفرصة من بين يديها، ستبقى إلى الأبد على ما هي عليه الآن وستبقى الطبقة البرجوازية وماهي عليه منذ وقت طويل جدًا كالبالوعة.

وأنا أضم جميع العوائل العريقة والنبيلة البروسية إلى هذه المجموعة، باستثناء بعض النبلاء.

إن الألماني «بريكليس»، قد أُقحم في مشكلة أخرى، و هي انتحار إبنة أخيه عام 1931[47]. لم يسبق و أن تم تفسير لما قد تقدم فتاة على إنهاء حياتها في ذلك المأوى الموجود في «بريسنجنترس» قبل وقت قصير من عيد رأس السنة. هنالك أناس قالوا إنها في ذلك الوقت كانت على علاقة غرامية مع رجل يهودي، وقد قتلت نفسها من شدّة شعورها بالذنب و الخوف. . . ولكن هنالك الكثير من الأمور الأخرى. وقد تبين لي أنه حتى في ذلك الوقت كان هنالك شيء ما قد تم إخفاؤه، فقد كان حتى الموظفون الرسميون في جمهورية فايرمان في قسم الشرطة ومحامو الادعاء على أتم الإستعداد لتقديم يد العون لـ«الرجل القادم» مع القليل من التضحيات من هذا النوع.

(47) . في عام 1931، تم إيجاد جثة إبنة أخ هتلر في شقة في ميونيخ. وقد أكدوا بأنها ماتت منتحرة.

أكتوبر 1940

أنا الآن في «فيلاخ» لأجل العلاج، أذهب كل يوم إلى الينابيع في بحيرة «فاكر»، التي تظهر خلفها سلسلة جبال الألب. تذكرني المروج الخضراء هنا بحدود «مادوراي»، حيثُ تحجب الجبال الجنوبية الرؤية عن باقي الأراضي التي يكسوها الخراب والحزن، تتراءى الألوان اللامعة على الأوشحة التي ترتديها الفتيات للرائي من بعيد كما لو أنّها تستعرُ على الأرض. وذلك المطعم الصغير الملوث الذي يبيعون فيه السّلطة بدا أنّهُ فتُحَ خصّيصًا بسبب الحرب. لقد خيّم الفقر والعجز المثيرين للشفقة على تلك المنطقة الحدودية وأضحى يحوّمُ فوقَ البشرية ويزرعُ فوقها غشاوة كبيرةً.

كنت أمكث في غرفة الفندق الذي أقيم فيه لأن الجو في الخارج سيء للغاية ويحمل رائحة البلقان. إن الوضع هناك بائسٌ جدًّا إلى درجة أن رجلًا أنيقًا يرتدي بدلة جميلة في وسعه أن يوقفَ حركة السير بأناقته فحسب.

كان المكانُ مليئا بالرجال الآتين لأجل العلاج. جميعهم بشعر منسدل على الجبهة. كانت تصفيفة الشعر هذه معروفة لدى مديري البيت الفييني... ونفس هذه التصفيفة معروفة لدينا عند بارونات الغجر. كما أن لهجتهم وهم يتحدثون في غرف تبديل الملابس المجاورة، لديها رنين يشبه اللهجة البلقانية أيضًا. غالبًا ما تسمعهم يتحدثون عن سعر لحم الخنزير وصفقات الذرة والنساء. ونادرًا ما تجدهم في بعض الأحيان يتبادلونَ النّكاتَ حولَ هتلر. فالناس هنا، في المنطقة الحدودية، لا يعطونه أهمية كبيرة.

والآن تتملّكني كلّ ذكريات ذلك الصيف وتغمرني مرّة أخرى. كما تحملني ذاكرتي الآن إلى تلك الأيام في بداية فصل الصيف عندما ألتقي مجموعة من كبار السن الملتحين من الأجداد وأنا أتصفّحُ صورهم في المجلات المنشورة التي تحملُ انتصاراتهم. كانت أعينهم تشع بالطمع والمتعة. لم يخطر على بالهم أبدًا أن هذه الانتصارات التي حققها هتلر ستغير عالمهم الذي يحتوي إيجارات مناسبة وأساليب في الدّفع أساسها أخلاقياتهم ومدى استطاعتهم في الايفاء بذلك. إنني أرى كل تلك الذكريات مرّة أخرى، عندما كان جميع الناس يشربون احتفالًا بسلسلة من السرقات السياسية، والجرائم المدوية المعروضة في أفلام مصورة عرضتها نشرة الأخبار عن الرجال الذين تم احراقهم. كان هؤلاء المتوحشون المتعطشون إلى الدماء ينبحون بنشوة على منظر البشر الذين يشتعلون ويتساقطون في كتل متفحّمة من خارج تلك الشاحنات المتفجرة. مرّت كل تلك المشاهد أمام عيني؛ شاربو البيرة ولاعبو البينكون المسنون، جميعهم فرحون ويقرعون كؤوسهم. كان موظفو البريد يحدقون في بعضهم بعضا عندما يدخل أحد إلى المكتب ولم يحّيهم بتحية "يحيا هتلر". كانت الأجواء ممتلئة بالقصص التي تحكي عن كيفية صنعهم لمعجون الحلاقة من بقايا الشامبانيا...

إن الحماسة التي ظهرت عام 1914 لا تقارن بما يحدث الآن. كانت زوجات القسيسين يصنعن الشطائر الرقيقة ويضعنها في قطار الجنود االمشاركين في الحرب العالمية الأولى، لقد قدّمنَ مثالًا على أعظم مفهوم للخوف. لقد رأى الناس الكوارث آتية إليهم عبر كل باب ونافذة. وحاولوا أن يخفوا مخاوفهم عن طريق الصراخ ببهجة خلف قطارات القوات العسكرية التي تسير بسلاسة.

ما يحدث الآن هو شيء آخر. إنه شيء مؤذ، ماكر، كقطاع الطرق. إن الطبقة

البرجوازية الألمانية عام 1914 لم تكن لديها أدنى فكرة عن بداية لعبة المقامرة في ذلك الحين، فالجنرالات والمضاربون الصناعيون لا يفضلون شيئا أكثر من المراهنة على حياة الناس. كان الناس لا يزالون في ذلك الحين يملكون نوعًا من الاستقامة والثقة المعروفة لدى الطبقة المتوسطى في الماضي... شيء ما في أرواحهم. اليوم، كل هذا قد دفن تحت الروث والمجاري والدماء، ولكني مازلت مؤمنًا بهذا الشيء، وأدعو كل يوم بأن تعود مجددًا.

إن ما يحدث هنا شيء مختلف، فالمظهر الأكثر بؤسًا هو بالتأكيد الضياع الكامل لهوية المعركة. فكل ما يهتم به الناس هو المكاسب من هذه الغارات الكبيرة. في عام 1879، على الأقل، نشأت أساطير حول معارك الفرسان حول «ميتس». لا بدّ أن «سيدان» قد أثر على الناس بشكل كبير، بغض النظر عن رسومات الحرب في ذلك الوقت.

ولكن لا يوجد جماعات متألقة من الفرسان يمتطون ظهور الخيول اليوم. فإلى حد كبير، تعتمد المعارك اليوم على التحرك إلى الأمام والخلف على آلات نموذجية. يبدو أيضًا أن الآلات الميكانيكية المستعملة في الحرب لديها عمل كبير تقوم به لأولئك الحمقى الذين ينظرون إليها. تقوم بفتح زر الراديو، فتسمع أصوات عجلات دبابات الجيش العظيمة. وستنسى كل شيء عن الشجاعة والتأهب المطلوبين من الإستراتيجيين، فتسمع فقط أصوات المدفعيات من المذياع. ما تعرفه أنت قد يكون موت شخص ما كان إلى جانبك في حدث ما، وبالنسبة إلى البقية، يكون عن الجوارب الحريرية التي أرسلها «هيزل» إلى «تيريزا» من «توركوان»، أو عن الكونياك الذي هربه أحد صرافي رواتب الجنود من فرنسا وأصبح هذا الشراب الآن يُسقى في كل الحانات في فناجين القهوة.

كانت كلمات «ويلينغتون» في «واترلو» جزءًا من أساطير بروسيا منذ مائة

سنة، وبقي «سيدان» صورة عن الإمبراطورية البائسة التي حاولت من دون جدوى ايجاد الموت في ساحات المعارك، ومن ثم أعطى خنجره لإبن عمه العزيز. ولكن في هذا الوقت، ما الذي سيبقى في عقول الناس بعدَ هذا التقدم المفاجئ في آخر معركة لـ«سيدان»، ما الذي قاد إلى مأساة فرنسا؟ أو الذي أخذ خط السوم؟

لا شيء... أنا متأكد أنه بعد ثلاثة أسابيع من الآن لن يحتفظ أي من أولئك الثماني مائة شخص الذين كانوا موجودين معي في قاعة العرض بأسماء الأماكن والمعارك التي رأوها. إنها نظرية قديمة لي، وهي أن الغاز قد ألحق ضررًا بالناس أكثر من الكحول، وأنا متأكد من أن ردودَ عامة الناس في أمريكا وإنجلترا تجاه ما يحدث لهم، تتماثلُ تمامًا مع ردود فعل الألمان تمامًا. ولكن الأمر محطم جدًا عندما ترى أن هذه الظروف تحدث لأبناء شعبك. تسجل ألمانيا الآن بعض التطورات لأن **هتلر الزعيم** سيحضر مباراة كرة القدم يوم الأحد المقبل، وسيصرخ فرحًا بالنتائج وسينسى كل هذا في صباح اليوم التالي. لقد اعتاد على الإنتصار، وأصبح يعتبر هذه الإنتصارات دليلًا على حظه الجيّد، وهذا أبسط بكثير بالنسبة إليه، إلا أنه أصبح أكثر وحشية، ونسبة جشعه آخذة في الإرتفاع. أستطيع الآن أن أسمع صوت الأعاصير المدمرة القادمة من بعيد قادمة من تحت أقدامه اللعينة.

في الحقيقة، بالنسبة إلى الألمان، الأمور تجري كما قلت: «فكل شعب يضع لنفسه شيطانًا، وهم، رغبات مستحيلة مدفونة داخل سراديب وقناطير وسجون تحت الأرض وداخل العقل اللا واعي»، لقد عكس الألمان الطريق، وتركوها هائمة للزوال. ولكن تلك الشياطين فرّت كالرياح إلى خارج صندوق باندورا. إن العواصف المميته آتية إلى هذه الأرض القديمة التي عانت منذ زمن

بعيد. أصبحت ألمانيا مريضة، لأنها تشرب الذل والوحشية مع كل انتصار. فاللغة التي يسمعها الناس وخطاب الحرب الذي يلقيه المعلق على الرّاديو والأحاديث التي تجري في المقاهي حول الجنود الألمان، تتجمّعُ مع مرور الوقت لتصبحَ لغة لقطّاع الطرق ولتقذفَ برودةً في الدّم المنتقم المتدفّق. أصبحت الصحف مشتعلة مثل كوم من الفحم المتقد وهي تحملُ أخبار القيصر المنفي لأنه وقفَ ضدّ خطة مسح لندن من الخريطة من خلال إرسال أسطول ضخم من الجنود الذين سينزلونَ بمناطيدهم عام 1916. صرخ موظفو الاستقبال معبّرينَ عن تعطّشم للدماء، والنساء العجائز اللاتي مازالت لديهن ذكريات من الزمن الجميل، أصبحن الآن يتحدثن بكلمات فظة ليصفن أعداء رجال الدولة حتى أن نادل «هامبيرغ» أصبح يحدق فيهنّ.

وخلف هذا كله نجد «الصفقات». يبيع الناس لوحات مسروقة ومنحوتات وسراديب للنبيذ، التي قد تكون أو لا تكون موجودة حقًا... إنهم يبرمون «صفقات» في السر، تتعلّقُ بمتاجر فرنسية ليس لها ملاك، مليئة بآلات مسروقة وملاعق شوربة وصابون دورات المياة، ومنتجات من مطاط. في برلين، يبرم الجميع صفقاتهم على مرآى من الجميع. لقد كنت هناك مؤخرًا وشاهدت هذا بعيني. فنساء العوائل البروسية المرموقة كنّ مشغولات بالمعاملات التجارية، كما هو حال النادلات أيضًا، كتبة الصيدليات، طلاب المرحلة الثانوية... ضحكت على هذا، وكان من غير المعقول تمامًا أن ينبغي علي أن أجلس على أرض أودية «شيمغ» وأفكر في حاضر تلك العوائل النبيلة ومستقبلها، وأنا أندب حظي التّعيس.

هذه هي ألمانيا اليوم. صحيح أن جنوب ألمانيا مايزال مرتابا من ضجيج البروسيين المنتصرين، أمّا البقية فيعتبرون نسبة كبيرة من العاملين والمفكرين

معارضين شرسين للنظام. أما المزارعون فقد بقوا مقترنين بالماضي، لا يغيرون أيًا من طرق عيشهم أو تفكيرهم، يعرضون أكتافهم خلف كل انتصار، ولا يمكن إجبارهم على «المشاركة».

ولكن ما فائدة هذا؟ تشد المصانع الحب؛ فهي تتحكم بهيئة الأركان العامة منذ أيام «لودندروف». إن أداة السُلطة مرعبة، لذلك يمسك بها مالكو المصانع بشدة. فهم يتحكمون في كل شيء يؤثر على رأي عامة الشعب، وبالتالي يصبح لديهم كتلة كبيرة من الناس البسطاء الأغبياء كالذين ينالون أجورًا، والعاملين في المكاتب، وأغلب موظفي الدولة من أصحاب المراتب الصغيرة للإشارة على البلاهة. والبقية كانوا خليطًا من رواد الأعمال ونبلاء قد جاؤوا حديثًا إلى العالم، مندمجين مع الطبقة المتوسطة وضباط الشرطة الجدد وسريعي التغير من الأصحاب. إن هؤلاء الناس ماديون أكثر من الروسيين البلشفيين، يعيشون يومًا تلو الآخر من دون أن تكون لديهم أدنى فكرة عن اللعبة الصغيرة الخبيثة التي بدأت هنا.

اقتباس معين بقي في ذاكرتي منذ انتهاء الحرب العالمية الأولى. . . إنه اقتباس يعطيني أملا مريرا، ولو كان لأجل دوافع لا يقبل بها ولا حتى أقل طبقة من العمال. إنه إقتباس من «بازاك سيزار بيرتو»: «إن المرأة البرجوازية هي التي تستمع إلى أغنية فيجارو حول الزواج».

ويجب أن يلاحظ أن وجهة نظر «بازاك» المحافظة، كوجهة نظري، ويجب أن يلاحظ أيضًا أن من بين وجهة النظر هذه وبين القومية تباين عظيم. أن تكون محافظًا يعني تؤمن بالقوانين الثابتة لهذه الأرض القديمة؛ ستتصدع هذه الأرض وتهتز لتنظف نفسها من كل هذه الخطايا والذنوب.

وهنا حيث سيبدأ التصدع الأرضي الذي سيشق جوف قلبي وسيحطم

قلب كل رجل ليس له علاقة بالبنك الألماني ولا بالجمعية الألمانية للحديد والصلب. يجبُ على الطبقة القليلة الباقية من المثقفين الألمان أن تصبحَ جزءًا من غير المتمرسين وسريعي الانقياد من الباعة المتجولين. لأجل «مصلحة الشعب»، أتوقع أن أصبح «قابلًا للتعديل». وعلى وجه التحديد، مطلوب مني أن أمجد ألمانيا هذه، وأمجد ذلك الألماني الآتي من الغرفة المفروشة و الذي عين نفسه رئيسًا. ويجب علي أن أغني مديحًا لخداعه، وقتله، وخرقه للمعاهدة. كما يجب علي أن أنضم إلى تلك الصراخات وهتافات التهليل والابتهاج لأجل أن العدو قد سقط كما تسقط شعلة من طائرة منفجرة.

نعم، إن هذه وقاحة كافية لتخطف الأنفاس، إنهم يطلبون من الرجل الآن أن ينسى كل شيء تعلمه خلال مسيرة سفره والمحادثات التي جرت في الخارج، واعتماد تعليقات الدول الأخرى عن وزارة الإعلان، وزارة البائعين الذين تحولوا إلى دبلوماسيين، والمعلمين الذين أصبحوا مراسلين أجانب! لأجل اختلافاتي مع الإله، عليّ أن أختار القاعدة الأساسية بدقة المنحطين ونضال الملحدين والطريق الصحيح هو الأفضل لألمانيا! أنا الذي أعتقد أنني أملكُ معرفة بالقوانين التاريخية والقوانين الجغرافية السياسية، أرى أنه عليّ أن أنزل من نفسي لأصل إلى مستوى الدناءة والخثالة لهذا الشعب، وأن أؤمن بهذا النظام الدائم الذي يخرق المعاهدات والذي تعتبر أساسياته إلا دعاية كاذبة كبيرة!

رأيتُ مؤخّرًا في مسرح في برلين يعرض فيه فيلم ، نشرة إخبارية لهتلر وهو واقف أمام عربة تقفُ على السكة الحديدية التاريخية في غابة «كومبيغن»، يتلقى خبر استسلام فرنسا؛ ثم بدأ بالرقص على قدم واحدة كأنه هندي؛ كأنه خنزير عجوز قذر يتصرف وكأنه فتى، غير محترم أكثر من قيصر مدان أمضى حياته

يدفع ثمن ذنوبه.

من بين كل تلك الذنوب أحصيت عددًا من الأعمال كمساعدة لأعضاء الأوركسترا الذين يعملون حراس حياة بوتسدام، مع حضور العجوز «فرانس جوزيف»، وملك بلغاريا «فرديناند» ببذلته الزرقاء.

رغم ذلك، مازلت أتذكر ذلك الصباح البارد من شهر مارس عندما عاد أحد عمال المزرعة من البلدة حاملًا خبر موت القيصر العجوز. كان الملوك يهتمون بأشياء تافهة. فقد كانوا دقيقين كالساعة في كل ما يخص الناس الذين يعملون لديهم ويتحملون مسؤوليتهم فوق ظهورهم. فحياة العمال البسيطة جدًا كانت شرفًا عظيمًا لكونهم الخادمين الصالحين لأرباب عمل صالحين، وقد سلكت نفس طريقهم في الخدمة والطالعة. ولكن لم يسبق لي أبدًا أن شعرت بالخزي من أبناء وطني كما شعرت عندما كنت في بيت الأفلام، محاطًا بحشد من الغوغائيين الذين يهتفون ببهجة جراء رؤيتهم لزعيمهم الذي يقفز وكأنه طائر. وقفت ثم رحلت. كانت الحركات مفهومة، والكلمات البذيئة تسمعها من اليمين واليسار؛ كان علي أن أصفق معهم على شرف القذارة و النجاسة. ها قد أعطيت أوضح وصف لما كنت أفكر فيه، ولو أنهم سمعوني لتمّ إعدامي.

أوه، يومًا ما، من خلال صوت المذياع في رباعيات «روزنهيم»، وبعد ظهيرة يوم حار، قدم هتلر خطابًا انتصاريًا عن «العرض الأخير للسلام لإنجلترا»، يجب ألّا أنسى هذا أيضًا. كان الجوّ حارًّا بشكل لا يحتمل، مشبعًا كما لو أن رغبات الناس المفرطة من الجشع والمكر قد هاجت مع النجاح. إن الناس الرجعيين، يهددون بأن، «سوف نبتلع إنجلترا كالمكنسة الكهربائية». والمحاربين الثرثارون أصحاب المراتب المتدنية، الآتون إلى الوطن من بعد حروب مع شاراتهم المعلقة على معاصمهم، وتماشيًا مع دورهم كخبراء استراتيجيين،

يقولون: «إنجلترا ستأخذ أربعة عشر يومًا، كحد أقصى».

لقد كنت محاصرًا بالحمقى، وعلمت أن هذه الأمور الرهيبة قد بدأت بالانتقال إلي في المساء الخانق. كنت أعلم أن إنجلترا ستجيب بـ"لا"، فقد شعرت أنني وحيد من بين آلاف الناس من حولي بشكل أكثر مما كنت عليه في «شمال بول».

بينما أنا أكتب هذا، أعلمُ في داخلي كيف ستكون النهاية، يمكنني تخيل الصورة كاملة لقوات إنجلترا وهي تحتل ألمانيا، ويحشو فمي ضابط إنجليزي بعدّة رصاصات، «لأنه لا يوجد شيء أفضل ليفعله». يمكنني فعلًا أن أتخيّل الإنتصارات التي سيحققها الغير بعد عدة أخطاء سياسية. أنا بعيد جدًا عن اقتراف الخطإ بالتفكير في أنّ كلّ من يعيشون هنا شياطين، ولا تعيش الملائكة إلّا هناك. إلا أنني لا أستطيع أن أغض البصر عن حقيقة أن المضطربين عقليًا من الأوروبيين المهووسين بالقومية قد شارفوا على الانتهاء في رقصة الموت هذه التي اجتاحت ألمانيا، وعلى ألمانيا الآن أن تقرر، إما أن تقضي عليهم، أو أن يقضى عليها.

لماذا عليّ أن أحترم «مجبرًا» فكرة ــ القومية ــ التي لم يسمع بها أولئك الذين بنوا الكاتدرائيات في أعظم فترة مرت على ألمانيا، والتي لم تكن موجودة حتمًا قبل عام 1789 والتي أعاد بناءها النازيون، والتي كانت تعتبر أكبر عملية تصفية للثورة الفرنسية، عن طريق المخطوطات الرثة القديمة؟

لمَ عليّ أن أوازن المشاعر البشرية الأساسية كالحب والكراهية، إنها فلسفة تخلق هالة من البطولة حول تيّار الرّبحيّة والطبقة البرجوازية التي تقود إلى السلطة، والتي تعتبر اليوم نتنة وتافهة كـ«روسو». إن القومية رثة ومغبّرة كراية «جيروندزم»في حد ذاتها، التي أصبح من خلالها «كارلايل» العظيم يلقب

بالأسوإ على الإطلاق. قد يكون هذا ممكنًا فقط في وقت الإلحاد المعمم، وانعدام الأهداف، والقوة الغاشمة. بالتأكيد، مصنع «آي. جي. فاربن» يرحب بهتلر فقد أثبت أن سموم مصنعهم ما هي إلا هالة من الفلسفة!

كان رجال الأعمال من «رور» حذرين بشأن ما يفعلونه عندما يوظفون قطاع الطرق هؤلاء. ولكن هل يكون علي أن أشعر بأني أقرب إلى القائد الألماني من ذلك الفرنسي التاريخي الذي طالما كنت اوافقه منذ عقود؟ هل عليّ ألّا أقيم أيّة احتجاج على هذه القومية ذاتها، أو ما يسمى الكاهن المحامي الخاص لكل تلك الثروات من إرثنا الوطني، ومن ثم تتحول على نحو فادح، إلى ألعاب ساخرة بأيدي أولئك الهمجيينَ؟

ما قيمة الغابة إن كانت الاهتمامات «الوطنية» تنتفض لأجل مصنع السلولوز؟ أو لأجل أن الكتدرائية الألمانية تقف في وجه الطريق السريع؟ ما قيمة ما تبقى من الروح الألمانية إذا كان العدوان يشملُ ما نقومُ به من أفعال ويتحول الشعب بأكمله إلى ساكن للكهوف حينَ تنسحق روحهُ، ويتحول الجميع إلى كائنات عدمية الشكل، ويكون شكلهم الوحيد هو الفراغ والعدم؟

ولكن يجب أن نكون واضحين جدًا: إذا كانت القومية هي حقًا واحدة من القوى الأساسية المدافعة عن ملكية الشّعب، هل ستتظهرُ نتائجها تمامًا مثلما حدثَ معَ الثورة الفرنسة؟ ولماذا لم تكن هذه القوة الدفاعية موجودة في أيام «أغنية نيبلنغز»؟ وكيف لأحدهم أن يشرح حقيقة أنه في عام 1400 كان هنالك شعب ألماني، ولكن من دون القومية أما اليوم، نحنُ في واقع تزدهرُ فيه القومية إلى درجة أنّ «غوبلز» أضحى يتلاعب بأصحاب الأجور المرتفعة، وأصبح المراقبون مجانين، وانحصرت الأمّةُ في الكتاب الأوائل لألمانيا؟ إذا كانت القومية هي السمة المميزة للناس في أساسيات شبابهم وطاقاتهم، فكيف

تموت العادات القديمة تحت سطوة أخلاقياتهم. لقد اقتلعَ إرثُ أولئك الرجال العظماء وسخر من هؤلاء المقاومين ودفنت صرخاتُ المفكّرين وسممت الأنهار وأُتلفت الغابات؟ لماذا نشهدُ تدهورًا كهذا؟ كيف نزلنا إلى هذا المستوى من التراجع في عالمنا و في الاتفاقيات؟ وكيف وصلنا إلى ألمانيا التّعيسة هذه، مع كل الكلمات الأجنبية الأخرى التي تمت إزالتها بسبب الخوف، والتي يتحدث بها اليوم ويكتبها طبقة الموظفين الألمان، من رئيس هيئة الأركان نزولًا إلى المعلق الإذاعي على أحداث الحرب؟

حاول إن استطعت، في أيامنا الرائعة هذه، أن تبني كاتدرائية؛ ستجدُ في النهاية عصيانًا وكفرًا بحجر الأساس الأوّل الذي تضعه. استمع إلى تلك السيدة في المذياع وهي تحكي قصة ألمانية خيالية، وستشعرُ أنك في بيت دعارة؛ اذكر أسماء الرجال الذين سلموا الأمة: «داونغر»، «ستيغويت»، و«توراك»، و«سوبر» و«هيرمز نيل»؛ ومن ثم انطق كلمة «ألمانيا»، وستخنقكَ كلمة الوحدة. اقحم نفسك بين تلك الحشود التي تصرخ و تهتف خلف واحدة من أغاني «هايدن»، وستشعر وكأنك تستمع إلى حفلة صاخبة، مع كل تلك الأصوات المزعجة المعتادة، وخلف الروائح التي تظهر عادة من غرف الرجال... فهل هذه هي الوطنية؟ هل هذا هو الشيء الذي لا يعلم عنه البروسي "فريدريك" عندما رسم الرئيس الميكافيلي خنجره محاولة منه لتحويل الفشل إلى نجاح وسط كل ذلك الدمار الذي يعيشه في حياته؟

ولكن الوقت الآن 1940، وليس 1848. فنحن لا نفكر في كنيسة القديس «بول» عندما يطلب منا المساعدة لأجل «ألمانيا»؛ فنحن مباشرة نفكر في «البنك الدوتشيه» و«جمعية الصلب الألمانية». وبالتالي، دعنا نضع المشكلة التالية في الحسابات القومية:

إن رجلك العصري، الفخور بنفسه لأنه يمارس السلطة على أساس الدراسة الأكاديمية، سيوافق بكل تأكيد على أن الأهمية الجغرافية لدولة ما يمكنها أن تقاس بالوقت الذي سنستغرقه للدخول إليها. ولكن التقنيات الحديثة حتمًا تستخدم سبل التنقل الحديثة، وسنة بعد أخرى، أصبح الوقت الذي نستغرقه للوصول إلى دولة معينة أقل. فيومًا من الأيام كنا نستغرق أربعة وعشرون ساعة لنذهب من «ميامل» إلى «ليندا». اليوم يستغرق الوقت ساعتين فقط. فهنا نستطيع القول بأن التكنولوجيا قد قللت الأهمية الجغرافية لألمانيا بالنسبة إلى الدول المنافسة الأخرى. إلا أن النظرية الواقعية الصارمة والنظرية المادية توضعان داخل ما ذكرته بشأن علم السياسة الطبيعية مع نفس الرعب والتفكر الذي فعله الأمراء المرشحون لأجل أن "فرانكفورت" كانت تهتز بسبب قطيع من الثيران! إن التكنولوجيا، التي يفترض أن تكون منطقية جدًا، أصبحت تتعارض بشكل حاد مع منطقها!

هل يمكن التعايش مع التكنولوجيا والسيادة المطلقة؟ ألا تدمج التكنولوجيا الناس المختلفين، وتحدد أذواقهم ومتطلباتهم؟ ما فائدة بناء شيء تكنولوجي لتسير بسرعة مائتي كيلومتر في الساعة، في حين أنك عندما تصل إلى الحدود، حيث تجد تيتونيين «سكان ألمانيا الشمالية» بلحى طويلة، يلوحون بأصابعهم مهددين، وكأنهم يمنعون السفر إلى أبعد من هذا، خلافًا لمصالح الحكومة؟

سأكون سعيدًا للغاية إن أُرسلت التكنولوجيا إلى الجحيم، مثل بقية أفكار البشر. إنّ ذلك اليوم آتٍ، عندما يتم إقصاء العلم عن طريق حياتنا، هذا لم يكن قد اختفى منذ الآن، ويكون للبشرية طريقة تفكير مختلفة جذريًا. ولكن لأن العلم مهم جدًا الآن، فإن هؤلاء المسيطرين يعتقدون بأنه يمكن أن يحافظوا على

هذه الظروف الفاسدة التي نعيشها بشكل مختلف. على سبيل المثال، إقليم يوجد لديه كمية فائضة من الليمون، والإقليم الآخر ليست لديه كمية كافية. فإن المعنى الحقيقي لقوة المواصلات هنا هو التنقل ذهابًا وعودة بين الإقليمين ولكن في الواقع لا ليمون يتم حمله من مكان إلى آخر. فإذا كان شيئًا كهذا يمكن فرضه لأجل غير مسمّى، فما هي الأسباب الأخرى التي يمكن أن تخدمها التكنولوجيا غير ملء الحياة بأكملها بالروائح النتنة والتلوث الضوضائي والقذارة وصراخ الجماهير المنحطة؟

إن القومية، وبغض النظر عن كمية الدفاع الوحشي عنها، قد شارفت على الانتهاء، وستهتك رصاصة الرحمة بتلك الجموع الغفيرة كما لم يحصل في أيّ حرب. فغدًا، سيكون هذا الحلم القبيح النتن خلفنا. إن فكرة «أوروبا المتحدة» لم أكن أؤيدها دائمًا، ولكني أعلم الآن أننا لا نستطيع تحمل الرفاهية المتوقعة في هذه الفكرة البسيطة. وعلى أوروبا إما أن تمنع شنّ أية حروب مستقبلية متوقعة، أو أن هذا التمهيد للأفكار العظيمة سيجعلها ترى بعينها سقوط كاتدرائيتها وانسحاقها، وتلك المناظر الطبيعية الخلابة ستتحول إلى أرض جرداء منبسطة.

اليوم، لا يوجد طريق للعودة إلى دياري من «فيلاخ»، وقفت عند صخرة ملألئة تحت شمس الخريف. كانت هنالك أفعى على وشك أن تنال قيلولتها المعتادة، فقد كانت تلتف حول نفسها مختبئة تحت ظلال الصخور. راقبتها لوقت طويل، ثم فجأة بادلتني النظرات تلك الأفعى الزاحفة صاحبة اللون الزاهي بعينيها الغريبتين والعالمتين بحزن متبادل. هنالك أسطورة تقول بأن هذه الزواحف خلقت من الأرض القديمة التي لا تتجدد، وقد امتصت كل السموم و الأحماض التي تطهر بها الأفعال الناجمة عن قسوة البشر كي تطهر بها كل آثامنا.

مكثت هناك وقتًا طويلًا أتأمّلُ. ثم مشيت طوال طريق العودة إلى البحيرة. كانت الشمس تغرب من خلف الجبال، وشعرت ببرودة نسمات الخريف؛ شعرت أيضًا بالحزن لأجل أن سنة أخرى قد شارفت على الانتهاء، ولأجل كل هذه الحياة التي عشناها ونحن مغشوشين لأن السيد «كروب» يريد المزيد من المال ولأن كبار المسؤولين لا يستطيعون إيقاف تعظيمهم لذاتهم.

و لم تستطع هذه البلدة الصغيرة الهادئة أن تتخلص من وجودهم المزعج؛ ففي أسفل الشارع، يوجد سرية من الجنود المارين، وفريق من الجيش جالس على ظهر فرس رمادي اللون ككلب جالس على سياج خشبي. كانوا يغنون أغنية حربية جديدة معروفة لدى النازيين. وأصبحوا يتجاهلون الأغاني الحربية القديمة لأنها عاطفية نوعًا ما والأغاني الجديدة لديها شيء من الأصوات الهزيلة والمنهكة كالتي تسمعها في دورة مياه الحانة.

ولكن لوحة الإعلان المحلية التي رسمها بالأمس أحد الرسامين النازيين المحليين "عاقب الرّبُّ إنجلترا" من بين كل تلك الشعارات التي أعطيت أكبر من حجمها، إلا أن هذا شيء آخر. شيء لا يصدق، وربما يكون أمر إلهي، وقد أكون أنا أول من رآه. هناك، عند "الله عاقب إنجلترا" تم رسم الأحرف بزخارف نيرانية داخل اللوحة، وقد مسح أحدهم "إنجلترا" ووضع مكانها إسم المنطقة الجغرافية الذي اندثرت من زمن بعيد وهي "إمبراطورية الرومان المقدسة". إن إرث الله أصبح يتوسل ليسقط في بروسيا.

9 نوفمبر 1940

كانَ الطبيب «سترسر» أخصّائيًا نفسانيًا بقوات الجيش، وقد مرّ على حالة عقلية للمرشحين من الضباط المستقبليين. أخبرني عن شاب، كان قد سأله عن مشاعره والانطباع الذي أخذه عند قراءته لفاوست، أجابه:

«حسنًا، إن ذلك الذي يدعى «فاوست» ولد صغير. ولكن كما تعرف أيها الطبيب، ذلك الأمر الذي حدث مع كريتشن، ما كان عليه فعله».

لقد خلّف لشعبِهِ الكثير من الإرث من «غوته» العظيم.مكتبة سُر مَن قرأ

تحدثنا عن الاحتفال السنوي الذي دام عشرين ثانية للذكرى السنوية لثورة ميونيخ عام 1918 بعدما انتهى للتو. لو كنتُ ملكًا لعارضتهُ. لقد عادت إلي كلّ ذكريات الصور القديمة؛ إرسال الوحدة المدفعية من «راينلاند» لإخماد الانتفاضة، عندما حاصرت المكان قبل ليلة من تنازل الملك عن عرشه بالقرب من المكان الذي أسكن فيه في«باسنغ» حتى أنني أستطيع أن أراهم من نوافذ بيتي، وقد تجرّدوا مباشرة من الأسلحة وأصوات المدافع والجثث الملقاة على الأرض، كانوا صغارًا جدًا ومنبطحينَ على الأرض إلى درجة الشّك في أنّهم جزء من الأرض نفسها...

ومن ثمّ مرّ موكب عسكري يهتف بالنصر معلنًا عن ولادة الجمهورية

الجديدة! وتلك الطبقة الوسطى المبدعة التي تنتمي إلى ميونيخ! كان حاملو الرايات الحمراء الذين حصلوا على لوحاتهم بعد أن استعجلوا خلال الأيام الماضية ليحصلوا على طلبات شراء يقفون خلفهم، وهم محاربون قدامى خاضوا حروبًا إجتماعية عديدة طوال استطلاع الرأي، والقليل من النبلاء محنيو الظهور يرتدون معاطف متسخة... اوه، أتذكر ضمن تلك الأفواج من الأمم المعارضة عديد الجبناء، من أصحاب الشعر الأغبر، أصحاب القبعات الطويلة التي ترتفع من بين الحشود، أصحاب الملابس القديمة والرثّة والنحيفين الطويلين كما المداخن، شاهقي الارتفاع من بين كلّ حشود الثورة.

ومن ثمّ، كان اثنان من الرجال الرجعيين العجائز، واقفين على عربة حصان ويحطّمون بالمطارق الدروع المعدنية المطلية بالألون الزاهية الموجودة عند أبواب المحكمة، وأخيرًا ارتسم مشهد استثنائي لا يمكن نسيانه: في واحدة من الحيوانات الصخرية الغريبة الموجودة عند نافورة لينباخ، كان هنالك تمثال يبدو مثل ثور آشوري مجنح بلحية بنّية اللّون، ينظر بنشوة إلى حشد مبتهج...

كانت هذه ثورة ميونيخ.

في ميونيخ، بعد انقضاء ذلك العصر، أصبح من عادة المسؤولين في الدولة الذين يقدمون رخص القيادة أن يأتوا إلى الإختبار مرتدين قبعات طويلة. يمكنني أن أتذكر هذا في ثاني يوم بعد الثورة، كانوا يقولون وسط الحشود المتنفضة بأنهم سيدفنون بالطين جميع الرؤوس التي تعتليها التيجان، ثم جاءت صرخة مفاجئة ومبتهجة من ذلك الحشد العظيم في «كالزبلاتس»؛ بطريقة ما، انتشرت شائعة أن الملك لودفيج آتٍ. الملك لودفيج، الذي غرق قبل ثلاثين سنة في بحيرة ستارنبيرغ، ولكنه لم يمت في مخيلة حلفائه. الملك لودفيج، الذي بنى قلاعًا ودمر نفسه لأجل ريتشارد فاغنر، الذي كان جالسًا خلف مقود

مركبة جليدية لثماني ساعات متجهًا إلى الجبال.

ولكن هذا في ميونيخ؛ بشكل غير قانوني تمامًا، يكون قد أخذ روح المقامر الصغير الباروكي بشكل لا يمكن للبروسيين أن يفهموا طبيعته المتعارضة مع طبيعة برلين.

إن النازيين مع أهدافهم المعتوهة التكنوقراطية، لن يستطيعوا أبدًا إعادة بناء بافاريا، حتى وإن استمر احتلالهم سنة أخرى. حتى وإن ربحوا الحرب، سيظلون منهزمين:

(أ) إنهم يفتقرون إلى روحٍ بشريّة.

(ب) إنّهم يفتقرون إلى الدعابة.

إن أعداء الضحك من الرجال، يرتعدون من الدعابات أكثر من إعلان حرب جديدة.

بالعودة إلى ميونيخ؛ كنت هناك بعدَ وقتٍ طويلٍ، لم يكن الفندق مدفأً، وكانت الخدمات ضعيفة، والمناشف مشكوك في نظافتها. والمطاعم مفتوحة لساعات معينة فقط، وفي اللحظة التي تفتح الأبواب، تدخل أفواج من الجائعين المضطربين إلى صالات الطعام. فترى الجيران يحملون الكراسي، يسرعون إلى أقرب طاولة فارغة ثمّ يجلسون وأعينهم محتقنة بالدماء، وأسنانهم تلمع، إلى أن يأتي طبق به شريحة لحم غريبة، رقيقة كالورقة تسبح في صلصة لحم أكثر غرابة. إن الأمر برمّته يبدو كحديقة حيوانات عندما يبدأ العاملون بإطعام قرودهم.

ولكن لم يكن هذا هو الشيء الأساسي الذي سيبقى في ذاكرتي من زيارتي الأخيرة إلى تلك المدينة الرائعة التي أفسدها البروسيون. فبالقرب من المحطة الرئيسية، كان هنالك طابور طويل جدًا من الناس الواقفين في سينفيلد

ستراس، وهو طريق بشعٌ طويل جدًا وكئيب. وعندما سألت أحدهم عن سبب هذا الطابور، قيل لي إنّ هؤلاء الناس ينتظرون دورهم ليدخلوا إلى بيت الدعارة تحت أشعة شمسِ منتصف اليوم، في طابور يمتدّ إلى محطة القطار، حتى أن هنالك عدد من النساء. (حتمًا أن النساء اللاتي كن في طابور قد وقفنَ خطأً ومشينَ مع القطيع، وبالتأكيد ليست لديهم أدنى فكرة عن سبب هذا الطابور، فقد كنَّ مصدر سخرية وضحك للرجال الذين كانوا حولهنَّ). عرفت أن هذا الصف طبيعي أيام العمل المعتادة، ولكن عندما يكون هنالك قطار ممتلئ بالجنود، يصبح الأمر في حاجة إلى الإتصال بالشرطة من شدة الازدحام. في أيام مثل تلك، يمكن للطابور أن يحتوي على أكثر من مئة شخص ينتظرون، وقد يتم طلب مساعدة الخادمات اللاتي يعملن في المنازل.

فعلًا، تلكَ هي حقيقة ما يحدثُ في ميونيخ هذه الأيام. تنتمي هذه المؤسسة السرية إلى كريستيان ويبر نفسه الذي كان نادلا في قهوة «بلو بور»، وها قد أضحى الآن الطفل المدلل لهتلر وأصبح قادرًا على نقد فنانين عظماء مثل «كليمنس فون فرانكنشتاين»، ويعيش في غرف البابا في المساكن الملكية القديمة. إن حسّ ميونيخ الفكاهي قد وجد مؤخرًا تعبيرًا مجازيًا عندما يكون قطيع كامل من حرّاس الحقول الجدد وأنصاف الآلهة قد خُلقوا من هذا النظام. ولإرضاء «غورينغ» وإشباع جوعه الفتاك بأن يتصدر العناوين، فقد تم إنشاء رتبة قائد العالم، وفقًا للمزحة؛ إن غوبلز، بناءً على تصرفاته الشاذة، كان يدعى «نصف قائد العالم» بينما حازَ «كريستيان ويبر» على رتبة القائد المستقبلي.

إن اللّقب بالطبع له انعكاس على هذه المؤسسة السرّية المزدهرة، التي تأتي بالشباب الوسيمين كرفقاء أثناء وجبة العشاء لأعظم رجل، وهنا يجب أن أقول، إنّ ذلكَ يحدث في سينيفيلد ستراس.

جون 1841

تواصلت بشكل لطيف مع الملحقية الألمانية في موسكو، وقد علمت آنذاك، ما الذي سيحدث وما الذي أتى الآن[48].

إن الجزء المروع في الأمر هو أن هؤلاء الناس ضائعون في ظلامهم الداخلي ولا يستطيعون استيعاب حقيقة ما يجري. يستمرون في خداع أنفسهم ب: «ها هو الآن يتناقش مع روسيا». وأعينهم، الكبيرة تكفي لمراقبة نصف العالم، تلمع بجشع أكثر من المعتاد. «ستدعنا روسيا نعبر منطقتها لنصل إلى الهند! إن قوات ألمانيا قد وصلت أصلًا إلى القوقاز!». كان هذا في الوقت الذي كان فيه الغضب والظلام وسحابات الأدخنة تغطي وجه شمس الشرق!

«فغدًا سنكون في الهند». كما أن «اوبر سترامنر فيوهير سميلبي» يعتقد أنه سينتصر على الهنود، مكان الأرستقراطيين النبلاء من البريطانيين؟ إن كره إنجلترا شيء قد امتد منذ حرب بوير عام 1899. كما أن لتلك الفئة صفات شخصية فريدة، وهذه الصفات تعتبر الشعور المسيطر على الشعب الألماني في هذه الفترة. وهي أساس كره حكم الأقلية. إنّ معلمي المدارس الابتدائية الألمان الذين يتلاعبون بالرأي العام يشعرون بأنهم مهانين عند وجود مجتمع محدد بوضوع في أي مكان في العالم. مثلا لم يستطع أحد أسوإ المراسلين الأجانب الذي لا يدفع له بشكل جيد، «فاو إيرن سيلغو» الذي ينتمي إلى صحيفة فراكفورتر، أن يتسامح مع إنجلترا لأنها لم يسمح له بالتمتع بنفس العلاج الذي يعطى للسفير عادة، ومباشرة بعد وصوله، أخذوها إلى باكنغهام

(48) . الحرب على روسيا.

لاستقبال الملك والملكة.

من الداخل وبشكل مبطن، توجد فوضى وخشخشة لكل الرغبات المختلفة. فأحدهم يريد أن يهاجر، وعين تتجه إلى مزارع القهوة الإنجليزية. والآخر يريد أن يتم القبض عليه وهو يرتدي ملابس انجليزية وممسكًا سيجارًا إنجليزيًا ليتمّ إرساله إلى بلده. وسكرتيرتنا صاحبة الخبرة، تعتبر مثالًا حيًّا للمرأة الألمانية، وأنا آمل في أن يعود خطيبها الملتحق بقوات النازيين الخاصة، ويكسر تلك القطع الإنجليزية التي اشترتها لتكمل شقة أحلامها المكونة من أربع غرف.

أخبرني كوستجا ليتنبيرغ أن النازيين قد انتهوا من التخطيط الإقتصادي ويشعرون بقلق من المشاركات في الخارج، وسوف يبدؤون في نيجيريا، كينيا، أو جنوب غرب أفريقيا التي امتلأت بالمهندسين الألمان.

رأيت مؤخرًا فيلم جينغز، أوم كوغر. لم يتحرك شيء في الحاضرين عند المشاهد التي تعرض معسكر السجينات، ولا عند القسوة المفرطة التي تمارس على المرأة. بل إنّ الصّخب بدأ عند مشهد المحكمة، عندما كان رجل أرستقراطي يرتدي رباط النظام، صرخ الحاضرون قائلين «الملكة فيكتوريا!»... يكرهون بحجم كوم من النمل الأبيض لأجل كلّ شيء لم يصل إلى حجم النملة. إن هذا ما جلبته إلينا ألمانيا المصنعة، هذا هو النموذج المثالي للقومية الوطنية.

أوه، لا يزال هناك القليل من الناس الذين لم يدخلوا إلى ذلكَ الكابوس. هنالك عقلانيون، وهم أفضل فئة في ألمانيا والآن أصبحوا بالكاد يصلون إلى الثلاثة بالمائة من مجموع السكان. هنالك مزارعون يعتبرون أنفسهم مرساة تقف في وجه الريح مهما كانت الحقبة، إذ لم يسمحوا لأنفسهم بأن يتم

استغفالهم، تحت أي ظرف، والذين يعرفون بأنهم مهددون من قبل «الاستحواذ الصناعي للأراضي المسطحة» بتأييد من «روتشلينغ». هنالك أيضًا «بافاريا»، التي عُرفت في وقت ما بأنها مهد الحراك، منذ وقت طويل حينما تم وضع حاجز بينها وبين النازية، والآن تبعد نفسها مثل «فيندي» في أيام الثورة الفرنسية.

مع نهاية شهر مارس، بينما كانت الدبابات الألمانية تسير متجهة إلى الجنوب الغربي عبر طريق وينر تشاس السريع لمعاقبة سيبيريا، ومهاجمة تلك الدولة الصغيرة، رأيت مزارعًا يقف على جانب الطريق. فكلّما مرّت دبابة، كان الرجل العجوز يبصق بقوة. عندما سافر هيس إلى إنجلترا، كان هنالك فرح عارم بين المزارعين لأنه كما يقال: «إنّ ولي العهد قد هرب»، وأفادوا بأنه هرب لأنه عرف بشأن ما يحدث.

ولكن جميع هؤلاء الناس، المفكرين، المزارعين، البافاريين، قد نجوا من ألمانيا القديمة. والأغلبية، الذين هم بحجم كوم من النمل الأبيض، يحلمون بأن تتم صفقة بين ألمانيا وروسيا في الوقت الذي بدأ فيه إطلاق النار في الغرب. لا أحد هنا لديه أدنى فكرة عن الوضح الحقيقي. فكلما أصبح الناس لا حول لهم ولا قوة، أصبحوا يساقون إلى المصائب بغباء!

لم يسبق للناس أن أصبحوا بهذا السوء وعدم المسؤولية! لقد حاولَ شولنبرغ[49] ذلك الرجل النبيل المحترم جدًا من المدرسة القديمة في موسكو، حاول في شتاء السنة الماضية بعد رحلة مولوتوف إلى برلين أن يحذر من هجوم محتمل، ولكن هتلر لم يستقبله بالمرّة. كما أن الملحق العسكري كوسترنغ قد كان في طريقه إلى هتلر ودعا روسفيل لأنه اعترف بضرورة ملحة لإطلاق الجيش

(49) . كان "فريدريك شولنبرغ" سفير ألمانيا في روسيا 1934-1941.

الأحمر. لم كان مقياس الضغط الجوي قادرًا على تسجيل صاف وجيد لذا فقد حطموه.

مازلت أتذكر استماعي إلى نقاش ضباط الشرطة حينما أتوا إلى منزلنا وأنا صغير. ما الذي يهم أولئك الرجال الذين قد تخرجوا من مدرسة مولتوك من إحداث مشكلة تدعى روسيا! ولكن ضباط الشرطة اليوم قد تدربوا في مدرسة لودندروف. وهم لم يزالوا يخططون من ناحية الحرب العامية الأولى. مازالوا يتمشون في المتنزه العسكري مع كامل غرورهم بمعلمهم الأول.

كما أن أصحاب المصانع الألمانية يخططون لإغراق روسيا بأجهزة المذياع الرخيصة والمواد الاستهلاكية! أي أن تتم رشوة الروسيين مع إعطاء وعد بأن تكون المواد كهربائية ورخيصة وسلعا استهلاكية شاملة. إن الرجل صاحب الخطوات الطويلة على سلم فولغا، هذا اللغز، الذي سيبقى دائمًا أبعد من آفاق تقبّلي لغرب ألمانيا الذي يريد نظامه الروسي على وجه الخصوص والذي، فوق كل هذا، ألّا تصبح روسيا مثل غرب ألمانيا، هذا الرجل مساوٍ الآن للألمان بسبب رجال أعمالنا العباقرة!

إن وجهة النظر الغبية والمتكبرة تجاه روسيا مثل هوتنتوت [شعب بأفريقيا] الذين تمت رشوتهم بأشياء تافهة وقبعات وكانت هذه غلطتهم الأساسية. والغلطة الثانية هي الإستهانة بشكل لا يصدق بالمسافة الموجودة. فخلال زيارتي إلى روسيا قبل عشر سنوات، كانت هناك قرى في شمالي الأورال وحوض نهر بيتشورا لا يزال سكانها غير عالمين بسقوط "كزار". كان ذلك بعد أربع عشرة سنة من ثورة نوفمبر. في الواقع، لم يكونوا على علمٍ حتى بشأن الحرب العالمية الأولى.

ولكن أسوأ شيء على الإطلاق هو الاستهانة بأرواح السلافيين الغربية،

والتي استيقظت للتو، ومازالت مطاردة من قبل الكوابيس. لا يمكن أن أنسى التعليق الذي سمعته في شارع بيترسبيغ عام 1912 بواسطة مزارع قد أتى للتو إلى البلدة ورأى طائرة للمرة الأولى في حياته: «على الغالب، أنه يأخذ ثلاثين روبل في الشهر خمسة وثلاثين روبل في الشهر، فلأجل هذا يتجرأ على تحدي الله!».

إن أصحاب السلطة من الألمان لا يأخذون هذا الكلام على محمل الجد لأنه صادر عن رجل بسيط، ولا يفهمون مغزاه. ولكنهم سيلتقون بهذا الرجل الريفي في إحدى المناطق الشمالية الروسية الشاسعة، وسيجدوا ما لم يحلموا به في حياتهم؛ سيجدون عالمًا من الأرواح الحارسة من الناس، الذين هم من الشباب اليافعين الذين لن يتركوا آلهتهم رغم كل شيء.

لقد تحدثت بشأن هذا الموضوع في عيد الفصح الماضي مع «كوستجا ليتشنبيرغ»، الذي جاء من مناجم راند منذ سنتين، والذي يعتبر بأنّه روسي الأصل ويعرف ذلك العالم كما يعرف الغرب. بصرف النظر عن الحديث القائم هنا، وعن خطابات هتلر وامكانياته وقوته الخارقة، أرى سخرية في ألمانيا من شعوب الغرب الهرمين. ومن جهة أخرى، فإن روسيا، التي أمسكت بالصليب قبل أربع وعشرين سنة وعانت لأجل تحقيق أهدافها رغمَ جمادها، قد تملّكَ الجوعُ شعبها شعبها. ذلك الجوعُ الذي كان كالكفر الذي وصفته مؤخرًا بكلمات دوستويفسكي.

فتحت المذياع أمس في غروب يوم شديد الحرارة وكانت صدمتي بأن سمعت غوبلز يصدر بيانًا بشن الحرب على من كانوا حلفاء الأمس. ومضيت بعيدًا وأنا متأثرًا جدًا. فمن المحتمل جدًا أن هذه الحرب التي سيبدؤون بها الآن سوف تسحقني، وتسحق متاعي الدنيوي، وتسحق حياتي المادية، وأطفالي

أيضًا. من المحتمل جدًا أيضًا، أني سأغرق جراء أعمال هتلر التي لا نظير لها، وسيتم سحبي للأسفل أكثر فأكثر.

ورغم ذلك، كانت ردة فعلي الأولى شديدة الابتهاج. فلم يسبق لي أبدًا أن توقفت عن الإيمان بما يختلجُ في داخل هؤلاء الناس، في مكان ما مخبأ داخلهم، لا يمكن تمييزه الآن. إن هذا الشعب بصدد أن يتّخذَ مسارا عظيمًا سيغيّر من قبحه، وسيعلمه، وسيدفعه الثمن من خلال المعاناة الهائلة، ليصدق بألهة أخرى غير الثالوث وكروب وروتشلنغ، وجهاز المذياع الرخيص.

من خلال تكبرهم وتغطرسهم الهائل، فقد خدعهم الشيطان، ووقعوا في شباكه، ولن يستطيعوا أن يحرروا أنفسهم مجددًا. هذه هي الحقيقة، وهذا ما أبهج قلبي. أنا أكرهك. أكرهك في نومك ويقظتك؛ أكرهك لإفسادك أرواح الرجال، ولإتلافك لحياتهم. أكرهك كما لو أنك العدو اللدود لضحك الرجال... أوه، إن ما أراه فيك هو العدو الحقيقي للرب، وأكرهك.

في كلّ خطاب تقوله يدخل القليل من السخرية من الروح التي أخرستها، ونسيت أن الأفكار الخفية، التي تنشأ من المرارة والوحدة، قد تكون مميتة أكثر من أدوات التعذيب. إنك تهدد كل من يعارضك بالموت، ولكنك نسيت؛ أن كرهنا سمّ مميت. سوف يتسلل إلى دمك، وسنموت فرحًا ونحنُ نترنّمُ عندما يسحبك كرهنا إلى الأعماق معنا.

دع حياتي تنتهي على هذا النحو، ودع موتي يأتي عندما تنتهي مهمتي! لقد خرجَ هذا الوعد من قلوب الناس الذين تهاجمهم أنت الآن، وقد وضعته أنا جانبًا، في هذه اللحظة، في حين أنه ينطبق عليك كما ينطبق علينا:

إن كنت قد نفيت الله من الأرض، سوف نلتقي به ونحن تحت الأرض. وسنغنّي نحن المدفونين أغنية لله، وهي الفرح...

سبتمبر 1941

رأيتُ مؤخرًا عربة قطار محمّلة بمساجين روسيين في محطة غارتشنغ في بافاريا.

عليَّ أن أقول إنني لم أرهم ولكنّني شممت رائحتهم. كان صفٌّ من سيارات الشحن المختومة واقفة في المرفإ، وهبت علي نسمة هواء صيفية حاملة معها رائحة بول و براز بشري. وعندما اقتربت رأيت البول والبراز يتسرب من تحت لوح الأرضية خارجًا من السيارات ويسيلُ على الطريق. إنهم محشورون هنا كالبهائم. يبدو أن الجندي الذي قال هذه الجملة غير موافق على هذه المعاملة القاسية لهؤلاء الأبرياء. يبدو من وجهه غير راض، وفي الحقيقة كان منزعجًا جدًا. «لقد عانوا من الجوع أثناء مكوثهم بمعسكر السجن حتى أنهم أصبحوا يقتلعون الأعشاب و يأكلونها».

يحدث هذا الشيء محليًا.وحدثَ أن عاد مؤخرًا، إبن مزارع فقير من أمريكا بعد أن انتهى من مغامرته. كان أبواه فقيرين جدًا كالمتسولين، رحبوا بإبنهم العائد إلى الديار بيدين مفتوحتين وبوجبة عشاء عظيمة، تناول ذلك الفتى المسرف طعامه وشرابه وذهب إلى فراشه. ولكن خلال المساء، عرض على والديه فاتورة بمئات الدولارات. تناقش الوالدان بشأن المشكلة لوقت طويل، في أن الإبن كان نائمًا ومن ثم، تم البت في الأمر، أخذت الأم سكين مطبخ طويلة واقتلعت حنجرة إبنها لأجل المال؛ إنهم أناس صادقون، أو بكلمات

أخرى، مستقيمون...

غير أني عندما أسترجع نظرية قديمة لي، خلف كل هذا الرعب والإنكار غير المسبوق من أصحاب النوايا الحسنة من الناس، ذلك الرعب الذي يخفي خلفه عملية كونية، وهوسًا عظيمًا لإطلاقِ سراح الشياطين، تنتابني نوبة ضحك. ويُلقبونني بخالق الكوابيس، ويلقبونني أيضًا بمسميات فظة عديدة يمكنك أن تراها في الناس خلال أوقات الحرب. وسينتهي المطاف بكوني على صواب، حتى وإن استغرق الموضوع قرونًا من الزمان.

والآن يتراءى لي أن نظريتي يجب أن تتوسع. فموت القلائل الباقين من الناس الجيدين يجب أن يتمّ إدخاله ضمن أعراض هذا المرض وفقًا للمنطق المخيف، كما أن هؤلاء الأموات كانوا من ضمن الخطة. مرض «كليمنس فون فرانكنستاين» في الشتاء الماضي، قبل تخطيطه لزيارتي لعدة أيام. فقد بدا المرض كما لو أنّهُ إنفلونزا، و تم إعطاؤه العلاج على هذا الأساس. ولكنه لم يتحسن وأُجبر على دخول المستشفى.

زرتهُ هناك مؤخرًا، وأصبت بالرعب من تقلص حجم وجهه. واليوم، أرسل إلي صديقي الذي يعمل طبيبًا، نسخة من تقرير مستشفى ميونيخ، تتحدث عن تاريخ حالة تعرضه لسرطان الرئة. لقد وصفَ الحالة الأولى باستعمال الحروف الأولى من اسمه. جننتُ وتملّكني ألمٌ شديد. لقد كانَ قطعة منّي، رجلًا طيبًا وخلوقًا. إن كلي الذي يبدو بمظهر الرجل الملتحي ذي الشخصية الجذابة، يجعلني أعتقد أنه من ضمن آخر النبلاء الألمان!

بدا لي في ذلكَ اليوم أنّ القدر قد قرر أن يأخذ جميع أصدقائي بعيدًا، ويجعل الوحدة جزءًا من عذابنا العظيم. استلمت رسالة بإصابة قريب «كلي» الذي يدعى «كونت إيروين سكونبورن» بمرض مزمن. كان رئيس ولاية ويسنثيرد

العظيمة، وابن أخ الألماني السابق شانسيلر هوهنلوه، رجلًا إنسانيًا بأتمّ معنى الكلمة، وقد اختار تخصص الطب وفضله على باقي التخصصات المعتادة مثل المحاماة. وقد أصبح طبيبًا بعد أن خضع لأشمل وأوسع تدريب في الجراحة. في المنزل، بعد تناول وجبة الإفطار في الصالون ذو الجدران المزخرفة، كان من عادة ذلك الأرستقراطي الغني أن يترك ضيفه ويمضي بدرّاجته النارية لمعاينة مرضاه دون أخذ رسوم مقابل ذلك. والآن، أصبح هذا الرجل العظيم صاحب الرسائل الكثيرة والأصدقاء وكل ما يحتاجة الانسان، طريح الفراش بعد كل ما قدمه على مر السنين.

لقد كنتُ معهُ وفرانكنشتاين عبارة عن مجموعة أصدقاء تجمعنا بعض الهوايات في مجال الرياضة والخبرات الحياتية، ولكن فوق كل شيء كان موقفنا واحدًا تجاه الحياة والأمل في أن يكون المستقبل أجمل. عندما أتذكّرُ هذا الرجل وكيف اعتبرتهُ أنّهُ من الذين سيشكّلون مستقبل هذه الأمة، وكيف أني سأخسره قريبًا بسبب المرض. أشعر أنني أرتعد وأكتبُ هذا.

كانت الأضواء في المسرح تشتعل وتنطفئ. وكانت المنصة خالية ونسمات من الهواء شديد البرودة تهب من مكان ما في الخلف. لم يظل على كراسي الأوركسترا سوى اليرقات. في هذه الوحدة القاتلة، وأمام الحاضرين الفاسدين، كان على المشهد الأخير أن يكتمل.

إن برلين بالطبع بعيدة كل البعد عن الأفكار الكئيبة! فبرلين صاحبة الصوت الأعلى في الثقة، كما أنها تعتلي قمة الإنتصارات المحققة، وتعتبر أكبر غنائم ويلهيلمز. أصبح أغلبية الناس المحتاجين لا يملكون مؤنًا... يُجري الناس إجتماعات العمل أثناء وجبة الإفطار ويختارون مطاعم فارهة تدعم النظام، والجميع يكون سعيدًا بوجود ذلك الرجل الذي يحتفل بعيد ميلاده كل

يوم. في زيارتي الأخيرة، تناولتُ طعامي في المكان نفسه الذي التقيت فيه بسليل أسرة بروسية نبيلة قبل عدة سنوات وأضاع لي وقتي. كانت معي هذه المرأة المحتالة في. كي، رفيقتي في الرقص، والتي عندما نظرت إليها هذه المرة ذكرتني بشكل خزانة أدوات المائدة المصنوعة من خشب البلوط. لهذه المرأة صدر كبير للغاية وذات منظر يشعرك بأنها ثرية، ولكن غالبًا ما ترى هذا المنظر بين النساء اللاتي تجاوزن الأربعين.

بحثت تلك المرأة الرّشيقة داخل حقيبتها ولوّحت أمام أنفي بزوج جميل من الشمعدان البرونزي. حدثَ ذلكَ خارج العمل. وفقًا للشهادة، قيل بأن هذا الشمعدان قد أُستعمل في إضاءة مكتب نابوليون في سان كلو، قبل أن تشتعل النيران وتحطم مكتبه بوقت طويل...

على أيّ حال، عندما رفضت كل العروض، انخفض الحماس بشكل حاد، واستأذنت السيدة بالرحيل، بعد أن قالت إنها قد أضاعت وقتها مع رجل أحمق. كما أن طريقة حركة مؤخرتها أثناء سيرها تدل على شدة احتقارها.

كانَ «بول ويغلر»، آخر رجل بقي في دار «اوليستن» السابقة للنشر في «كوتشستراس»، والذي مازال يعمل لصالح تلك العائلة، أخبرني عن الحارس المسن لديهم. كان ذلك الرجل لا يزال على تواصل مع الموظفين السابقين في نيويورك، ووفقًا للمعلومات التي تلقاها، واحدة عن الأخوين، وهما مليونيران سابقان، ويبدو أنهما سيصابان بالجوع في المستقبل من شدة الفقر. إنني لا أعرف أيًا من هؤلاء الأخوين، ولكن من حين لآخر أرى مصنعهما الصغير وأرى قواعد السلوك البروتستانتيةالخاصة بهما. والآن ها هو الفقر يهاجمهما. قد يهمهما أن وكالة الحكومة الرسمية قد عقدت اجتماعًا كاملًا عبر الهاتف، وتمت تعبئة البطاقات، واتصل السكرتير بنفسه على مكتب الرايخ لمناشقة أخلاقيات

العمل[50].

انتهزتُ هذه الفرصة لأتصل بالأميرة «فريدريش ليوبولد»، صديقة مقربة لأهل زوجتي. إن هذه الأميرة هي أخت الإمبراطورة المتوفاة، أخت زوجة القيصر الذي ترك الدولة مع زوجته «بطلب من الشعب»، وإبنة زوجة الأمير «فريدريش كارل»، الذي كان قائد الرحلة إلى المريخ. إنها امرأة محترسة وذكية رغم كبر سنها، فهي تبلغ الثمانين من العمر، على خلاف باقي أخواتها من العائلة المالكة. تتمتع بعقل سليم وصحة جيّدة، فهي تقود الدراجة من «غلينك» عندما تريد زيارة أهل زوجتي في «ستراسبورغ»، رحلة عبر مدينة كبيرة، ولا يبقى كل حديثها لطيفًا عندما تتطرق إلى زوج أختها ورغبته القوية بأن يصبح الإمبراطور.

بالطبع، لم يتبقّ لديها الكثير بعد زوج والدتها. فأغلب القلعة تم بيعها، تقلص رأس مالها إلى اللا شيء تقريبًا بشكل مأساوي جدًا. قتل أحدُ أبنائها الثلاثة في اليوم الأول من آخر معركة، والآخر توفي إثر حادث خلال مسابقة الفروسية، ونتيجة لذلك، تضاعف حبها لابنها الأخير رغمَ ما تسبب به من حزن عميق نتيجة ميوله البائسة. فمع أنوفهم الخارقة لشم أمور كهذه، عرف النازيون بأمر هذه الميول الشاذة بعد فترة قصيرة من توليهم السلطة، وبدوا بابتزاز الأم منذ ذلك الحين. فبشكل دوري، كانوا يسجنون ابنها، ويطالبون بفدية مناسبة. ثم يتم إطلاق سراحه لعدة أسابيع ويسجن مجددًا. وتبدأ اللعبة مرة أخرى. وعندما طلبت المساعدة من غورنغ، جعلها تنتظر ساعتين في غرفة صغيرة مليئة بالطباعين والنازيين. وبعد انتظار لمدة ساعتين، ظهر كابتن المشاة البروسي (المتقاعد) الذي كان نموذج القائد المتحضر، ويداه في جيوبه، ثم قطع

(50) . مكتب الرايخ لأخلاقيات العمل لم يكن موجودًا نهائيًا في الحكومة النازية.

رأس السيجار بصوت عال، واستقبل إبنة زوجته كالتالي:

ما الذي أردته؟

هذا السيد غرونغ، نموذج الثراء والتحضر، والنموذج الفريد للحلم الأبيض للألمان النبلاء.

لقد تحدثنا كثيرًا عن القيصر المتوفي، الذي كانت ردة فعله على موت إبنها الكبير الذي لم تنساه الأميرة، أنه يريد أن يتعلم معنى الموت. وكان فيلهيلم الثاني مجبرًا على أن يأخذ بعض الملاحظات عن الموت. لتعزية الأبوين المكلومين، ومن ثمّ أرسل برقية، كالتالي: «أنا آسف». هذا كان محتوى الرسالة كاملًا.

أعترف أنّني قد جئت مع مرور الوقت لأفكر بشكل أوسع وأعمق في هذا القيصر المنسي والمهمل. يروى لي أن هذا النفي قد حدث ثمنًا لذنوبه. لقد رأيته مرّة واحدة فقط، عندما كان «في الخدمة»، كان غاضبا بسبب أمور عسكرية، وبدأ يصرخ بأعلى صوت وهو يلوح بيده ذات الأصابع القصيرة بشكل عنيف كما لو أنه الملك. كما أن ديكور هوهنزولرن الذي أصبح بعدها مبادرة للتأمل من وجهة نظر ميولي الملكية، تحولت إلى هدايا تذكارية خشبية من دورن، منقوشة بيديه الكريمتين، وعندها اكتشفت أن عملي لم يكن في منزل البروسيين، بل في منزل فيتلسباخ.

ومع ذلك، إن كان لديّ شيء لأقوله بالنسبة إلى الملك الميت أكثر من أي ألماني آخر، فهذا بسبب الترابط بين علاقاتي الاجتماعية ورجال المحكمة، الذين تم إبلاغهم عن المشكلة بكامل تفاصيلها خلال عدة اجتماعات عشاء عمل في مادوراي. إن الناس في مجتمعي يعرفون كل شيء عن كروب ويولنبرغ قبل خمس سنوات من معرفة الصحافة بهذا الأمر، وأستطيع تذكر واقعة حصلت

في شبه قرية خلف أحداث فيلهلم ألمانيا خلال سنة 1896 أو 1897...

كانَ عمي مارشيل، الذي تمت مهاجمته في الملحقية الألمانية في شارع بيترسبيرغ، يسافر باستمرار بين هذه المدينة وبرلين، وقد كان سعيدًا لأنه استغل منزل والديّ كمكان يرتاح به بين سفراته. والنتيجة هي أننا بتنا نعرف كل شيء يجري في برلين، كانعكاس للثرثرات التي تحدث في محكمة كازار، في أقصر وقت ممكن. أتذكر أحد صباحات شهر يوليو بعد أن تناولنا طعام الإفطار، ذهبت لقراءة الصحيفة في مكتب والدي، في حين أن الرجلين المسنّين، والدي وعمي، قد بقيا جالسين على المائدة في صالة الأكل.

علي أن أشيرَ إلى أنّ الصّحف في ذلك الوقت كانت تعجّ بمقالات تحكي عن أن الإمبراطور قد نجا من عدة إصابات خطرة وهو في هوهينزولرن عندما سقطت أدخنة الشراع من السارية وأصابته في عينه خلال وقوفه على سطح المركب. كانت الجروح طفيفة، ولكنها كانت مؤلمة كما ذكرت الصحف، وكانت هنالك شكوك في أنّ ضابط المراقبة هو المسؤول عن هذا الحادث، وتوفي الملازم فون هانك وهو في الخدمة بعد عدة أيام من كارثة ليليبوتيان هذه، وقد تم انتشال جثته ودرّاجته من أسفل الشلالات في نورواي.

ها أنا أستمع الآن إلى عمي، وعرفت ما لم يذكروه في الصحف، وما كان خلف الأضواء. كان الملازم فون هانك درّاجًا متحمسًا وكانت هذه ذروة الحماسة في رياضته. كان يقود دراجته على ظهر هوهنزولرن عدة مرات عندما كان القيصر، الذي يكره هذه الرياضة الجديدة، هناك أيضًا. جعله فيلهلم محدودًا بأجزاء معينة ومع ذلك كان يشعر بالعداء نحوه. ومن شدة سوء حظ هانك أنه كان في ذلك الوقت بالقرب من شراع السفينة عندما وقع على القيصر في حين أنه كان واقفًا على متنها.

ولكن حدث أمرٌ لا يصدّق، شيء ما يجعل دم الصبي ذي الثانية عشرة يتحول إلى ثلج. الأمرُ هو أن القيصر استدعى جميع المراقبين على متن السفينة، ومن ثم ضرب بغضب ووحشية هانك على وجهه. ضُرب هانك على وجهه أمام كل هؤلاء الضباط التابعين للقيصر، لم يفكر حينها بشيء سوى التفكير الأساسي للكائن الحي (يضربه بالمقابل).

ثمّة صمت مميت. جميع الحاضرين باتوا يحدقون. ومن ثمّ، التفت هانك واتجه إلى الأسفل. وبعد يوم من وصول السفينة إلى نورواي، استأذن الملازم وبسرعة تم منحه إجازة ليقضيها على الشاطئ. وفي المساء، تم انتشال جثة الملازم ودراجته من الشلال. لقد انتحر بالطبع ولا يوجد أي تعليق على كونه مات مقتولًا. لقد قتل نفسه ثمنًا لإهانته لملكه. وهذا ما قاله لي أقارب الرجل الميت بعد إثنين وعشرين سنة من وفاته.

ولا يزال من غير العادل أن تتمّ محاكمة القيصر على أساس حادثة واحدة وقعت بسبب عدم تحكم الطرف الآخر في أعصابه. وبشكل خاص، لقد كان رجلًا حسن النية رغمَ أنه معرض للخطر بشكل أساسي. ولكن حالما تم استدعاؤه ليظهر أمام العامّة، انتابته نوبة من القلق، وليتخطى هذا القلق ويظهر بشكل طبيعي وتلمع عيناه بشخصية بارزة تحتوي على «أعرف كيف أعتني بنفسي» فقد تلبس شخصية تظهر مدى ثباته وقوته وأي نوع من العساكر هو بالفعل.

كان لصديق مقرب لي تجربة قوية في مشاهدة هذه التغيرات أمام عينيه. فقد كان ضيفًا للقيصر أثناء مناورات الجيش، وكان هو والإمبراطور يتجولان حول المقاطعة، ويتحدثان بسرور، وكانا كلاهما طبيعيين ولطيفين. ولكن بدأت المناورات مرة أخرة، وظهر المساعدون، وتحول الإمبراطور بشكل مفاجئ إلى

رجل غريب الأطوار، ذو صوت عال، الأمبراطور الذي يعرفه الناس؛ سريع الإنفعال، وذي أطباع مؤلمة من كل النواحي.

وفي نفس الوقت، ثمّة كوميديا سوداء تعكسُ صورة زعيم هذا الجيش الفطن والمتأنق في لباسه العسكري، لم يسبق له أن ظهر مرتديًا ملابسه بالشكل الصحيح. كانت هنالك مشكلة على الدوام في حزامه، وغمد السيف، وتفاصيل أخرى في الزي الرسمي «لم تكن بالشكل الصحيح». وقد أخبرني ضابط إنجليزي في القوات البحرية أن فكرة قد خطرت على القيصر، الذي كان من ضمن الأمور الأميرالية في القوات البحرية البريطانية، فكرة مفاجئة وهي "تفتيش" أسطول القوات البحرية المتمركزة في البحر المتوسط في اللحظة التي يبدؤون فيها بالتدريب ويكونون غير متأهبين نهائيًا لزيارة ملكية. شرح الضابط كيف أن فيلهيلم قد قفز على سلم السفينة مرتديًا زيا أميراليا لامعا والشيء الأكثر إدهاشًا كانَ متمثّلًا ذلك الحذاء الأبيض الصيفي غير المناسب على الإطلاق.

في بداية رحلة اغترابه، عندما كان الإمبراطور لا يزال يقطن في أميروجن، رأته سيدة إنجليزية في حفلة زواج لاثنين من الطبقة المخملية من الهولدنيين. كان القيصر واقفًا عند الهيكل مرتديًا زيّ الضابط المثير للإعجاب، مكملًا عليه بربطة النسر الأسود ويرتدي في قدميه تلك الجوارب القبيحة التي كنتُ أسمّيها لفافات الأصابع في أثناء أيام خدمتي في الجيش. رأيت مؤخرًا واحدة من آخر الصور التي أُلتقطت للقيصر، تم التقاطها عن طريق عم زوجتي، الذي كان قبل عشر سنوات من حشد النبلاء في «دورن». تظهر الصورة القيصر جالسًا بسلام على كرسي الحديقة، مرتديًا بذلة ناعمة وجميلة، ويداه ممسكتان بقبضة العكاز، وقدماه ملتفتان بشكل مريح. كل إنش في الصورة يظهر شكل رجل

مسنّ نبيل. والمشكلة الوحيدة هي في قدميه، فقد كان رباط حذائه غير مربوط بطريقة صحيحة، فرغم كل هذه الأناقة لا يمكنُ أن نتجاهل تلك النّقاط.

لم أقل على الإطلاق أي شيء عدواني، إلا أنه كان مضحكا بعض الشيء ويجعل الشخص يشعر بأن نوعًا من القوة والبأس تتضمّنهما الصورة؛ كما أن فكرة وجود يد خفية تعيد توازن مدى قوته في أمور كهذه، ومع الكثير من المودة التي تذكره بالكوميديا السوداء في جميع مساعي البشر. أنظر هنا، أيّها القيصر، يجب أن تكون الخبير خصوصًا في أمور كهذه؛ حتى وإن كنت بعيدًا جدّا عن الكمال وبعيدًا عن أي شيء مؤثر. لا أعتقد أن الحوادث تأتي في أمور كهذه. بل أعتقد أنّنا رأينا في تلك الحادثة يد الله الرحيمة وسط أكثر الخطابات عاطفية أو الاندفاعات السياسية، تكون الكلمات الحاسمة هي المعارضة السخيفة من قبل شركائهم بواسطة تعديل الخطاب.

أنا لا أؤمن بطبيعة التبذير المعروفة والمفترضة لدوره الإمبراطوري، كما يقول الناس عادةً. بل أؤمن بأن أقسى دواعي السخرية فقط تجعل هذا الانطوائي، الناقص، الحذر بشكل مبالغ يحكم الألمان الغارقين في المشاكل العملية منذ اليوم الذي اكتشفت فيه أنّ كبار السارقين فيها يدافعون عنها بإثارة المعارك بين الكنيسة والدولة، فضيحة فون أرنيم، الأزمات الاجتماعية، موت إثنين من القياصرة.

ولا أحمله أيضًا مسؤولية إقالة بسمارك، سواء وحده أو مع قوات التحرك. ولا يمكن لطالب تاريخ في المستقبل أن يلوم فيلهيلم على هذا. هل يوجد مكان فارغ في ألمانيا للحاكم المستبد الذي صنع نفسه بين عشية وضحاها؟ هل يمكن لأحد أن يتخيل بشكل فعلي التكاتف بين بسمارك وآي. جي. فاربن؟

أعتقد أنّ ألمانيا بشكل عام تحاول أن تظهر ضميرها السيء عن طريق نقل

اللّوم إلى رجل واحد. إن ألمانيا بنفسها التي مزقت خفية كل الراوبط القديمة، روابطها المثالية والهادفة، وطردت بسمارك من عمله في ذلك اليوم من شهر مارس. كما أعتقد أن القيصر كان يتصرف كرئيس لإدارة الناس وكان هو بنفسه المصلح الأخير في الوقت الذي تحول فيه الألمان إلى نموذج مصغر من فيلهيلم الثاني: مثل ارتفاع مستوى السعادة، والصوت العالي وفقدان الروابط القديمة. كالغضب وفقدان اللباقة، وبحبه العظيم لنفسه وتخيله أنه قوة لا يمكن مقاومتها رغم أنه مهدد بالخطر ورغمَ براءتهِ.

في عام 1905، كنت في توربول، في بحيرة غاردا، عندما كان يعقد مؤتمر الصيادلة الألمان هناك. خلال ذلك اليوم، حضر المفوضون هذا الاجتماع، وفي المساء خرجوا إلى البحيرة مع زوجاتهم على متن سفينة بخارية. كانت أصوات غنائهم لأغنية «في صمت البحيرة أستريح» تصدح في جميع أنحاء البحيرة. كانوا واثقين من أنفسهم، لذلك من المؤكد أن كل فرد منهم كان فخورًا بنفسه. كانوا عالقين بين الخيال والحقيقة، منغمسين في ذواتهم بشكل مثير للشفقة. إن كبار المسؤولين في ألمانيا غير مؤذين بعض الشيء، ولكنهم ضائعون بشكل كامل.

كما أنّني أتخيل الأمر بديهيًا الآن، فأنا لست وفيًا أو مدافعًا عن بيت هوهنزولرن. وأنا لست رجلًا نبيلًا من حجرة النوم، ولا أنا رجل ميال إلى البيزنطية. على أيّ حال، أعتقدُ أن الطريقة التي رفض فيها أولئك المغنّون من أبناء الصيادلة القيصَرَ الذي كان يعتبر ممثلهم في أيام المحن في 1918، إن هذا مخزي.

خلال آخر أيام شهر يوليو في برلين عام 1914، وقف حشد عظيم تكاد لا ترى نهاية له أمام القلعة وهتف أمام نوافذ القيصر...

«نريد رؤية القيصر!».

«نريد رؤية قيصرنا العزيز!».

هذا ما كانوا يهتفون به. كانوا يصرخون بصوت عال، و من دون انقطاع كما لو أن الناس مدربون على اظهار حماسهم عن طريق الصراخ.

كان هذا نهاية شهر يوليو، عام 1914، ولكن بعد 220 أسبوعًا، أو 1540 يومًا، أصبحت لا توجد شتيمة كافية، ولا تعبير ساخر كافٍ، ليوجه إليه. كان هذا بعد ستة وعشرين عامًا من توليه الحكم، وقت أكثر من اللازم ليحدث تغييرات في حكمه ويبدأ بالتعرف على تلك المناطق التي كان يتجاهلها. ما الذي فعله ذلك العجوز صاحب الشعر الأشيب خلال 1540 يومًا بعد الأزمة التي انتهت باللعنات والعار الذي كان أسوأ مما فعله خلال الستة وعشرون عامًا الماضية؟

أعلم أن الإطاحة بالحكومة الملكية شيء لا مفر منه، ولكني مؤمن بحالة كهذه خصوصا، عندما يشعر الشعب بأكمله أنه مسؤول، يجب أن تغير الحكومة من طريقتها. لا أعتقد أن الألمانيين لديهم الحق بأن يصبحوا مصدر سخرية وأصحاب نفوذ في آن، كما كتب غوبلز بمقالات عن القيصر. فعلى الخلاف، أؤمنُ بكل سبب يحتم على الألمان أن يفكروا في خطاياهم ونقصهم خاصة موظفو هيئة الأركان، حكم الأقلية في ألمانيا الشمالية، والعوائل البروسية العريقة.

أين كان ودندورف في الساعة التي احتجناه فيها؟ أين كان الضباط الآخرون، التابعون لودندورف، الذين انضموا إلى حكم الأقلية الصناعية ليسحبوا ذلك الملك الناقص إلى لعبتهم الدامية؟ وأين كان صاحب الشعر

الأشيب الذي يحمي عرش بروسيا بنفسه في تلك الساعة، عندما احتاج إليه أسياده؟ من المؤكد أنه يستطيع أن يفعل شيئًا أفضل من التلويح بيده غير قادر على المساعدة، وإسداء النصح للضباط ليريحهم بقوله: على فيلهيلم أن يأخذ نفسه إلى دولة ثانية.

من السهل كتابة «إن الإخلاص علامة الشرف». ولكن ليس من السهل أن تقبل حقيقة أن الشرفاء يقسمون على الإخلاص مرة واحدة في حياتهم؛ وتلك المرة التي يحلفون فيها، لا يمكن استرجاعها؛ ويجب أن يفي بذلك القسم حتى الموت وأن يتولى المسؤولية تجاه حياة الآخرين.

ولكن هذا ما فعله الجنود السويسريون تمامًا، عندما دافعوا بحياتهم، في العاشر من أغسطس عام1792، في المكان الخالي للملك الفار: فقد أقسموا.

قد تستمر الانتصارات الروسية وقد يحتفل بهم التاريخ يومًا ما كونها عظيمة ومهمة. على أيّ حال، هؤلاء الضباط، الذين نطقوا بالأمس بهذا القسم، ومن ثم نقضوه، ثم أقسموا بكل شيء يمكن أن يخطر في بال تلك العصابة السياسية، لا يمكنهم أبدًا أن يكونوا شرفاء كهؤلاء الجنود السويسريين. لا يمكن لأحد أن يضع تمثال أسد رخامي على قبورهم.

إن الألم والحسرة والخزي المدفون بسبب ما نعيشه خلال الثماني سنوات الماضية يكسفُ لنا عن منظورات أخرى. فنحن نستحق أن نعطى فرصة أخرى. ومرة أخرى، ولآخر مرة، أقول إننا قد مُنحنا فرصة أن ننظر إلى أنفسنا من الأعماق ونمسك بزمام النقاش، كما في 1918 عندما تجنبنا الحديث.

«إن الأمر ليس جيدًا ولا سيئًا أيضًا» كما يقول هاملت. قد يكون تحدث نيابة عنا. فلا شيء جيد يمكن أن يحدث من هذه الانتصارات، وفضائح

الجرائم، فليس من الجيد لبلد ما أن يكون أساسه متمركزًا على الدعاية والخيانة وليس من الجيد للناس المتظاهرين بالاستقامة والتقوى أن يحولوا عبء آثامهم إلى نماذج بريئة، وقسمهم إلى جريمة، ويصبحون على أهبة الاستعداد ليدلوا بأي قسم على شرف عقد اتفاق مع الشيطان. كلا، إن ثمن الشيطان أعلى وأعلى!

إن العاصفة آتية على رؤوس هؤلاء الناس الذين أعماهم النصر، والرجل الذي يرى الحقيقة يعتبر وحيدًا في ألمانيا. إنه وحيد بمعرفته، ويستطيع أن يرى مجيء ذلك اليوم عندما كان عليه أن يفعل الأمور الجيدة على نطاق واسع جدًا، في الحديث والكتابة وفي كل شيء. إن كل الأمور التي كنا نطلبها في الحياة ، بقي منها شيء واحد فقط؛ في لحظة الشهادة التي تتطلب أن نسير خلفها جميعا، علينا أن نظهر الحقيقة والإيمان الذي في داخلنا.

هل يجب أن تحقق جميع أماني ومطالب الناس؟

سبتمبر 1941

هكذا نعيش في ألمانيا اليوم...

يوم الإثنين، تم الإعلان عن نصر عظيم. يوم الثلاثاء، لا توجد ولو مجرد روح واحدة تذكر ما حدث. وتم إصدار بيان عن إلقاء القبض على عدد كبير من المساجين؛ لم يكن في وسع أحد أن يتعرف على الموقوفين. وبعد مرور يوم تلو الآخر، صدح المذياع معلنًا عن المزيد من الإنتصارات. إننا نغلق المذياع فورَ سماعنا لإشعارات النّصر وقد تملّكنا شعور عميق بالاحتقار.

لا أعلم حقًّا لمَ لم يبق شيء في عقول الناس بشأن تلك الحركات الأكثر شغبًا أو جيوش العدو المحاصرة والتي تعد أكثر من الذين في سيدان أو أكثر بقليل، على أيّ حال، أكثر من حالات عدوى الحمى القلاعية، أو حقيقة تجمد الأرض التي تصلّبت هذه السنة مبكرًا. كانت تلك هي الحقيقة. في بعض الأحيان، أعتقد أن سبب ذلكَ يعودُ إلى سرب النمل الأبيض التي نحن عليها، فالنمل أصبح غير قادر على تمييز التحذيرات الآتية من خارج السرب. فأنا أتذكّر في هذه الحظة، ومن ثم أرفض الفكرة. فهنالك أمرٌ آخر هنا، أكثر تعقيدًا، أمرٌ غريب بعض الشيء، لا يمكن أن أصفه بالكلمات.

لا أعلم ما هو، ولكنّني أشعر به، أمرٌ مّا هنا، يدخل فينا، ولكنه غير مرئي.

بغض النظر عن توقعاتي، فإذا كانت الحقيقة متمثّلة في أن كل ما يجري أمر معلوم فسأشعر بما يخالجني الآن؛ إن هذه الأشياء خارج التاريخ.

مثال آخر على أننا نعيش خارج التاريخ: أن السيد برونو بيرهم، الذي كان قبل عدة سنوات فقط يقف في خط الإنتظار للأدباء اليهود، والذي كان يكتب قصص

برقيات دامية من ليمبرغ عن الجثث التي وجدوها هناك والتي يجب أن تكون من عمل تيشكا وقد ألقى اللوم كله على اليهود[51]. وهذا، من دون شرف ولا حقيقة ولا عدالة. كما أن الطبقة المجتمعية الأقل، والتي نعرف أنها تتضمن الجميع إلا مرتديي الصليب المعقوف، لا يملكون حتى الطعام. إن البيروقراطيين الخياطين السابقين، المتدربين في البنك، اللاهوتيين وطلاب اللاهوت يدعون إلى عيش حياة كادحة.

عندما شرّف مؤخرا السيد غوليتير فاغنر بلدتنا الصغيرة بحضوره، تم ذبح جميع الدجاج الموجود في المنطقة لتلبّي حاجة حاشيته من السكيرين والمجرمين. لدى هتلر خضراواتهُ الخاصة التي يأتي بها من سولن، بالقرب من ميونيخ، إذ تقوم القوات الخاصة بحراسة السياج الكهربائي الذي يطوق البيوت المحمية لخضروات النباتي تيمورلينك.

أصبح عوام الشعب في الوقت الحالي يشعرون بالغضب الحاد تجاه مصانع الأغذية الألمانية التي أصبحت غنية بالمواد الكيميائية. فالسكر أصبح الآن يُصنع من لب الحطب، والسجق يُصنع من لب خشب الزان، والبيرة، ذلك الشراب النتن تصنعُ من مصل اللبن. والخميرة مصنعة من مواد كيميائية، والمربى مضاف إليه ألوان إصطناعية لخداع الناس بأنه مربى حقيقي. ونفس الشيء بالنسبة إلى الزبدة، إلا مسألة التلوين هنا فهي تحتوي على خلاصة سموم الكبد المقرفة والمثيرة للإشمئزاز وبلا شك أن المسؤول عن هذا الإصفرار باللون معروف. فالجميع أصبحت أعينهم مصفرة، وإن كانَ ما يقولهُ أصدقائي الأطباء صحيحًا، فإن نسبة مصابي السرطان قد تضاعفَ خلال السنوات الأربع الماضية.

يكون البروسي الحقيقي، اليد العتيقة في انتقاء حياته من سلة المهملات، في

(51) . في الفترة بين رحيل الجيش السوفييتي من أوكرانيا و دخول الجيش الألماني إليها، قامت مجموعة من سكان غرب أوكرانيا بمذبحة. وقد أشادت الصحف النازية بأن " هذه التحركات كانت ضد اليهود".

كامل مجده عندما يستطيع أن يجرف الخيرات الطبيعية الألمانية، التي هي أكثر من كافية لاستيفاء مطالبه، و يضع في مكانها بديلًا آخر، الشيء المصنع. فالخضار المعلبة أيضًا مليئة بالألوان المائية. والنبيذ عبارة عن سم الثعابين، إلا النوع الذي يكرعه الضباط الشباب، أو النبيذ الذي يباعُ في السوق السوداء المدارة من قبل صرافي رواتب الجنود. ورائحة الصوابين أصبحت سيئة كسوء رائحة الفساد الذي يعم ألمانيا الجديدة، وأسفل أحذية التزلج التي اشتريتها الشتاء الماضي بعد سلسلة من المعارك التي خضتها في سبيل الحصول على قسيمة شراء، أصبحت مثل لوح كرتوني مبلل ورثّ بعد نصف ساعة من المشي.

لنكن واضحين، إن نتيجة كل هذا قد بدأت فعلًا. إن نتيجة هذا الاهتياج والغاز الصادر من النيران، والخبز الموحل، وأجواء المقاهي الوبائية. ولا يوجد شخص واحد يستطيع أن يزعج نفسه بأن يمشي عكس التيار. ونتيجة لتسميم الدم هذا، أصبح الناس يصابون بالدمامل والخراجات وباتت سوائل أجسامهم مسممة. فقد تكاتفت ملاحقة الضرورات اليومية وحسد الجيران الأعزاء فأنتجا لنا قبحا وإهمالا في السلوك. فقد حدثت أمور كهذه منذ فترة قصيرة.

فمدرسة إبحار غالية ورسمية، تنتج لنا أصحاب مصانع مغفلين، وتلك المدرسة تقع بالقرب من البحيرة. فيبدو شكلها من الخارج كعلاقة غرامية راقية، ولكنها في الواقع بيت دعارة صغير، فهناك تجد الشباب الصغار والنحيفين ينامون مع مدربيهم المخادعين الوحشين والرائعين. وفي المقهى الموجود في البلدة الصغيرة القريبة من البحيرة رأيت الطبيبة النفسانية لزوجة غورنغ السمينة وهي ببساطة تسرد تفاصيل التلقيح الاصطناعي لزوجة غورنغ.

أدّى غياب الرجال إلى حالة غريبة. فمنذ أن شاع عن أسرى الحرب الفرنسيين أنهم لذيذون، كالفاكهة المحرمة، أصبح شائعًا لدى المرأة الريفية في شمال ألمانيا أن تخبئ رجلًا فرنسيًا تحت عربة تحميل البطاطس وتهربه إلى بيتها.

وفي قرية قريبة، كانت ثمة أرملة في الثلاثين، توفي زوجها المزارع في شجار في روسيا، وقد قام والد زوجها الذي يبلغ خمسة وستين عامًا بإغراق طفليها بالمستنقع. ومن خلال معرفتي بهذه البلدة الصغيرة ذات الأخلاق العالية، فإن حياة الشارع قد بدأت من نساء شمال ألمانيا اللاتي تم إرسالهن عن طريق النازيين في منظمة المرأة والطفل؛ وقد انتشرت العدوى إلى السكان الأجانب. وقامت النّساء بتأسيس جزيرة السعادة عبر الإقامة مع جنود مخيمات أسرى الحرب.

في طريقي إلى بلدتي مؤخرًا سمعت صوت صراخ عال لطلب نجدة؛ ما حدث هو أن واحدة من تلك النساء لم تنتبه إلى طفلها ذو الثلاث سنوات، و حينما كانت تستمتع بوقتها مع عشيقها، وقع الطفل في النهر وغرق. قضيت ساعة كاملة وأنا أحاول إنعاش الطفل، ولكن لا فائدة. فقد مات الطفل. ظهرت تلك المرأة أخيرًا، وقد مثلت دور الثكلى التي تنوح على موت ابنها، وفي نهاية المساء رأيتها تتنزه أمام النوافذ خلف المكان الذي كان ابنها مستلقيًا فيه.

في تلك الليلة، حاول أهالي البلدة أن يقوموا بتسلية تلك المرأة في مهرجان قطط حقيقية، وأبواق النار، وخمس مبارايات مصارعة. كان الوضع مقاربًا للعجوز «هابيرن»، الذي كان قبل أكثر من خمسين سنة يدعو إلى الأخلاق الحسنة في القرى والبلدات بأبسط الطرق وأكثرها تأثيرًا، والتي تم منعها للأسف بسبب تدخل الكهنة الجهلة.

ولكن الآن بدأ ظهور عدد من الأشياء التي من المفترض أنها انتهت إلا أنها عادت مرة أخرى، كالأشياء التي تحدث في المناسبات؛ الجيدة والسيئة، الروح الطيبة والشريرة في الجشع والوحشية. لا أعلم حقًا إن كانت نهاية العالم قريبة جدًا، كما يقول دوستويفسكي. ولكنني لا أعلم، إذا كانت هذه السنوات ستغيّرُ مفهوم الإنسانية بشكل لا يمكن تغييره مرة أخرى، وإن هذه الحكومات المستبدة الطاغية هي النهاية.

يناير 1942

سقط علينا هذا الشتاء كقاطع طريق. ويبدو أن الإحتجاجات والإضرابات الأبدية في الشمال التي استمرت في السنوات الأخيرة قد تمت الإجابة عنها من خلال سلسلة طقس الشتاء الشمالي. لثمانية أسابيع من الآن، أصبحت صورة الكآبة التي تقبع داخل أرواح الناس، كالبياض الذي أخفى ملامح الأرض. كان علي أن أحفر نفقًا عمقه بطول رجل، يصل بين البيت والحظيرة. وقفت على أعلى نقطة من هذه الثلوج المتراكمة كالجزيرة، كانت بطول منزل مكوّن طابقين.

وبالتالي، أصبحت لشهرين في حال جيدة كالمقطوع عن العالم. لأحصل على رطل من اللحم على أن أمشي على المزلجة لساعتين، وقد تقضي 24 ساعة وفقًا لسرعة الجليد للوصول إلى أقرب بنك أو طبيب أسنان، وتأخذ الرحلة يومين كاملين في القطار القذر، الممتلئ بحاملات الأمتعة والناس المتسخين أصحاب الرائحة النتنة، للوصول إلى ميونيخ. كانت تلك الرحلة تأخذ تسعين دقيقة بالسيارة. إن هذا لمضيعة للوقت، وقد أُجبرنا عليه بسبب هذا النظام الذي يأخذ كل شيء ولا يعطي أي شيء، وهذا يعني أنك لا تستطيع فعلًا أن تقوم بأي شيء له علاقة باستخدام الدماغ. فمن خلال غياب جميع عمال الصيانة، أصبح الرجل العادي مهندس الكهرباء لنفسه، هو من يبني سقف بيته، وهو من يقوم بتنظيف المدخنة من الأوساخ والعوالق المتجمدة ليبقي بيته صالحًا للعيش فيه.

عندما كنت أمشي مؤخرًا في الغابات المتجمدة، رأيت غزالا صغيرا جائعا، كان قد جرحه كلب. أخذته إلى المنزل، كان الجرح عميقا بشكل مؤلم، ومات بين يدي. مات ونظرة النهاية الحزينة والدموع تملأ عينيه، إن المتهم هنا هو الخالق لأنه سمح لأحد مخلوقاته بأن يعاني هكذا. في مرة من المرات، في جنوب المحيط الأطلنطي، رأيت صائد حيتان يحاول قتل أنثى حوت كانت برفقة صغارها. كان الصياد، رجلا إيرلنديا ذو لحية حمراء، يستمر برمي السهام على الحوت، إلا أنها بقيت تسبح للخلف والأمام حتى أصبح لون الماء حولها أحمر من الدماء، محاولة بجسدها الممزق أن تحمي صغيرها. ومنذ ذلك الوقت، ووجه ذلك الصياد ذي الوجه الممتلئ بالنمش يضحك بسخرية، ومنظر ذلك المخلوق المسكين الذي استمر مؤمنًا بالمحاولات حتى النهاية، حينها فقط آمنت بوجود الشيطان كما أؤمن بوجود الرب.

لقد غير الشتاء حتى الحرب. أصبح شبح ما يظهر من خلف النفايات المتجمدة الروسية، إنه شبح العلاقات، وأبناء وطني الصادقون باتوا الآن يؤمنون بالمعجزات التي ستغير كل شيء. لديهم آمال في الغاز الذي سيدمر الحياة كلها في دولة كبيرة خلال عشر ثوانٍ، "قنبلة ذرية" مذهلة، ثلاث منها ستدمر بريطانيا وتبسطها على الأرض. نعم، والعديد أيضًا من الأنفاق، التي أصبحت الآن تحفر خفية تحت مجرى النهر من كليس، والتي ستمكن الجيش في يوم ما من أن يقضي على الأعداء في براندنبيرغ ويدفنهم.

ووفقًا لهذه الشائعة بشأن نفق النهر فقد قيل لي قصة غريبة في قطار سلاوبيرغ عن القبطان ثيدور كوتش من خط هاباج. كان كوتش أحد أولئك الرجال القادة أصحاب الطلة البهيّة والسلوك الحسن الذي يعزز وظيفته المميزة، ومكانته في ائتمانه على سفن ضخمة في شمال الأطلنطي الذاهبة إلى

نيويورك. أعتقد أن الكثير من الإنجليز سيتذكرون هذا القبطان الراقي المستعد دائمًا. أصبح كوتش بعد ذلك قائد السفينة العسكرية في الأمبراطورية البحرية، وخلال هذه الحرب تم وضعه في مهمة على واحدة من الجزر البريطانية في مجرى النهر الذي احتللناه. ولكن في نهاية الخريف الماضي، ظهر على الجزيرة رجل ذو مرتبة عالية في البوليس السري النازي. جرى بينهم حديث طويل، وكانت الأصوات ترتفع، و في النهاية أخذ كوتش مسدس الخدمة خاصته وأطلق النار على نفسه.

إن الجزء الغريب من القصة يتمثّلُ في كون أنّ الجنود الموجودين في الغرفة الخارجية، والذين كان بإمكانهم سماع أجزاء من المحادثة التي جرت، قد سمعوا ذكر النفق عدة مرات. كما أن رفيقي في السفر على متن قطار هامبورغ، الذي أرغب كثيرًا في معرفة المزيد من المعلومات عنه، والذي كان بإمكانه إعطائي معلومات أكثر، فقط إذا كان يريد، ولكنه رفض.

من وجهة نظري، أرى أن الدائرة قد تتحول إلى مربع قبل أن أصدق بهذا النفق. ولكن ما الحقيقي فعلًا إلّا الخوف بأن أولئك النازيين المجرمين لديهم المصير الذي ينتظرهم. سيحاولون بكلّ الوسائل، حتى بالذهاب إلى القمر، ليهربوا منه.

أشعر بالكثير من الوحدة خلال هذا الشتاء. ماذا بعد؟ مؤخرًا، كان الرجل الذي يجب أن أجلس إلى جانبه في فندق ريجينا ولكن رئيس البنك الألماني بنفسه السيد هيلمار شاخت، قد ألحق بنفسه العار، عارًا كالكوبرا المتفخة بالسموم، وقد سلم نفسه بصوت عالٍ. صوت عال أستطيع سماعه. لقد ألغيت فكرة التضخم المالي الآن وأضحى يؤمنُ الآن أنّ هذه الفكرة أبديّة. في اليوم التالي انضممت إلى طاولة زبائن عاديين في مقهى هيلبيغ، حيث تركزت حجة

اللاهوتيين الكاثوليك الموجوين حول أساليب العقاب المختلفة. فبالنسبة إلى السيد وزير الدعاية و الإعلام، كلّفهُ ظهوره عاريًا في قفص القرود في حديقة هيلبرن للحيوانات غاليًا ولكنّها نفسها التكلفة المعتادة في أيّامنا اليوم. وبالنسبة إلى الرجل العظيم ذاتِه، لا شيء أقل من رحلة حول العالم، في قفص مع خواتم بأصابعه وأجراس على أصابع قدميهِ. إن الرئيس هنا قد يكون عقابًا لبوكلسون، ملكًا على العماد، الذين وضعتهم سلطات القرون الوسطى بأقفاص وتبادلوهم كطيور الكناري، وهكذا في كل مرة يكون محور الحديث في أثناء شرب القهوة لإحياء حسّ الفكاهة قبل الموت.

لقد استمتعت بكل هذا. فمجرد تخيل أن هتلر يغني أغنية هورست فيسيل، وهو عار على منصة برودواي، تتراءى عظمة هذه الفكرة العميقة التي تحملُ دلالة سياسيّة علميّة، إلى جانب وجود العديد من أسباب الرّضا الشخصي. يجب أن يكون هنالك مكان في الثورة الألمانية الجديدة للضحك بعد أن كان محرمًا لما يقارب العقد، كصمام أمان لتنفيس الغضب المكبوت. فإن إغلاق هذا الصمام، كما حدث في عام 1919، مع فرض القانون والنظام سوف تنفجر هذه العبوة الناسفة في وجه مخترع الألعاب النارية. كان يمكننا أن ننجو من عذاب الهتلرية إن كان في ذلك الوقت أو تحت أي سبب حتى، واصلنا إقامة الثورات، وسمحوا للشعب بأن يتخلص من غضبه، وأن يصرخ حتى يشفى ما في داخله.

لقد خضت نقاشًا طويلًا مع إم الذي تم منعه من قبل النازيين منذ سنوات من مواصلة دراستي العلوم الاجتماعية، عن علم الإنسان والأمراض. وأتذكر جليًّا أنني قد تحدثت بهذا الشأن سابقًا. في الواقعِ ارتفع عدد سكان أوروبا خلال 140 سنة إلى ما يقارب المرتين ونصف مع شبنغلر مرات عدّة. بالطبع، شبنغلر صاحب فكرة واحدة، ويضع كل شيء لشرعية تحديد الأطفال

المولودين خارج أو داخل إطار الزواج للطفل الثاني والثالث للمزارعين الذين أصبحوا جنودًا أو قسيسين سرًّا. ولكنّي أنا أُجبرت على أن أكون مختلفًا، وهذه نهاية مخيفة.

إن تفكير إم في هذا الموضوع تحول إلى تداخل الحياة الحضارية التي جلبتها التكنولوجيا. لا أستطيع أن أرتاح مع هذا، لأن الرجل العادي لا يمكن أن تجده في طبقة العمال خاصة. في الحقيقة، قد يكون غير معروف لدى العاملين ولدى فئات عدة من المجتمع البرجوازي الذي لا يعيش في ظروف مزدحمة. اكتشفت بالإضافة أن هنالك سابقتين للوضع الذي نعيشه الآن إمبراطورة الرومان وولاية ألانكا التي اكتشفها كولومبوس. إن الشيء غير المتوقع هو أن التغير الجذري إلى شعب كامل من البسطاء لم يكن أبدًا دلالة على القوة الصحية. بل كان ضعفًا عاطفيًا وسقوطًا مرتبطًا بعبادة السحر، في فترة السقوط في وقت كاراكلا، مع تسوس اجتماعي واضح وتهديد بالدمار الجسدي.

دخل هذا الرجل العادي إلى منصة التاريخ بكل غطرسة وتكبر، إلا أنه سقط فريسة للمرض، وأصبح بشكل مفاجئ محط الأنظار، ولكنه غير قادر على الحفاظ على نفسه لوقت طويل؛ مهدد بالاختفاء من منصة التاريخ كما تختفي الأشباح. في السابق اكتظت المدينة بملايين المواطنين وأصبحت الآن كالبلدة الريفية التي تحتوي على عدة آلاف من الناس. أصبح الميدان العام الآن حقل ذرة، ترتفع تماثيل الهيرما هنا وهناك بين حزم الذرة.

هل بقي أحد هنا يؤمنُ بأن تكاثر الناس هذا يعتبر إنجازًا متحضّرًا للسلالة العظيمة ل«نكون خصبين ولننجب ونتكاثر أكثر؟». هناك فجوة كبيرة بين الإنجاز والوفاء بالتحضر؛ إن الإكتظاظ في مدننا الكبيرة لا يعد في الإحصائيات السكانية التي نراها. لا، إن الانفجار السكاني يبدو أكثر كالوباء.

حتى في قريتي الآمنة هنا، فكما سمعت من تسجيلات الكنيسة، أنّ عدد سكانها قد تضاعف أربعة أضعاف ما كان عليه في المائة سنة الماضية. نتائج اكتشافات العلم؟ أنا أميل أكثر إلى تصديق ما وصل إليه العلم اليوم، في مجاله وقوته، في قابليته لتبديل مكنوناتها الطبيعية الثمينة بمواد إصطناعية، وسموم كيميائية، إنها إنتاجات البشر، وليس إنتاج شيء آخر. أنا أؤمن بأن الطريق الذي نسلكه اليوم في مجال العلوم عن طريق استبدال منتجات الأمس الصحية والمجربة بمنتجات رخيصة وسيئة، كأجهزة المذياع، وسيارات الفولكسفاقن، وحرير الرايون، فكل هذه أدلة على هذه الأسباب والتأثيرات.

وماذا لو تعلّق الأمر بما يسمى بالمعايير الصحية. تقليل نسبة الأمراض المعدية، وزيادة متوسط العمر المتوقع، واختفاء خصور الدبابير وعظام فك الحوت، وظهور ألمانيا بحلتها الجديدة؟ اوه، أرجو أن نستعيد كل هذا، تلك الأيام السيئة! على الأقل، لأجل الله، الآن وبالمستقبل، يمكنك أن ترى في وجه أحدهم، شيء ما من الماضي، ألماني غير جميل من بين كل أولئك المزيفين. لو كانت هنالك ضربة حظ في التاريخ لكنا قد تخلصنا من هذه المحيا من الفراغ الهستيري المعرف بعلم الفراسة لدى الهتلريين!

دعونا نعود إلى مشكلة زيادة متوسط العمر المتوقع؛ فإن حضانة الأطفال غير المؤهلين دور أساسي، وعدم فحص حديثي الولادة الذي كان أمرًا معتادًا في السابق للتأكد من أن المولود سليم العقل والبدن. وقد ذكرت في السابق التأثير القوي بالنسبة إلى الأعطال الجنسية للذكر والأنثى الرياضيين الذين تمت معالجتهم من قبل الطبيب. إن هذه طريقة إنذار الطبيعة لعدم رغبتها باستمرارية تكاثر البشر ذوي التوجهات الجسدية الواحدة.

في نفس الوقت نجد أن هؤلاء الرجال الفارغين يتكاثرون بكل السبل

الممكنة، فهنالك شعور بالتقزم بالنسبة إلى الأمور الغيبية، شعور خلق في جوف الإنسان منذ بداية الحياة. ليس هنالك طبقة اجتماعية، ولا وجود للكهنة أو الملوك بعد الآن، أو صاحب الشريعة أو قاضٍ يحتل منصبًا في السلطة بعد الآن. ليس هنالك حلقة اتصال غيبية، فكل الاختلافات في خبرات الناس يمكن أن تكون واضحة. فنتيجة هذا هو أنه لا توجد فلسفة تفكيرية تستحق اسم الوجود؛ إن حكماء الجامعات الذين انضموا مؤخرًا إلى هذا النظام قريبون ومتماثلون مع الحراس الليليين المحترمين، المحدودين بأداء دور لعبة الرجل العجوز لأوراق التنجيم اللانهائية بنفس الصيغ المستهلكة.

تمّ اقتحام بيت الثورة الممتلئ بالفنون، وقد تلوثت مقتنياته ببصماتهم. إن انتهت رحلة المهندسين المعماريين إلى الواقع الجديد وانتهى بهم المطاف إلى أسلوب فن معماري أقرب ما يكون إلى اللا واقعية منه إلى الفن القديم. كما أن محاولة بناء كنيسة قد أصبح كفرا، وملحن السلسلة الرباعية انتهى به المطاف بشيء رنان وممل بغض النظر عن كل البهرجة باللحن التي أصبحت ضجيجًا بعد دمجها مع معزوفة موزارت.

ورغم أن المرجان يسعى إلى التشكل، إلا أن الطبيعة تكره عدم التشكل كالبذاءة الأصلية، والبشرية الآن تسعى إلى الغوص عميقًا حتى تصل إلى عدمية التشكل، المكروه على كافة الأصعدة. فالمثل الأعلى هو الحالة البليدة تمامًا في إعطاء مميزات لرتبة أو مهنة يعتبر أمرًا سخيفًا، وعارمًا بالفوضى؛ فالأستاذ يبدو كأنه رياضي، والنادل كأنه أرستقراطي، والأرستقراطي كأنه رئيس الخدم. فرجال الأعمال أصبحوا يربون الأحصنة الأصيلة، والضابط الخيال أصبح يضارب بسوق العملات. فقد وصلنا إلى النقطة التي يكون فيها المترجلون واللصوص الفئتين اللّتين بقيت هويتهما العملية واضحة.

ويا لتلك الأصابع المتعرقة والأشياء المخدوشة التي تحدثت عنها سابقًا في رهبة وذهول، كيف لهم أن ينتهكوا الملكية الشرعية والشرف الذي ذكر سابقًا للمخلدين، الأبطال، المفكرين العظماء! في ألمانيا اليوم، عليك فقط أن تكون محاربًا محنكًا في شجار الحانات، لتنال لقب القائد الكبير الذي قدّم «لموتلك» في النصر الذي حققه في «سيدان». فإن دمجت وجه تاجر الأحصنة مع أعضاء الحزب النازي، فسيصبح من غير القانوني أن تسمى مواطنًا. كان غوته سيحرق كتاباته لو أنه تخيل فقط أنه سيأتي وقت يصبح فيه الناس مثل هيربرت مينزل وجوزيف مانغوس مشهورين ككتاب؛ ولما كان العظيم فريدريك ليبحث عن الموت في كونريدورف، لو كان قادرًا على رؤية ذلك اليوم الذي سيتم وضعه جنبًا إلى جنب مع رجل آتٍ من غرفة مفروشة في لوحة خشبية في باريرستراس. تجاور مخزٍ، عار على ألمانيا! ففي أيام العظماء، أنتج الألمان صورًا لا تنسى لمريم العذراء والفارس قاتل التنانين. والآن، نحن سعيدون بإصدارات الشباب الداعمين لهتلر من لوحات السيد جورج، وإصدارات بي دي ام لمادونا، التي تشابه نموذج غوبلز إلى حد كبير، الذي يشابه دوريان غراي واوتو غيبر يشابه العظيم فريدريك.

ورغم انطباعي الشخصي، لا أعتبر على الأقل هذه القذارة وأعلى مفاهيم التفاهة تتصل مع النازية أو كوم النمل الألمانية فحسب. أرى هذا البحر ممتلئًا بالرجال البسطاء الذين يلفون على آخر الجزر في جميع الدول حرفيًا، وأنا أرى، وقد تكون إنجلترا مستثناة، أن المحاصرون مستعدون للاستسلام. كما أن هذه الهزيمة أمر قضي بالإيمان، فعن طريق إستعادة الواقع وقبول العذاب، حينها يمكن تجنب الهزيمة! إن هذه لم تعد مسألة ثورة محتومة، كما كانت عام 1789. إن ما نحن أمامه هو منافسة على السلطة، يمكن أن تحسم من خلال القتال

بالأسلحة وقياس مدى مقاومة الفرد واستسلامه. وإن كان أمرًا لا بد منه، فحتى العذاب يمكن أن يخدم في هذه المعركة.

من المستحيل أن أغير معتقداتي عن الرجل البسيط بأنه شخص من الطبقة العاملة الذي لا هوية له. ولدت فئة من الشعب الآن من الذين تجدهم غالبًا في الغرف الجانبية لبيوت العوائل الكبيرة بين أبناء أصحاب المصانع الأغنياء وبناتهم، وليسوا عمالا. الحقيقة هي أننا نتعامل الآن مع وباء، وباء بيولوجي لا اسم له، بدأ من أعلى طبقة في المجتمع.

كما أنني أعتقد أيضًا أن ندائي للمقاومة وهو مجرد مبرر لمواجهة هذه التشخيصات والتكهنات، وفقًا لعدم الإستقرار البيولوجي للشعب وحقيقة أن فترات البقاء على الأرض ماهي إلّا أوقات محدودة. لقد تحدثت آنفًا عن الرابط الغامض الذي اكتشفته بين الانفجار السكاني وبين التركيز على الجسد. الخلايا السرطانية والرجل البسيط؛ لديهما نفس التأثير في البناء البيولوجي، نفس الميول نحو الموت المبكر، نفس التكاثر السريع، نفس الظهور الفوضوي للأشياء التي كانت ثابته في الماضي. إن هذا المرض يتخللنا اليوم بنفس سرعة المد والجزر وينتشر أسرع من مرض الطاعون الأسود. بالتأكيد، هذه الحقيقة وحدها تبدد الرابط المتأصل بالشيء الذي يهدد ثقافة الشعب بأكمله؟

إنني متفائل كفاية لأصدق بأن هذه الغيمة السوداء الموجودة فوق رؤوسنا منذ القرن الماضي سوف تختفي في يوم ما، حتى وإن استغرق الأمر سنوات من الرعب المريع. إن الرجل البسيط شخصية اقتصادية مستحيلة، وسيظهر حالما تتمكن المصانع من تغطية العالم بمنتجاته. ومن ثم، سيظهر هذا النماء السكاني الزائد على ما هو عليه بطريقة مفرطة، غير مقبولة ولا معنى لها كما كان النظام الإقطاعي يؤدي وظائفه التاريخية خلال نهاية القرن الثامن عشر. إن الرجل

البسيط عبارة عن نظام غير قابل للحياة، مهدد من قبل التطورات غير العقلانية المتجمعة عليه باندفاع، كالغيوم العاصفة في سمائنا. فمن الممكن تخيل ما قبل حدوث هذا، وقبل العاصفة المستعدة لمهاجمتنا الآن. فرؤية شبنغلر الشريرة، عندما رأى آخر آلة كمان موسيقية مرمية عل الأرض ومكسورة، آخر نسخة من معزوفة موزارت قد أحرقت، كانت صادقة. ولكن الأمر شبه المستحيل هو أن المخلوق مشتق أساسًا من العقلانية والتطور المتزايد وتحت الضغوطات العالية سينتج جيلًا جديدًا من اللاعقلانية أو معاديًا العقلانية. كما أن الفراغ الروحي الكبير الذي نعيشه في وقتنا الحالي سيجعل هذا الإنتهاك تلقائيا إلى حد كبير.

لا تقبلُ الحياة بناقصي العقول، فهي تعاقب إختلال التوافق بين مهام الجسد والعقل بالموت. يبقى الموتُ شيئًا دائمًا، بغض النظر عن كل الاختلافات التي حدثت داخل بيت الدعارة هذا الذي شيده الرجل البسيط. لقد جعلت هذه الحرب الشعوب متمردة إلى درجة أنها قد تهدم كاتدرائيات غوته وإخراس باخ شاخون إلى الأبد؛ ولكن جماعة من لاعبي كرة القدم لا يمكن أن يخمدوا النار التي بدؤوها.

فبراير 1942

الكتابات الوطنية التاريخية؛ في ألمانيا، الأكاذيب لها شخصية شقراء. الوطنية؛ تفكير عقلي يجعلك لا تحب وطنك بنفس القدر الذي تكره أحدًا فيه.

والآن، زور الرجل البسيط لنفسه الأداة المناسبة ليعطي تفسيرات على أكبر المشاكل. حل ظاهري، لن يغير شيئًا، ويمكن للجميع فهمه مباشرة. المشكلة الأخيرة لمجلة شوارز كوربس التي أخبرتنا بأن حياة الرجال لا يوجد فيها شيء مثيل للمأساة، ليس بسبب القوات النازية الخاصة، وإضافة إلى ذلك- يعتبر القادم سؤالا-إن المأساة عبارة عن حالة اكتشاف أولى عن طريق البابا تحت عنوان البشرية.

ولكن هذا هو الشيء المزعج بالنسبة إلى أولئك الناس؛ فهم يدسون فينا النزعة البربرية، ومن ثم يجعلوننا نقتنع بها عن طريق اختيارنا «رجلهم البسيط» ولا سبيل للنقاش في هذا الموضوع. إننا على حافة الانتهاء بسبب عدم معرفتنا بأن تقنيتهم لا تعادل شيئًا سوى أنها احتيال عظيم، وحياة صناعية رثة، ووسائل الراحة التي ينتجونها على حسابنا كأننا سلعة عظيمة مثل الألوان الأنيلينية التي يبدو شكلها كقوس قزح.

هل يعتقدون أنهم سيوقفوننا عن التمييز بين الأشياء وسينقصون كل شيء حتى نصل إلى المستوى المميت. ساوي بين موائد الطعام في الماضي والأطعمة الحديثة التي نستخرجها من العلب الحديدية، مميزات الرحلة بالسيارة والسفر

على القدمين، أسعار الجوارب الحريرية أمس، وجوارب اليوم المصنوعة من الرايون التي ترتديها المجندات. كل هذا يجعل الناظر يكره النساء.

هل علينا أن نصدق بأن الحطب الياباني من قبل والآن بعد تطوير زيت الأنيليني السام يعتبر نفس الشيء؟ أو رحلة ذلك الجد إلى إيطاليا، الذي خطط ليمكث هناك سنتين وبقي مدى الحياة، هل كان هذا يساوي مدة أربعة أسابيع، على القطار السريع ليغطي إيطاليا من فيرونا إلى تورنتو، التي من خلالها يرى كل شيء، ومن ثم عليه أن يعود إلى المصحة للتّعافى؟ هل الصحوة الجنسية التي طالما كان يتم التطرق إليها من بين كوم قش للمؤازرة في أثناء محاضرة التي يلقيها الزعيم الألماني للنساء مع أو من دون إثباتات عملية؟

مؤخّرًا، عندما كنت أتحدث بشأن العمل أو الفروق الطبقية، تحدثت عن العمل المشرف، عن المشاة، كأُناس احتفظوا بخصائص شخصياتهم المميزة. الآن، عليّ أن أسرع لاسترجاع القليل من هذا التشجيع. فالآن قد بدا أنه يجب التضحية بالخطيئة في سبيل التقدم. إن آخر كلمة للاشتراكية القومية الألمانية كانت عن إنشاء قنصلية ألمانية للعاهرات، وتكملة مع مناظرة برلمانية، ومحاكمة من قبل هيئة المحلفين على أقرانهم، وانتهاءً بدورات مهنية معدة علميًا. كل هذا يتم تحت حماية السلطة العليا، ومسؤولية رئيس الإعلام الألماني.

إن الحقيقة هي أنه لا يوجد شيء هنا يمنع تشكيل اتحاد العمل في ألمانيا الحديثة مع استثناء شيء صغير، ربما: أنت وحدك المفقود، السيد مالك المصنع، أنت وحدك.

11 مارس 1942

من خلال قراءتي **لشوبنهاور**: كي أفهم نوع الثقافة الفكرية الألمانية وأصبحَ مستعدًّا لما ستحملهُ الأيّام كتبت بعض الملاحظات المتعلّقة ببعض النقاط التي سأبقيها نشطة في عقلي مستقبلًا.

1ـ لا يزال فيشت بنفس المستوى مع سيده كانط، حتى بعد أربعين سنة من إصدار كتابه الأول مع العلم أن لديهما أمورًا مشتركة.

2ـ إن أعمال ليشتنبرغ لم تصل فقط إلى الطبعة الثانية فحسب بل مضى على إصدار أعماله إثنتان وثلاثون سنة، وقد تم التخلص منها فعليًا، في حين أن أعمال كروغ وهيغل وغيرهما قد وصلوا إلى عدد كبير من الطبعات.

انتابتني فكرة لعدة أسباب فعند دخول مصطلح الوطنية إلى مملكة العلوم كان يجب أن تمسك من ياقتها وترمى بالخارج.

هنالك نزاع بشأن أن ألمانيا اخترعت البارود. إلا أنني وجدت هذا صعب التصديق.

إن الأفكار التي انتابتني بعد قراءة هاين بالألمانية (من كانط إلى هيجل): أن المسيحية قد خففت بطريقة ما الوحشية الألمانية في الحرب، ولكن لم تكن قادرة على تغيير المشاعر، وعندما يأتي ذلك اليوم الذي يصبح فيه الاعتدال، الصليب، فاقدًا لقوته وإدراكه، يهتاج غضبًا مما يكتبه شعراء الشمال و يغنونه، والكثير منهم سوف يكسرون القاعدة. ومن ثم، سيظهرُ حجر الآلهة القديمة مجددًا من وراء الدمار وستنفث من فوقها غبار الألف سنة. ومن ثم سيظهر ثور، وسيرفع

مطرقته، ويضرب كاتدرائية غوته ويحولها إلى فتات. . .

أحذرك من الكانتيين، الفيشتيين، وفلاسفة الطبيعة. لا تضحك. إنني أنتظر ثورة مشابهة تنالُ مكانًا في عالم الواقع المادي كما نالت مكانًا في العالم الروحي. إن **الإدراك هو أب الآداء**، فهو ما يسبق البرق والرعد. بالطبع، هذه عاصفة ألمانيا، سواء كانت هائجة أو بطيئة التحرك، سوف تأتي. وعندما تسمع صوت انفجارها، صوت لم يسمع من قبل في تاريخ العالم أجمع، حينها سوف تعرف أنّها أتت، أخيرًا. ومن ثم، سيصدح صوت صرخة من ارتفاعها. ستجعل النسور في السماء تتساقط، وستجعل الأسود تهرعُ إلى أبعد جزء من أفريقيا ليختبئ في جحورها الملكية، وأذيالها بين أرجلها. إن الشيء الذي سيحدث في ألمانيا سيجعل الثورة الفرنسية تبدو كالأنشودة الرعوية إذا تمت المقارنة بينهما.

مايو 1942

الجميع يبكي إبادة لوبيك وروستوك، ولا أعقدُ أنّ هناك شخص تعيس مثلي يرثي خسارة هذين التحفتين الفنيتين القوطيتين.

ولكن ما الذي يحدث هنا؟ قبل ثلاثين سنة، كانت روستوك لا تزال متجر بلدة آمن ومستقل في منطقة زراعية مزدهرة. ثم، جاءت فكرة استبدال كل من لوبيك وروستوك بمصانع حربية. يمكن لتلك الخطط أن تطبق في أماكن تشهدُ اهتمامًا أقل من قبل الناس في بلدة صغيرة أخرى لا تاريخ لها. ولكن أولئك المهندسون لم يريدوا أن يشعروا بالملل في البلدات الريفية، وأصحاب الخطة أرادوا أن يجلبوا النمو لمجتمعاتهم. والنتيجة هي نفس تعاسة ميونيخ، التي تشكر السيد كروب على حقيقة أنها كانت سعيدة مع أول مصنع أقيم عليها خلال الحرب العالمية الأولى، ومن ثم ستتبعه في النّهاية.

إن الناس الآن يبكون بشأن هذين الكاتدرائيتين اللتين لن نملكهما مرة أخرى، واللتين هدمتا ليحل مكانهما مصانع حربية التي هي سبب تعاستنا أساسًا. إنهم ينتحبون، ولكنهم لم يضربوا صدورهم. ماذا بشأن أدوات المنزل، مفكات البراغي والمناشير اليدوية التي تم وضعها في الخزائن والأواني الزجاجية التي لا مثيل لها، التي تستخدم فقط لإبهار الضيوف؟ بعد الحرب، هل يتمّ استدعاء أولئك المهندسين، وأعضاء مجلس صناعة الحرب، والعُمَد و رؤساء المجتمعات؟ هل تتمّ دعوتهم لمحاسبتهم على الطيش وإهدار الثروات التي كانت بأمانتهم؟

لا يبدو الأمر كذلك. لسنوات من الآن، والشركات الألمانية الشمالية المُدمّرة تأكل خيرات البلدة التي أعيش فيها، يخرج المزارعون، ويرزعون عدم الاستقرار،

الفقر، والسخط في المكان الذي يدوسونه. ومن ثم يقولون بكل وقاحة إنهم يجلبون التطور لهذا المكان، كما قال عمدة لوبيك وروستوك!

إن بناء مستودع ضخم تحت الأرض يحتوي على ذخائر وغازات سامّة، يعتبر مصادرة لأراضي المزارعين الذين لم يدفعوا الضرائب، كما يتمّ الآن دفن كمية هائلة من المواد الكيميائية الضارة تحت الأرض. كل هذا يهدد إقليم منطقة كاملة كانت في السابق الجزء الآمن من الدولة. أسمع كل ليلة عمليات نقل ضحمة للقنابل الغازية وأسلحة مشابهة على متن القطار فتفجير بسيط سيحول هذه المنطقة الجميلة إلى كتلة من النار والغاز.

الآتي شيء معروف لما قد حصل. العامل الذي يعمل في خزانات السموم، هو رجل من بروسيا كان قد ترك عمله المشرف كرجل مطافي وليشتغل هنا وتتم ترقيته إلى رتبة نقيب، وفي إحدى الليالي أطلق الرصاص بشكل عشوائي على جنود الحراسة الموجودين في المستودع، وعندما أمسكوا به أبرحوه ضربًا. وفي صباح اليوم التالي قرر أن يعطي العساكر الذين كانوا في الحراسة رشوة. كان الجنود جميعهم من بفارايا، وقد ضحكوا عليه ببساطة. تم الإبلاغ عنه، واختفى خلال المساء. ومنذ ذلك الوقت، باستثناء هذا الحادث، كان جيدًا في كل شيء، وقد يظهر مرة أخرى في مكان ما؛ هذه المرة، قد يكون حاكم ولاية صغيرة في بولندا، حيث سيصبح خبيرا بالحياة والموت، ويمكنه التصويب على الحية مباشرة.

تم توظيف الكثير من الموظفين للعمل على المواد الكيميائية الخطيرة، وأي خطأ بسيط يقومون به قد يكلفهم هذا دمارا وموتا مقاطعة كاملة للبشر والحيوانات والأشجار والعشب.

فيما يتعلق بعملية تفجير روستوك، كان ثمّة قريب لي يعمل طبيب نساء معروف، تم تدمير عيادته في أول يوم للتفجير، وفي الليلة التالية تم تدمير شقته

بكامل ما فيها. في البيجاما، قرر الرجل صاحب الستين سنة أن يفرّ من نافذة السرداب ويهرب. لقد كانت حياته هي كل ما يمكنه إنقاذه من السجن والأعمال الشاقة.

عرفت أن ايرنست نيك[52]، الذي حكم عليه النازيون بالسجن مدى الحياة قبل أربع سنوات بعد محاكمة مليئة بالضجة، تم قتله في السجن. إن نيسك معلم عادي في بارفاريا، كان أذكى رجل قد قابلته في حياتي. في شتاء 1919، خلال ثورة ميونيخ، كنت محبوسًا في فندق باريسشر هوف، مع خمسين رجلا آخر، كان جميعهم مثلي مناصرين لأمير بافارايا القديم ليوبولد. كان نيسك محنكا سياسيًا ورئيسا في مجلس الجنود، وقد فعل كل ما في وسعه ليحصل على ضمان لائق. كان نيسك متحيزًا لكل شيء له علاقة بالنظام كما كان مناقضا للرأسمالية والنتيجة هي أنه قد انتهى بنا المطاف حاصلين على عجلة الروليت، حتى وإن كنا قد قامرنا بآخر ما تبقى لنا من نقودنا.

في المرة الثانية التي رأيته فيها، في عام 1930، كان نيسك قد أصبح رئيس مجموعة صغيرة معروفة ومتحركة، كما هي فرقة تاننبرج في لودندورف. كانت الفرقة مشكلة من عدد من الضباط السابقين في الجيش، أتباع السلك الحر، وطلاب مدعومين من قبل صحيفة معروفة، وعضو في قسم روسفيل من هيئة الأركان العامة. وبالطبع أدّى هذا إلى نزاعات مميتة مع أتباع هتلر، الذين كانوا صامتين أمام الكراهيّة التي يحملونها تجاه الرّوسيين.

كنت ضيفًا مرتين في اجتماعات نيسك، كانت الاجتماعات تعقد في أبواب مغلقة في قلعة ليشنبرغ، أو تحت الخيام في غابة ثيرينغيا. كانت الاجتماعات تحتوي على برنامج تتكون من وجبات الجيش الإقتصادية، آداء الرياضة في الصباح،

(52) . تم إلقاء القبض على "ايرنست نيك" من قبل النازيين عام 1937. وفي عام 1939، تم الحكم عليه بالسجن مدى الحياة. وقد تم إطلاق سراحة في نهاية الحرب. وكانت الصحيفة التي ينشرها (حتى عام 1934) تدعى (المقاومة).

والدخول في مناقاشات وأحاديث ذكية للغاية في المساء، كانت تلك أجمل أوقات قد قضيتها مع رفقة فريدة من نوعها. بالإضافة إلى كونهم كالعملاء السريين من كافة المجالات: معلم بائس في مدرسة ثانوية صغيرة و طلاب جامعة كانوا كثيري الترحال عبر ألمانيا كلها، إلى أن انتهى بهم المطاف بالتخييم هنا، بقايا مشكوك فيها من جماعة الروسباخ[53] أصحاب سمعة سيئة من رجال الدين السابقين، ضباط متقاعدون، ضباط ألمان سريون وحثالة السياسيين. حتى القليل من رجال الجيش من جناح المعارضة الذي تم تدميره بعد سنتين من مشكلة رون.

كان نيسك نفسه، مستديرًا كالكرة، ذو نظرة حادة مثل أبقراط وعيناه قويتان متشائمتان على العالم، وبالطبع، كان يمثّل أي شيء إلا أن يكون خائنًا. ولكنه قد حكم عليه بالفشل منذ أن لفت النظر من قبل النازيين ومن قبل هتلر نفسه. ولكن كانَ هذا المصير محتومًا بسبب انعدام شخصية كبار الضباط. فمنذ عام 1918، ومذهب المنفعة، والانتهازية السياسية، وإتلاف حياة الناس يمثّلُ شيئًا تقليديًا لدى كبار الضباط. فقد أُخذ بعين الإعتبار أن حلفاء نيسك سيتخلون عنه في اللحظة التي سيكون بها هتلر رجل القدر الألماني ورجل الحكومة العسكرية الأولى.

إن تهمة الخيانة التي وجهت إلى نيسك هي دون شك بسبب كتاباته الثائرة على تعاسة النازيين ونزعة الشرّ فيهم، وبطريقة ما تم السماح لاستمرار النشر حتى عام 1935، فقد كان نيسك والسيد روسنبرخ، يستغلون كل فرصة للسخرية على مانيتو العظيم الذي يقارن نفسه الآن بسكيبيو، وحتى بكروميل.

إن السخرية التي توجه إلى الديكتاتور يمكن أن تؤدي إلى موت صاحبها الذي لا يستطيع إلا أن يعبر عنها. ولكنّني أفكر، هل يشعرُ بالأمان الدّاخلي حقًّا أولئك القضاة الذين أخذوا قبل أربع سنوات على أنفسهم مسؤولية اتّخاذ القرار بشأن الحكم عليه بالسجن مدى الحياة وقاموا بهذه الجريمة السياسية.

---

(53) . كان "جيرهارد روزباخ" قائدًا معروفًا في الجناح الأيمن للجيش والذي بات يدعى السلك الحر بعد نهاية الحرب العالمية الأولى.

جون 1942

عندما ذهبت إلى شتوتغارت لأرى الناشر، التقيت بسيدة كبيرة في السن كانت قد نجت من غرق سفينة التايتانك قبل ثلاثين سنة، تلكَ الكارثة التي يكتنفها الغموض إلى اليوم. أخبرتني هذه السيدة عن أمر لا يصدق حين كانت السفينة تغرق، وكان الماء قد أغرق سطح المركب، وأُنزلت مراكب الإنقاذ إلى الماء. في هذه اللحظة تمامًا، كان نادل السفينة في طريقه إلى سطح السفينة حاملًا بيديه صواني مليئة بالشطائر، وقال لي: «هل لي أن أقدم لك شطيرة؟». لطيف لا يمل، باق في مهمته حتى النهاية. هنا، في مكان لا يستطيع أحد النظر إليه، نجد روح ذلك الرجل الإنجليزي جوزيف كونراد في ذلك الحدث المهم.

كنت مؤخرًا مع صديقي الذي يحتضر «كليمنس فرانكنشتاين»، فمرض السرطان أصبح في مراحل متقدمة الآن. ذهبت معه في استشارة لدى طبيبي، الذي ظن كليمنس أنه قد يفيده في حالته: ذلك الرجل المشرف، الذي كان سعيدًا قبل فترة قصيرة فقط بقوته الجسدية ولياقته، واليوم لا يستطيع أن يدخل إلى سيارته من دون مساعدتي: جلس في غرفة انتظار مكتظة بالبرجوازيين أصحاب الأوزان الثقيلة وممثلات هيستيريات تحت أشعة الشمس الحارقة التي تطل من النوافذ لهذا اليوم الحار.

من الطبيعي أن هذه الإستشارة ذات قيمة وأهمية، ومن الطبيعي، أنه يعرف بأن حالته ميؤوس منها: ومن الطبيعي أيضًا أن ما يقوم به ما هو إلا كوميديا يلعبها، ليتطلع إلى رقة زوجتها وأملها، وليقلل قليلًا من حزنها.

جلسنا هناك، نلعب نهاية اللعبة المأساوية، ومن ثم تناولنا طعام الإفطار مع والترسبيل، الذي لم يستطع التعرف على كلي، فقد تغير كثيرًا. نحن نعرف أننا قد أتينا إلى نهاية طريق صداقتنا التي استمرت لثلاثين سنة، ونعرف أننا جالسان مقابلين بعضنا البعض للمرة الأخيرة.

لن أستمتع بتحليلاتك مرة أخرى، ولن أذهل بالتناقض؛ ينتابني في النظرة الأولى اتزان هادئ ومن ثم أشعر أن قلبي على أتم الاستعداد للمساعدة.

ذهبنا لرؤية إبن عم «كلي»، إيروين سكونبورن، الذي كان مريضًا في عيادة نيوويتل باش. كانت ورقة الطبيب التي بحوزته تظهر أنه لم يكن فعلًا مريضًا. ولكن وجدت أنه قد تغير بشكل مرعب فقد كان جسده نحيفًا كالهيكل العظمي، وخيم عليه الموت مثلما حوّم على كلي.

بالنسبة إلى «كلي»، كان في ما مضى جزءًا من محادثة ساخرة بشكل عام، تميل إلى التهكم، كانت المحادثة بلهجة لم أسمعها من قبل. كانت اللهجة تميل إلى الفظاظة من قبل رجلين، بمحادثة أخوية حزينة وحساسة تفتح القلب بشكل خاص لأولئك المترابطين بالدم والذين ستفرقهم الحياة.

سأخسر كلًّا منهم. لقد كانوا رفقائي وأصدقائي، فقد كانا يمثلان نموذج الرجل الذي قارب على الإنقراض في ألمانيا. يصعب أن ترى رجالًا؛ بقلوب كبيرة، أصدقاء بأرواح عظيمة: زملائي العاملين، لقد تأمّلت بشيء جديد من الصفر، خلال مهمتكم في بناء ألمانيا جديدة.

في الخارج، حياة الصيف الخالية من الرحمة، والصوت الحاد للمدينة التي أحببناها جدًا، والتي أصبحت غريبة عنا. في الداخل، الرجال الذين يحتضرون، والصوت الهادئ للمعاناة وفقدان الأمل؛ ذكريات الماضي الحزينة والثقيلة على

القلب، مغامرات التزلج القديمة، نقاشاتنا القديمة، الإحتفالات القديمة، وكل خبراتنا المشتركة.

ذهبنا إلى المزل، وحيدين تماما، ضعيفين من الداخل بشكل لا يوصف. كأن كل الأنوار قد اختفت عن العالم وكأن أرواحنا قد انحسرت بضيق و بات شيء ما يسحبنا عميقا إلى الأسفل حتى غمرتنا الرمال وقد تعتقد أنك لن تتخلص من هذا الإنحسار والضيق، لن تتخلص منه طوال حياتك. فقد باتت الشمس أمام أعيننا أصغر حجمًا، والنجوم باتت تختفي واحدة تلو الأخرى.

هنالك مجموعة من المتدينين ممن يفهمون الغموض في تدبير الله لشؤون خلقه: ففي قصة نهاية الحبل للكاتب جوزيف كونراد، التي تحكي عن عذاب الحوت، ملك البحار الأعمى. إن جوزيف كونراد الذي كانت أعماله موجودة في قائمة السيد غوبلز، والتي يجب أن أضيفها إلي أيضًا...

ولكن، قد أضعت نفسي في هذا الصيف الحار. لقد أحيطت العوالم المتباعدة بالجليد. ومازال عرش الرحمن بعيدًا جدًا، ومعه كتاب الحكمة العظيم، وقريبًا، سيقرأ أصدقائي من صفحاته. إن الوحدة تقتل حياتي رفقة الحذر المتنامي الذي يجب أن يبقى كما هو. إن الوحدة تتخلل حياة الناس الذين تغلب عليهم الشيطان، والحذر الذي يأتي مع المعاناة يمكنه أن يغير المستقبل.

الوحدة، والفرصة الأخيرة التي تعطينا إياها الحياة؛ الفرصة لنثبت الحقيقة عن طريق موت أحدهم.

ولكن أنت، الذي مازلت تعيش في عالم الأمس، العالم المريح، العالم الذي مازالت فيه الأصوات مسموعة: هل لديك أدنى فكرة عن هذا الظلام الذي نعيشه؟ هل تعلم أن الطريق إلى القوة المطلقة يكون من خلال الدخول إلى وادٍ

عميق من المعاناة. وهل تعلم أن من خلال شغفنا ومعاناتنا يمكننا أن ننثر بذور المستقبل.

30 أكتوبر 1942

شهدت أول قصف لميونيخ من غرفة الفندق في أوتنغ، حيث أتيت لأفحص المواد الموجودة في تيلي هنا. وهج أحمر بشع، بدل الليلة الخريفية وقمرها المكتمل. سمعت صوت انفجارات متتالية بعيدة، فبعد الحساب نجد إن كانت القنابل على بعد ثماني كيلومترات، فإن الصوت سيستغرق ثلاث دقائق حتى يصل إلينا ثلاث دقائق كان فيها الضحايا يلهثون ويلفظون أنفاسهم الأخيرة ويموتون. أخيرًا، أصبحت سماء الشرق مكسوة بغطاء ضخم من النيران المشتعلة.

في الأيام التالية، بات الناس يتحدثون عن الخسائر الفادحة، وضحايا آخرين بسبب الاختناق. كان الناس عالقين لخمسة أيام أخرى، عالقين بين الشظايا الساقطة والركام، إذ لم يكونوا قادرين على الحراك. وهنالك الموتى، الذين لا تزال علامات العذاب واضحة على أوجههم.

في حين أن عديد النازيين أصحاب المراتب العالية يمتلكون منازل خاصة مجهزة بتجهيزات فاخرة في سولن، والذي بالتأكيد يعرف عنه الإنجليز، فإن تلك المنطقة عديمة الحظ قد تم قصفها ثلاث مرات بشكل ناجح جدًا. إن فارن برينجرنغ، الذي يعيش هناك، فقد مخطوطاته، مجموعته الفنية، وكل ممتلكاته مع بيته الذي تم تدميره. رأيناه في اليوم التالي في المنطقة وهو مصدوم ومحطم،

واقف أمام كوم الأنقاض التي كانت منزله، يعرض على المارة الأشياء البسيطة التي نجت من الكارثة؛ كتاب لاتيني، قطعة برونزية صغيرة، وقطعتان من التحف الفنية الصينية. وفي الجانب لوحة إعلانية مكتوب عليها هذا عرض بيع خاص لما تبقى من ممتلكات كاتب ألماني. حاولت الشرطة إيقافه، ولكنه دافع عن نفسه بشراسة، وكانت الحشود ملتفّة حول المكان، كان الوضع مثيرًا للشفقة لذا توجب على الشرطة أن تتراجع.

حدث أن كان هتلر في ميونيخ في ليلة الصواريخ الجوية، وقبل أن يقرع جرس الإنذار بشأن القنابل، كان قد تم أخذه إلى مأوى خاص وآمن يحتوي على سجادات على الأرض، حمامات، وورود، وحتى غرفة عرض سينمائية. في حين أن آلاف الناس قد دفنوا تحت الأنقاض وكانوا يعانون بشدة لأجل أن يتنفسوا فقط، وهو قد يكون يشاهد فيلمًا...

وبطبيعة الحال، أعلن بعد انتهاء التفجير بأن كل شيء سيعاد بناؤه، بشكل أفضل من ذي قبل. من المحتمل أنه بعدما قامت تلك المجموعة من الشباب الكنديين بتحويل كنيسة السيدة العذراء إلى كوم من ركام، فإن السيد سبير سيساعدنا على أن نصلح ونستعيد ما تمت خسارته في هذه الكاتدرائية وغيرها. مع أنّني أجزم أنه كان يشعرُ بسعادةٍ في داخلهِ لخسارتنا للتراث القوطي، حيث أنه طالما كان يريد أن يصبح واحدًا من المهندسين الخالدين. ألم يهدد أساسًا بهدم ثيتينكيرك، أروقة هوفغارتن، وقصر ليتشنبرغ ليصنع مكانًا لأوبرا هائلة؟ هنا في شيم، علينا أن نؤمن قادة للمدارس، من ذلك النوع من المستشارين الذين يعشقون المزارع، القادرين على الجري مسافة كيلومتر ونصف على طول الضفة الغربية لهذه البحيرة الهادئة. سوف تتحول ضفة البحيرة بأكملها إلى ركام من الصخور، يطل عليها برج يبلغ طوله 130 متر. تجعلُ هذه المهمة الشخص

يوقن بأن هذه الهندسة الشخصية هي تنفيذ للأوامر بهدوء.

إن ذلك المتعصب المعروف بالشيطان، يكره كل شيء ينمو بصحة وسلام، وتنعكسُ تلك الكراهية في نفسه. إضافة إلى كراهيته للأمور غير المشروعة، فهو يكره كل شيء مرتبط بالأشياء الثمينة في تراثنا التي لا تشبع غروره. عندما ننظر إلى ذلك السفاح الخطير، هل أبالغ عندما أقول بأننا مسجونون لدى ذلك الإنسان البدائي الذي خرج من الكهف؟

وها نحن مازلنا نعيش في هذه الحياة المليئة بالعار، الخالية من الكرامة، والمليئة بالكذب. ومعارضتنا، أو معارضة الطبقة البرجوازية على الأقل، لاتزال تكرّر كثيرا النكات القديمة عن النظام، في حين أن أيامهم المعدودة كان يبتلعها الإعلام.

بعد سلسلة من المقالات التي تم نشرها في الصحف عن طريق غوبلز، هرعت إليّ امرأة مستأجرة بخوف شديد. فبإسم المسيح، كيف لها أن تصنع لتحمي أطفالها؟ كان ليتم طردهم جميعهم لتعيش هي وأطفالها في مصحة إنجليزية أمريكية، أو روسية، وفقًا لما نشرته الصحيفة! كانت نوتا بين، امرأة قد قضت عدة سنوات في أمريكا، تعمل في غسيل الملابس. كانت لا تتحدث الإنجليزية إلا قليلًا، وتحمل في جوفها ذكريات دافئة عن بوسطن وفوق ذلك أصبحت تصدق القصص التي تحكي عن الغرباء الأشرار. يبدو حقًا أن أولئك الناس لديهم مشكلة عقلية. فإنهم الآن يصدقون كل ما يحكى لهم، ويدافعون عنه بكل ثقة في النفس.

تحكي آخر قصة طبخها غوبلز أن ذلك الرجل الذي يدعى الرئيس قد ذهب لزيارة إحدى القرى من دون إعلان مسبق بمجيئه. إلا أن كل أهالي البلدة كانوا مصطفين في انتظاره، بسبب أنهم أحسوا بوهج مبتعث منه وعلموا

بمجيئه قبل وصوله! لو تجرأ الإمبراطور الألماني فايمر على خلق قصة كهذه، فإن صوت الضحكات المرتفعة كفيلة بأن تطيره من منصبه، و تلاحقه طيلة حياته. ولكن هكذا تكون القصص واسعة الإنتشار من خلال الشبكات، والتصديق، والاستيعاب، من دون وجود أي روح قادرة حتى على الابتسام.

بتنا حرفيًا نصدق كل شيء اليوم، سواء كان مطبوعًا، أو مذاعًا، أو معلنًا بشكل رسمي. فإذا أعلن السيد غورنع بشكل مفاجئ، بنبرة الصوت المطلوبة، أن واحدًا من كلاب الصيد هو ملك بافاريا، فأنا أجزم بأن نفس أولئك الناس الذين كانوا بالأمس فقط فخورين جدًا باختلافاتهم وجهًا لوجه مع كوم النمل الشمال ألمانية، والذين يحرسون مميزاتهم بغيرة شديدة، سيطلقون هتافات الفرح ويركعون حالًا للملك الجديد.

هنالك أشياء غريبة عالقة في الهواء، فكل الأسس المادية لحياتنا أصبحت تبدو كأنها محطمة تحت تلك الأكاذيب الثقيلة اللامتناهية. فخلال السنوات الثمان الماضية، أي منذ بداية نظام هتلر، أصبح فصل الصيف شيئا نعرفه بالتقويم فقط، فقد أغرقونا بالأمطار مثل الفيضانات المعتادة. سنة بعد سنة، ماتت المزروعات. حتى أن المختصين في الزراعة يقولون إنّ هنالك نباتات تزهر بشكل طبيعي في فصل الخريف، أصبحت الآن تزهر في الربيع، في حين أن هنالك نباتات تزهر في الربيع أصبحت تزهر في الخريف. وقد سمعت عن خبراء في عالم الحيوان في الجبهة الشرقية، شمال القوقاز، أن هناك أنواع من الثعابين لا توجد إلا في الهند، تراها الآن بالقرب من فولغا، في بداية أوروبا. إلا أن كل شيء منفصل، وكل شيء منقلب. ولكن ما هو الطاعون ذو الأعراض المرضية الذي أصاب ألمانيا؟

لقد توفي «كلي» في أوغسطس، بمرارة وألم، و قد دعا في سكرات موته أخاه

المحبب والأقربَ إليه في إنجلترا. وقبل ثمانية أسابيع من موته، وخلال وجود غيمة سوداء كبيرة عاصفة فوق المنزل الصغير المودود في بيليسني، شغّلَ لي واحدة من أغاني الأوبيرا المفضلة لدي، لي تاي بي، الأغنية الحزينة لكورمورانت. جلست بجواره، وقلبي يعتصر ألمًا على أصابعه التي أصبحت نحيفة كأعواد الثقاب. ثم في منتصف الأغنية،حلّت بيننا شرارة زرقاء كمس كهربائي. انطفأ الضوء، تناثرت قطع الصمام الكهربائي. كان الوضع كأنّ الطبيعة قد فرقتنا من تلك اللحظة.

والآن، أترقب كل يوم أن أسمع خبر وفاة إبن عمه، إيروين سكونبورن، الذي عانى المرض في ميونيخ.

ناقشت أمس مع اتش بشأن تغير طبيعة الإنسان الوحشية، استنادًا إلى معلومات معينة بشأن الرعب الذي يحدث في الجبهة الشرقية الآن، وقد تذكرت شيئًا ما قد حدث لي قبل أربعين سنة، والذي لا يزال يحضرني حتى اليوم بكلّ تفاصيله المرعبة. كنت حينها طالبًا في الكلية الحربية، في رحلة قصية إلى كونغسبرغ، وقد دعاني صديق لأحضر معه دورة عن علم التشريح.

كان معظم الطلاب في إجازات، ولم تستخدم إلا طاولة تشريح واحدة. وكان المشرف رجلًا عجوزًا ذو لحية رمادية منكوشة، كان يشغل نفسه عندما دخلت بانتشال رأس الجثة التي وصلت للتو. كان الرأس مهشمًا بشكل كامل بطلقات رصاص.

ركضت فارًا، ولكن ذلك العجوز لحق بي وكأنه مصاص دماء، ملوحًا بسكينه الكبير، وفي الرواق هناك، تذكرت قصة الجثة. تتمثل الحكاية في مثلي يشاغب كصيدلاني أطلق النار على عشيقه الذي ابتزه ثم أطلق النار على نفسه. وكما أن لا أحدًا قد طالب بالجثة، فإن الذي على طاولة التشريح هو الرجل

الذي قتله الصيدلاني.

وبعد سنتين جلبتني سخرية القدر للاحتكاك بنفس الجثث مرة أخرى. ولكن الآن، كطالب طب، دخلت إلى نفس القاعة في محاضرتي الأولى، ووجدت أمامي جثة الصيدلاني الشاحبة. تعرفت عليه منذ اللحظة الأولى كالشيء المتبقي من الرجل الذي جلبته ميوله الغامضة إلى هذه النهاية التعيسة. وإن كانت هنالك أية شكوك، فإن المشرف سيزيلها.

لن أنسى أبدًا الشعور الذي انتابني عندما لمست الجثة الشاحبة للمرة الأولى، ولا أول شق فعلته لهذا اللحم. نظرت حولي. كان معي ثلاثة طلاب آخرين، إلى جانب الجثث. كانوا يواجهون نفس مشكلتي، وكانت وجوههم الصادقة الشابة تعكس نفس المحاولة والإصرار لمحاربة هذا الخوف والقرف. كانت الغرفة ممتلئة بصبية على نفس وضعيتنا وهم يقفون أمام الطاولات المغطاة الفضيعة، طلاب سابقون لأفلاطون والآيات الإلياذية، هجروا تخصصاتهم الإنسانية ووجدوا أنفسهم الآن في مواجهة ضرورة السقوط في هذا الهواء الملوث بالتحللات الذي تقع فيه غرفة التشريح...

ناقشنا الحالة بشكل ناجح، والإثبات الذي أردناه كان منعكسًا على ألفاظ المشرف الساخرة ومساعديه، وكانت التعابير الساخرة لا تزال بادية على أوجه المتخرجين. أتذكر حتى الآن واحدًا من التلاميذ المبتدئين عندما رمى سكينه وهرب ولم يعد بعدها. تجهز كل البقية و بدؤوا بالعمل، بدؤوا في دفع ثمن الإنسلاخ من أنفسهم، والأسئلة التي تراودهم بشأن أنفسهم عن سبب هذا الانسلاخ. تلك الذكريات التي تحضرني الآن، أدعوها بالذكريات المخزية. أنا لا أشك على الإطلاق في أن أولئك الذين أتموا مهمتهم كانوا أبناء للطبقة المتوسطة من أصحاب المناصب غير المتنازع عليها؛ مازلتُ أتذكر بعضًا منهم،

وأعلم أنهم في أوقات راحتهم يقرؤون لبودلير ويجدون المتعة والاسترخاء بالسلسلة الرباعية. وأعلم أيضًا شعورهم بالرعب عندما شاهدوا المناظر المرعبة التي تملأ العالم اليوم.

ولكن مالذي يمكننا فعله غير أن نغرق شعورنا بالقرف بالسخرية؟ فمباشرة، بعد أول شق أحدثناه في الجثة، امتلأت أجواء الغرفة بالنكات الفاحشة، وأصوات صفير بألحان معروفة، وضحكات يحاولون إظهارها كضحكات عادية، ولكن خلف كل شيء كان يقبع صوت مرتعب وقلق. استمر هذا الصوت أسابيع، وحتى اليوم، بعد حوالي نصف قرن، تمتلئ تلك الذكرى بالخزي. فتلك النكات التي كنا نلقيها كلما بدأنا بعملنا أصبحت تزداد يومًا بعد يوم، والمزيد من الكوميديا السوداء كانت تظهر منا بالقوة كلما واجهنا الجثث والمواقف البائسة التي ستكون لو كانت لديهم روح. كانت تلك مجرد مرحلة في حياتي عندما كانت الحياة هنا على الأرض تبدو مثل لعبة وضيعة تتحكم فيها. كانت الكوميديا السوداء تحت عنوان بين البراز والبول، والنهاية الكئيبة، بأسلوب تراجيديا ويزيك.

بالطبع، جاءت أوقات تعلمت فيها الكثير، واكتشفت أن كل هذا ماهو إلا وسيلة دفاعية تجاه مخاوفنا. ولكن ما هو الدفاع المتاح الآن، تجاه الأشياء التي ننتشلها من القبر، تجاه قطار الأشباح الذي يعبر الجنان المظلمة في هذه الأيام الخريفية.

جاءت كلمة مقبرة الأب لاشيس من باريس حيث تم نبش القبر للعثور على عظام هين، ولأنهم لم يجدوا شيئًا، ولأن شيئا ما قد حدث هناك، فقد تم حفر القبر وذرّهِ مع الرياح. وقد أخبرني شاهد عيان في ذلك الوقت عن جرائم السيد كار، الذي لقي حتفه على يد القوات الخاصة النازية في الساحة الخارجية

لفندق مارينباد، في ميونيخ.

وبالنسبة إلى إتش، الذي تفلسفت معه اليوم عن انعدام الانسانية في الناس؟ فقد كان عائدًا للتو من الجبهة الشرقية، وقد حضر مجزرة كي، حيث ذبح 30.000 يهودي.

جرى هذا خلال يوم واحد، ربما في مدة ساعة واحدة، وعندما انتهت ذخائر الرشاشات المدفعية، جاء وقت قاذفات اللهب. وأسرع المتفرجون من كافة أنحاء المدينة، الجنود الذين كانوا خارج الخدمة، والزملاء الشباب أصحاب البشرة الحليبية أطفال ورجال من الذين كانوا قبل عشرين سنة ماضية مضطجعين على الأسرّة يلعبون ويحدّقون في الألوان اللامعة المعلقة فوقهم! أوه، يا لهذا العار، والحياة المخزية، إن هنالك قشرة رقيقة تفصلنا عن خسارة المزيد من الأرواح التي يحرقها الشيطان!

أنت تحاسبنا وترانا نريد، ونحن هنا، نعاني بوحدة وألم، أنت تشير إلينا على مقاومتنا، ونحن نعلم أن مقاومتنا قد ماتت، ودم أولئك الشهداء قد سفكت من دون أدنى سبب، وتلك الأفعال لموافقة شارلوت كوردي قد تمت، ولم نسمع بها بعد إذ إن الشيطان قد تحرر، وعلى الله وحده أن يسجنه مجددًا. «كما أن الله قد أعطاه قوة عظيمة». ولا يسعنا إلا أن نتخيل ما الذي سيحدث الآن، أو لماذا اختار الرئيس هذه الأرض مسرحًا له، وما هي الأكاذيب المخبأة لنا، خلف الستار؟

ولكن لا تزال الليالي سوداء فوق رؤوسنا، ونحن نعاني، نعاني كما لا ينبغي لك أن تشعر أبدًا، ولو في قبرك.

ولكن احترس، من الرجل الذي سيضيء لنا العتمة!

فبراير 1943

وصلت أخبار الأنجلو الأمريكية إلى أفريقيا وانتشرت بسرعة أذهلتني. فرغم حظر الإستماع إلى إذاعة التحالف، إلا أن الأخبار قد انتشرت. وقد كنت مذهولًا أكثر عند رؤيتي ردّة الفعل على الأخبار الجديدة، في ذلك اليوم الرمادي من شهر نوفمبر. فلقد بدا الجميع سعيدًا بهذا التغيير الحاسم في مسار الحرب، الذي يعني خسارة بلدهم في حدّ ذاتها، وقد أضافت بافاريا إعادة النظر في التفكير بشأن القتال الذي يجب أن يصل إلى جبال الألب.

والآن أصبح جميع أهالي البلدة، أهالي المنطقة كلها بالأصح. يحتفلون وكل شخص شرب زجاجة من الشامبانيا. وبشكل مفاجئ، أصبح الناس يمشون باستقامة أكثر، وأوجههم مشعة، فقد مروا بشتاء قاس والآن هبت أولى النسمات الدافئة على الجليد. شعر الجميع باليد الخفية التي علقت مذكرة على الجدار تنذر بقرب دنوّ أجل النازيين، وقد كان لهذا الشأن تأثير سيء كما هو جيد. وبشكل مباشر أصبح معلمو المدارس المحلية يستخدمون للتحية «تحية الله» بدلًا من «يحيا هتلر»، لأنه كان حريصًا على استعمال كلمة النازية. دعا رئيس المنظمة النازية إلى إجتماع لرفع دعوى على الناس الذين يهددون بإحراق منزله، فرغمَ كلّ شيء، كان عمله مجرود تنفيذ لأوامر الحزب.

كان هذا تأثير الأخبار على قريتنا. كان هتلر يتبجح كعادته بالكلام كان يرتعد خوفًا ولكنّهُ خلف طلاقة لسانه. فقد مضت تلك الأيام التي كان يدعونه الناس بالمنقذ ولم يكونوا يشعرون بالخزي في الماضي. كما حدث في الفعل في

الكنيسة البروستانتية البروسية، عندما وضع صورة، المشابهة تمامًا لدوريان غراي، بالقرب من المذبح إلى جانب كتابه الميكافيلي. إن تلك الهالة النورانية للرب قد ذهبت. فبدأ الحقير بالمضي قدمًا بمشروع القانون المخادع الذي تم فرضه.

هنالك نوع من الرضا المقرف الظاهر على أوجه الناس هذه الأيام، فقد اختفى منظر الفضيلة والورع بين عشية وضحاها. كما أن شعار النازية قد اختفى من طيّة الستر، وأصبحت المكاتب الحكومية الآن مكانًا شائعًا لتدريب الذين عوقبوا منذ سنوات بسبب العداوة تجاه الحزب لوضعهم في السجلات الرسمية. بالقرب من هنا، طلب مجلس التحكيم مزارعًا تمت مصادرة جزء من مزرعته في سبيل الحرب - من دون تعويضات بالتأكيد- ليشهد عليها. ظهر الرجل والغضب يعتريه، ودعا المحكمين بأنهم مجموعة من الأوغاد، وأن النظام بأكمله ما هو إلا لفيفٌ من السارقين. ثم ذهب، مغلقًا الباب خلفه بقوة. ارتبك أعضاء السلطة من هذه اللهجة الحادة، الآتية بعد سنوات من الصمت، ولازال ذلك الرجل طليقا من دون أن يسجن.

أصبحت الأمور خلال هذه الفترة تتحسن يومًا تلو آخر. كان هنالك نقصٌ في مخدر الكلوروفورم والمورفين في مستشفى الجيش. وكان الأطباء يحتجون على حقيقة أن قطار المستشفى الذي يستلقي فيه الجرحى على قش متحجر في عربات متجمدة من البرودة. في برلين، كانت الفئة المصابة بمرض السكري تنهارُ بسبب نقص جرعات الأنسولين.

كنت أقرأ ذكريات ولي عهد ألماني خلال 1870، ومرة أخرى وجدت ظروفًا مشابهة لما نحن عليه الآن.

هنالك محادثات معتادة، موسومة بأكثر اللغات ازدراءً، والتي تحدد رمز

الألمان، كما أن هذا الرمز كان علامة تجارية لمنتج يمنع تساقط الشعر. هنالك أيضًا تصريح لبسمارك فيما يخص الألوان الجديدة لعلم ألمانيا، فقد كان هذا أكثر ما يشغل باله، فقد اقترح اللون الأخضر والذهبي، كساحة الرقص، معا لنرقص اليوم التي كتبت عنها سابقًا.

هل هذا فعلًا ما ستفعله ألمانيا؟ هل الولادة الجديدة للشعب تحدث بهذه الطريقة؟ إن هذه طريقة تأسيس شركة لخبراء القهوة، هذه مناقشة بين شركاء بشأن قوانين تأسيس شركة مساهمة. هذه طريقة وضع وحدة اقتصادية مثمرة لمحاولة كسب اسم الألمان!

وفي كل الصحف، تجد المقالات التي تتحدث عن ولي العهد مكتوبة بغطرسة الكاتب الملكي، من دون التطرق إلى أيّ توقعات مستقبلية دلالة منذرة لما سيأتي مع هذا الإبن، ويليام الثاني.وبين السطور، لا تجد أثرًا للصلابة والقوة في الحياة الألمانية، بل تجد تنامي الجشع والسرقات الكبيرة، بل تجد إنكارا ساخرا للتراث المعنوي العظيم. لا يوجد هنا أي تطرق إلى أمر البذور الغامضة الموجودة في جوف كل ولاية صحية، المخفية في قاع تجويف عميق إذ كرست كل أمة متطوّرة صحيًا الأشياء الموجودة في دائرة «ليس من هذا العالم».

كلا لقد ضاعفت ألمانيا من قوة نادي المبارزة والجمباز الذي تم إنشاؤه عن طريق أب الجمباز، لوديك جون وهي لمسة من هيجل ونصيب من صحة فريدريك ليست لن تجد كل هذا في حساء غني بالجشع، جشع جيل كامل، ليصبحوا أغنياء في أسرع وقت ممكن. أليست هذه هي الغريزة التي جعلت لودفيج بافارايا يرفض لقب القيصر، وكان جيل أجداد أجدادي من الرجال، قد تجاهلوا وأعرضوا عن هذا القرار الجديد ولا شيء سوى النظام الرجعي؟ إن ذلك النظام الألماني البروسي قد تحول من القوة المتمكنة والاستعمار المهيمن

الذي تحكم في الدولة الأم، والشيء الذي أدى إلى نهاية تعيسة هو هذا السبب فقط.

لقد عانت ألمانيا هذه من المشاكل منذ اليوم الأول لظهورها، الخسارة التجارية لعام 1873، إسقاط حق الكنيسة في الاستحواذ على التعليم. محاولة اغتيال ويليام الثاني، محاولة قمع الاشتراكيين بقوة القانون؛ موت كلّ من ويليام الأول وفريدريك الثالث، بمحاولات اغتيال ناجحة. وبعد ثمانية عشر عامًا. ومع اقتراب وفاة هذا الكاتب عديم الحظ ذي الحياة المأسوف عليها، جرت سلسلة من الأمور المشابهة لهاملت؛ قيصر ألماني شارف على الموت في الشوارع، بسبب انسداد مجرى التنفس لديه، وقد تم انقاذه عن طريق رجل يقود سيارة دروشكي، لقد بدأ القيصر الجديد عهده بسجن والدته؛ وأخيرًا، جنازة ويليام الأول، حيث كان العسكري الذي يحمل العلم أمام نعش القيصر سكران بشكل كامل، وكان يحتاج إلى المساعدة في أثناء سيره، وكان بسمارك يرتدي باروكة شقراء ليحمي رأسه الأصلع من أن تجتاحه نوبة برد، في ذلك اليوم المتجمد من شهر جوان. هذا ما يجري عندما تتم إهانة الكبار الدولة والانتقام منهم.

فكما قال هاملت: «ليس جيدا ولا يمكن أن يكون جيدًا».

وفي برلين، قمت بزيارة رجل عجوز يعيش هناك، كان ذلك الرجل في شبابه يعمل كخادم في محكمة لودفيغ الثاني قبل أن تحل الكارثة على الملك. بشكل غريب، ومثل البقية من الذين أعرفهم ممن كان لهم تواصل مباشر مع الملك، فإن ذلك الرجل لا يستطيع أن يعدل عن فكرة أن لودفيج الثاني لم يكن مضطربًا عقليًا على الإطلاق، بل كان ضحية بريئة لمؤامرة تم حبكها في برلين. كما ادّعي بأنه كان شاهدًا أثناء نقاش حامٍ بين إثنان من الأطباء في سكلوس

برغ، حيث كان كلًا منهما يتهم الآخر في في تزوير تشخيص نفسي للملك. أنا لا أريد أن أخوض في هذا الأمر، ولكن منذ سنوات وأنا أفكّرُ في العداء الذي لا يمكن تفسيره لدى الطبيب النفسي غودن في توليه لهذه الحالة في ذلك الوقت. إن غودن نفسه كان قد سمح لطلابه قبل عدة أشهر من وقوع الكارثة بأن يعطوا تعليقات مشينة عن حالة الملك الميؤوس منها، والذي تم حبسه بعد لودفيغ الثاني، إلا أنه لا يمكنه إخفاء شعوره بالرضا على تلك النتائج الذي حققها؛ فالشعور بالقوة التي كانت تتملكه لكونه طبيبًا نفسيًا قد تسبب في إقصاء ملك.

بالإضافة إلى أن الجينات الوراثية التي تسببت في تطور الاضطراب العقلي لدى الملك لوديج و الملك أوتو لم تكن بسبب التزاوج الداخلي بين العائلتين هازبيرغز وويتلسباخ، كما يزعم أهالي ألمانيا الشمالية بأنها نتيجة زواج الأقارب. في الوقت الحالي، نجد أن التخلف العقلي قد كان بسبب مرض قد أُصيب به الجد الأول لكل من الملكين، وهو الملك ويليام كبير بروسيا، فقد أُصيب بالمرض في حروب التحرير، ومن ثم نقل المرض إلى أحفاده عن طريق إبنتيه، الملكة ماري، على شكل خلية جرثومية مشوهة.

على أيّ حال، لم يكن هذا المرض بكل تأكيد من نتاج بافاريا، بل كان آتيًا من برلين. إضافة إلى ذلك، سواء كان هذا المرض عقليا أم لا، فإنه لا يوجد ملك في التاريخ الملكي لأوروبا قد عاش خلف قبره كما فعل لودفيج الثاني. كما في عام 1918، في منتصف الثورة، قال الناس بأنه قد عاد للحياة، لذلك، تقول الأسطورة اليوم بأنه يمكن رؤيته في ليالي الشتاء وليس فقط أنّهُ يمكن للفلّاحين رؤيته وهو يمشي بسرعة تحت ثلوج ويترستنبيرغ بخطوات سريعة كالشبح.

ومن خلال هذا أنا من رأيت الموت يقتحم دائرة أصدقائي بشكل كبير

خلال السنوات الأخيرة، فإنه لدي تجربة تتعلق بمكان سكني. إن منزلي يقع في منطقة معزولة يبلغ عمرها أكثر من ستمائة سنة، وقد قيل منذ وقت طويل إن هذه المنطقة تسكنها الأشباح، ويوجد أيضًا شبح لحيوان المنك، الذي يطير عبر النهر ويطهر على نوافذ صالة الطعام.

بالطبع لم يسبق لي أن شاهدته. ولكنني لاحظت وجود بعض الأصوات الغريبة في منزلي، وكأنهم يجرون شيئًا ثقيلًا. وقد تشتعل الأنوار في منتصف الليل، ومن دون أي سبب بالعالم، أجد فجأة أن باب غرفتي قد فُتح. وكنت أعلق كل هذه الأمور بسبب مواء القطط الليلة، فقدان الطاقة الكهربائية، لقفل باب الغرفة المهترئ، ولم أكن أبدًا قلقًا بشأن هذه الظاهرة.

ولكن مؤخرًا تملك الغضب عائلتي بسبب شيء جديد بعيد كل البعد على الأمور الطبيعية. فمنذ آخر فصل خريف، ومنذ أن أثر الموت على حياتي بعمق، كنا قد لاحظنا، بشكل منفصل، أن الغرفة العلّية التي طالما كانت نقطة البداية لهؤلئك الأشباح، ظهرت منها رائحة عفونة كريهة. كما أن هذه الرائحة لم تكن تقتصر على هذه الغرفة فقط، بل كانت تنتشر إلى كافة أرجاء المنزل تقريبًا، تظهر في الأعلى، ومن ثم تظهر بشكل مفاجئ في الطابق الأرضي، ومن ثم في الطابق الثاني. إن هذه المشكلة لا يمكن أن تكون مشكلة تنبؤات، فقد أتانا ضيوف من ميونيخ، لم يكن لديهم أدنى فكرة عن هذا الموضوع، وبعد دقيقة من دخولهم إلى غرفهم ظهروا مجددًا ليخبرونا بأن هنالك رائحة نتنة لشيء متعفن في غرف نومهم.

ارتميتُ بشكل طبيعي على مرتبة السرير، أو حتى تحت ألواح الأرضية. وبشكل طبيعي أيضًا، بحثنا بجد ولم نجد شيئا. وهنا أكثر جزء مثير: في هذه اللحظة، بدأت تلك الرائحة بالسخرية منا، وهي تتنقل من مكان إلى آخر، مرة على

الكرسي، ومن ثم تنتقل إلى مكان مرتفع كالمصباح، ومن ثم تختفي نهائيًا ثم تظهر في قاعة التشيلو الخاصة بي. لم نستطع أن نرى شيئًا ولم نكتشف سبب الرائحة. ومن ثم، قيل بأن هذا هو الاجتماع السنوي لأصدقائي الموتى، فهذه الظاهرة التي لاحظها الجميع قد تمّ تأكيدها من قبل عشرة أشخاص قد تم اختفاؤهم كليًا. أقول هذا وأنا أعلم بأنّني قد جازفت بجعل كل المثقفين أصحاب النظارات ذات الإطار السميك يضحكون علي.مكتبة سُر مَن قرأ

ومن ناحية أخرى، كانت هنالك مشكلة مع صديقي غرودزينسكي، الذي حطمت الرياح منزله من السقف إلى الطابق الأرضي. كان قد راسلني قبل عدّة أيام ليخبرني بفاجعة قطته التي تحولت من قطة صغيرة لطيفة محبوبة من قبل الجميع إلى نوع مختلف جذريًا عن الحيوانات التي تشنق نفسها وتئن باستمرار من دون سبب واضح. في ليلة القصفِ، تم إنقاذ القطة، ولكنها حررت نفسها وفرت، كانت كما لو أنّها منومة مغناطيسيًا. حين رأت ألسنة اللهب ركضت مسرعة إلى المبنى. ولم يجدوا جثتها في الأنقاض. مرة أخرى، لدي تجربة تبدو لي أنها تنفي كل التفسيرات ومن دون استخدام الخبرات في هذه الحادثة.

عندما كنت شابًّا، اهتم بي الواعظ العظيم السيد هايدبراندت، كان زميلًا لوالدي في الرايخستاغ. في خريف عام 1914، تقاعد من الساحة السياسية، ولم أره بعد ذلكَ، ولم أفكر به مرة أخرى حتى ليلة من ليالي أكتوبر عام1924، عندما حلمت بأنه قد توفى. وبعد عدة أيام، علمت بأنه قد توفى فعلًا.

و بالنسبة إلى هتلر مرة أخرى، كنت أتخيله وهو يضع حجر الأساس للمتحف الألماني. حاملًا بيده مطرقة ليطلق ضربات تقليدية الثلاث. ولكن عندما رفع يده نزل رأس المطرقة إلى المقبض، ثم وقع بعيدًا حيث لم يتمكنوا من إيجاده مع كل ذلك التجمهر. أرى تمامًا كم كانت هذه الهيستيريا الخرافية تنذر بالنحس.

كان خصومه يأخذون هذا كإشارة جيدة، ورأينا حقًا أن هذا النظام سينتهي قريبًا. وقد انتظرنا على هذا الأمل عشر سنوات. حتى بات لون شعر رؤوسنا أبيض من المعاناة والأسى، وقد سممنا أنفسنا بالكره المميت والمتناقض الذي جعلنا نتمنى الموت على أن نستسلم من أمل رؤية أعدائنا يُدَمَرون. فقد تمسكنا بالحق، ولم نستسلم، وضحينا بأفضل سنوات حياتنا في هذا السبيل. والآن، في كرهنا، أصبحنا مثل النحل الذي لابد أن يضحي بحياته في سبيل استخدام إبرة.

ولكن، هل يوجد بيننا شخص قد يختار السلام والرفاهية في كنف هتلر، ويعلم أن هذا النوع من الحياة لا يمكن إيجاده سوى بالتغذي على دموع الناس، والسرقات وحتى القتل؟ لا أعرف أحدا! أعلم فقط بشأن عدد من الناس من أصدقائي وزملائي المحاربين الذين لا يمكن أن يرضوا بالصلح أنا فقط أعرف أُناسا يتمنون الموت أكثر بعشر مرات على أن يشهدوا انتصار هذا المسخ. أنا أعرف فقط أولئك الناس الذين يفضلون البكاء مع الشرفاء من الضحك مع الأشرار!

ولكن هذا الضحك قد انتهى الآن وهو يعرف هذا. فالنهاية قريبة وليست مشرفة، بل نهاية قذرة، ومخزية وبائسة، وستكون عنوانًا لضحكات السخرية التي ستلفّ كلّ لغات العالم! قد يحدث في بعض الأحيان أن يُسمح لرجل، قد يكون عظيمًا في يوم ما، أن يعبث بعجلة التاريخ الضخمة. قد يحدث هذا أحيانًا، وينجو المخادع بفعلته. ولكن ما أن تبدأ عجلة التاريخ بالحركة، بشكل أسرع وأسرع، فإنه سيرمى على الأرض وستدهسه العجلة. ستالينغراد: انتشر مصطلح جديد بين الناس، مسيء أكثر من أي وسيلة إعلام تابعة للنظام. غروفاز. أصبح هذا اسمه المستعار غروفاز. إن ذلك الكائن الهستيري البائس قد يؤدي دور اليكساندر العظيم أمام العالم لوهلة من الوقت. ولكن عاجلًا أم آجلًا، سيأتي التاريخ وسيزيل القناع عن وجهه. غروفاز...

مارس 1943

وصلت أخبار ستالينغراد السيئة إلى ذلك المتوحش. وبطبيعة الحال، سوف يحاول أن يظهر نفسه بكارثة أخيرة يفعلها. وقد راودنا شعور بالذعر مرة أخرى.

هيلمر: التقيت به مرة واحدة فقط، في حفلة رأس السنة عام 1934، بعد أن كنت أنا و«كلي» محتارين بشأن الدخول مع أولئك الناس المثيرين للشك. في تلك اللحظة، تقدّم إليّ رجل شرطة من الطبقة المتوسطة يبدو أنّهُ مساعد مأمور ثم سحبني إلى زاوية وسألني من يكون السيد أرنو ريتشبيرغ.

في حين أنّ ريتشبيرغ كان رجلا ذا ثراء فاحش، وقد قام بدور أساسي في سقوط ستيكت، وفي عقد مؤتمر في لوكارنو، بالإضافة إلى أنه كان واحدًا من الشخصيات الموجودة خلف كواليس هيرنكلوب، وفي المجلس الاستشاري لبابين، وفي حين أنني أعرفه معرفة سطحية، فقد قررت أن أنقذ نفسي من هذا الموقف بأن أُجيب عن سؤال هيملر بسؤال آخر: سألته، كيف لفوشيه ثالث شخصية معروفة من الألمان أن يسأل رجلا ضعيفا مثلي عن رجل بارز؟

نظر إلي مدهوشا بعينيه الصغيرتين. أعتقد أن جدالي الدفاعي قد نفع لأنه ببساطة لا يعرف من يكون فوشيه. ولكن لم يكن يريد أن يبين لي هذا، لذا فقد تركني وشأني.

كنت سعيدًا جدًا لأنني تخلصت منه. إن رائحة الشرطي البريطاني التي

تفوح منه، وختم الطبقة البورجوازية التي لا شك فيها بالإضافة إلى صلاحيته بقتل أي أحد قد جعله يبدو مخيفًا جدًا. لا بد وأن هذا هو الشكل الذي يجب أن يكون عليه فوغير تينفيل: البيروقراطي القاسي، حاكم الحياة السفلية.

ذلك هو الرجل الذي يشق طريقه إلى المقدمة. وهكذا نعيش نحن الآن، كالناس الذين يجب أن يعيشوا قبل تيرميدور وسقوط روبسبير . سيفتح في أي لحظة باب الاستنكار وفأس الجلاد. ترأس المحكمة الجزئية ذلك السادي المتعطش للدماء النازي اليعقوبي، الذي يحكم بشكل سريع خلال خمس سنوات بالموت. ختم على قرار المحكمة بثلاث كلمات «التصفية وجرد الملكية». جرد الملكية يعني الاستيلاء على كافة ممتلكاته. تم سحب المتهم إلى الباب الخلفي، حيث كان السياف ينتظره. وخلال خمس عشرة دقيقة انتهى كل شيء، المحاكمة، الحكم وكل شيء. وبالتالي تأتي المقصلة، ففي حجرة التشريح في الجامعة كانت جثث الذين قطعت رؤوسهم تتراكم بشكل كبير حتى أن رؤساء الجامعة أصبحوا يرفضون استقبال المزيد من الجثث.

تلتفت الرؤوس إلى الشيء التافه، إنهم يلتفتون إلى الشكوك حول نتيجة الحرب التي يعرف أي واحد بنصف عين حتى، بأنها مجرد خسارة. إنهم يلتفتون ليرجعوا نقودهم، ويلتفتون بسرعة أكبر لأجل التشهير بالجنرال العظيم كما لو أن أحدهم يستطيع أن يشهر بالقيصر الجالس في أعلى برج اوبيسالز، الذي كان في السنة الماضية في حضرة شخص أعرفه يدعو نفسه في الوقت الحالي سيبكو، والذي تجتاحته نوبة غضب مفاجئة إن تجرأ شخص ما وشكك في علاقته مع الرب! كما أن الله شديد العقاب، فقد ابتكر عقاب السخرية من الزعيم تتراوح من السجن ستّة أسابيع إلى القتل بقطع الرأس. والآن لدينا إحدى عشرة مقصلة في ألمانيا. في النهاية، إذا عصى أحد الأوامر في ميونيخ، فسيكون مصيرهُ

مقصلة شتوتغارت.

ولكن لم تتحسن النتائج على الإطلاق. فقد تم قطع رأس رجل لأنه اعترف مع إبنه الوحيد بأنهم لم يذهبوا إلى الجبهة. كما قطع رأس مدير بنك في شتوتغارد يبلغ من العمر 74 سنة لأنه تحدث مع رجل آخر في القطار عن أنّ الحرب تسير بشكل سيء... اوه، كما قطعوا بوحشية رأس واحدة من السيدات اللاتي تشتغلن ببيت الدعارة الذي يملكه السيد كريستيان ويبر، الذي يملك اثنين من بيوت الدعارة ويعتبر الصديق المحبب لدى أعظم جنرال في التاريخ، كانت هذه الجريمة في حق امرأة، ربما بسبب توصية من رب عملها، لأنها طلبت عملة أجنبية عند الدفع لأجل تقديم المتعة الجسدية، كما أنها كانت تستقطع مبلغًا صغيرًا لنفسها من المبالغ التي تستلمها يوميًا.

كانت التقديرات في برلين تقارب الست عشرة حالة لقطع الرأس خلال الأسبوع الواحد، في حين في فيينا، يكثر إمّا الكارهون لبروسيا، فإن حالات قطع الرأس الأسبوعية تصل إلى العشرين. وللشانق أيام محددة للعمل أسبوعيًا، في أماكن متفرقة من مؤسسات الإعدام. ففي حين أنه يأخذ مكافأة بعد كل عملية شنق، بالإضافة إلى راتبه الأساسي من الحكومة، فبالطبع له حصة من هذه المؤسسة. أستطيع أن أتخيل شكل عمود البيان بالشخصيات في الصحيفة، مكتوبة بشكل لائق بما يتناسب مع ألمانيا الجديدة من حيث الاندفاعية والسادية، فما يكتب هو شيء كهذا:

مسؤول حكومي

رجل عسكري، براتب ممتاز، ورتبة عالية، طويل، أشقر، ذو مظهر جيد، يحب الطبيعة. يحمل نظرة واضحة تجاه الحياة، يبحث عن امرأة متوافقة معه فكريًا، شقراء أيضًا، ترغب في الزواج. ليست أقل من 5.2 قدم وليست أكبر

من 25 سنة.

يفضل الرجال النساء الشقراوات. وأنت كذلك؛ هؤلاء الشقراوات إيجردز، ويبكس استريدز، غوردنز، وايسولدز لن يكففن أبدًا عن التدخل في عمل الزوج. بعيدًا عن كل هذا، إن هذه أعمال حكومية إجرامية. هل تظن بأني أبالغ في شأن القبول الاجتماعي الانساني؟ دعني أستشهد بهذه الحالات، وفقًا للظروف الراهنة في فيينا:

جميعنا يعرف الممثلة إم، كانت في شبابها ممثلة تراجيدية بارزة في مسرح بورغ ومن ثم أصبحت المالكة لمصنع النبيذ، وكانت تتناول طعامها من وقت إلى آخر مع كبار المسؤولين ممن كانت لهم علاقة بالسوق السوداء. وفي يوم ما، جلب أحد المسؤولين معه رجلا كتوما جدًا يعرفه معرفة شخصية، يبدو أنّ ذلك الرجل كان يتفادى التواصل مع البشر، حتى أنه لا ينظر أحد إلى عينيه، وعندما سُئل إن كان يقيم في فيينا، أجاب بلهجة سكان شمال ألمانيا لم يعد من يسكن هنا بعد الآن، ولكن غالبًا ما يكون لديه أعمال في فيينا. وبعد حين، عندما غادر، عرفت السيدة بأن هذا الرجل الذي كان جالسًا معها على الطاولة هو الشانق، في السجن...

و في نفس الموضوع أيضًا، عندما كنت في ميونيخ مؤخرًا، كنت شاهدًا على محاكمة، رأيت طبيبًا يبلغ من العمر خمسة وستين عامًا متهمًا بحيازة العملة الأجنبية وقد حكم عليه بالسجن لثماني سنوات، إلا أنه قد كان بينه وبين المقصلة شعرة. في قاعة المحكمة، ذات السقف المنخفض والأضواء الباهتة والرائحة النتنة، رأيت على الجدار المتسخ صورة لولي العهد القديم كانت قد نسيت معلقة ، بدا منظر الصورة وكأنه نافذة على عالم آخر: كان المدعى عليه، رجلًا كبيرًا في السن يرتجف، كان المشتكي والشاهد امرأة سويسرية ذات شعر

طويل أشقر تعمل كمدبرة منزل ذلك الرجل العجوز، وكان مساعدا القاضي رجلين من موظفي الحكومة، وكان القاضي، صاحب وجه عابس، غضبان، متوحشًا وكأنه كتلة من الإثم والخطيئة، نازيًا مرعبًا آتيًا من قاع بافاريا المنخفضة...

يدعى هذا الرجل فوكس[54]، وقد تسبب في قطع رأسي الأخوين والأخت سكولاس قبل عدة سنوات، وسنبعده قريبًا عن كرسي القضاء. كان الناس يدعون هذا الرجل براسدورفل، وقد كان حتى الأمس المستشار القانوني في قريبة (بلاتلينغ). والآن نال هذا الحقير فرصة أن يزيل تراكم الكراهية لعقود من الزّمن، وهذا العجوز عديم الحظ المستهدف من قبل تلك السويسرية العاهرة. لم يكن هنالك شيء أسرع من هذه المحاكمة، فقد كادت تلك الشقراء أن تصرخ من بالولاء الإشتراكي الوطني في كل مرة كانت تكرر فيه شكواها، تمتم الرجل العجوز قبل أن يبدأ بالدفاع عن نفسه، ولكن كبير القضاء نهره بصوت عال قبل أن يتمكن من نطق ثلاث كلمات متجانسة. إن أولئك المساعدين الحكوميين عرفوني وكانوا خجولين مما يحدث، وحاولوا تجاهل نظراتي الساخرة تجاههم، وقد تصنعوا بأن ما يفعلونه قانوني، وسألوا عدة أسئلة كان يقصد بها الموضوعية. شعر الرجل العجزر بتغير في أجواء المحاكمة، فاستجمع قوته وشرع في الكلام ومباشرة قرع القاضي مطرقته ليعم الصمت...

وما حدث هو أن حكيمنا وقاضينا، حكم بالأمر القضائي المكتوب مسبقًا والمشكوك فيه نحويًا للفلاحين الذين يشهرون سكاكينهم وللمتهربين من الضرائب، وصدح بصوت عال بكلمة هراء، ثم رمى ملفه على الطاولة وتمتم

(54) . لا يوجد أي ذكر لـ"فوكس" في الأدب المتاح في قضية شول. وقد كان "رونالد فلايسلر" رئيسًا للمحكمة العامة قبل أن يتم الحكم بإعدام الشابين، وقد كان "فلايسر" مسؤول أيضًا عن إدانة أولئك الذين تورطوا في محاولة الإغتيال في العشرين من يوليو 1944.

غاضبًا، مما جعل الرجل العجوز تخار قواه من الخوف. ثم فعل شيئًا ليس له سابقة في قرارات المحاكم. فقد نهض عن كرسيه، ومشى مسرعًا نحو الرجل العجوز، ثم وضع يده على فم العجوز وصرخ: «اسمع أيها الرجل! إن تماديت في هذا الأمر، سأبرحك ضربًا على وجهك!». في حين أن الأخذ بالشهادة كان قد انتهى وأصبح المدّعي عليه جاهزًا لسماع لحكم. تم الحكم عليه بالسجن لثمان سنوات، ووفقًا لعمره فإنه من المحتمل جدًا أن يموت في السجن.

ذهبت وأنا أفكر في عدّة أشياء: في القضاء البرلماني الإنجليزي الذي يخشى و يحترم التاج الذي يرتديه تشارلز ستيوارت، وعن معاناة الرجل العجوز المشارف على الموت، الذي تم إرساله إلى السجن مع أناس يقال عنهم حراس الشرف؛ ونجد المحكمة الفرنسية التي سمحت للمتهمة شارلوت كوردي بأن يرسمها رسام قبل أن تشنق، لأن قاتلة مارت أرادت أن تترك مثالا وتحذيرا للأجيال القادمة. حدث هذا قبل مائة وخمسين عامًا، ونجد أن العالم لم يكن فقط في انحدار، بل إنه أصبح الأسوأ على الإطلاق. فكل شيء أصبح يجري بما يحبه هذا الرجل الفاسد، فهو يختار من الأدلة ما يناسب سطوته وجبروته، وسيعطي المتهم، إن لم يعترف، «لكمة على الأنف».

كنت أفكر في كل هذا وأنا أسير متثاقلًا إلى ميونيخ، وأراقب كم أن الأمور أصبحت سيئة بعد آخر غارة جوية فطالما كانت هذه المدينة شابة وجميلة. وفي هذه اللحظة تمامًا، علمتُ بشأن المعاناة التي حدثت لـ«سكولاس».

لم يسبق أن رأيت هذين الشابين. ففي منطقتي الريفية المنعزلة، كنت أعرف مقتطفات فقط مما كانوا يفعلونه، و لكن لم أستطع أن أصدّق ما كنت أسمعه حقًّا. إن الأخوين سكولاس كانا من الأوائل في ألمانيا ممن تمتعوا بالشجاعة الكافية ليشهدوا بالحق. والحراك الذي تركوه بعد موتهما سيستمر، وسيصبحان

دائمًا مثالا للتضحية، فالبذور التي زرعاها ستنبت يومًا ما ثمارًا مهمة. إن الأخ والأخت سكولاس كانا رغم كل شيء يذهبان بشجاعة إلى عملهما، رغم أنهما كانا يواجهان الموت. وقد أفشى بسرهما مسؤول في الجامعة، كان خائفًا من أن يتم أخذه إلى السجن الوقائي.

وقد تم الحكم عليهما بالإعدام بواسطة النسخة الثانية من روسدوفر. لقد ماتا بكل شجاعة و تضحية، وبذلك وصلا إلى القمة في محاولة جعل الأجيال القادمة تعيش حياة كريمة.

لقد عرفت شيئًا عن آرائهما وعن الشباب الذين كانوا معهم. لقد كانا صبيين انفصلا عن أقرانهما، وقد كانوا من أسرة شوابية عريقة، يعيشان في منطقة هادئة منعزلة، إضافة إلى هذا كان دائمًا يتملكهم شعورًا مختلف وهو الذي تسبب في موتهما المبكر. فظهورهما أمام المحكمة -خصوصًا الفتاة- كان ملهمًا. فقد أبديا ازدراءهما في المحكمة من الحزب وهتلر ذلك المجنون الذي كان سيصبح عظيمًا، وفي النهاية، فعلا شيئًا أثلجا به صدورنا ومنحانا القوة الأبدية للنجاة. وعند كلماتهما الأخيرة، كررا الإنذار الذي أعطوهم إياه فرسان الهيكل للقضاة، وأولئك الذين كانوا يضطهدونهما وأولئك الذين وقفوا إلى جوارهما سيتم استدعاؤهم جميعًا إلى قاعة المحكمة خلال سنة. وتلك اللعنة التي نطق بها الفرسان جعلت كلًا من بوب كليمنز وفيليب ملك فرنسا يموتان قبل انتهاء السنة. وسننظر ما الذي سيحدث أيضًا خلال سنة...

ولكن الأخوين سكولاس قد رحلا عن هذه الحياة بشكل هادئ ومرعب، وقد منحا الكرامة على هدر دمائهم الشابة. ولنحفر هذه الكلمات على قبريهما، ولنجعل كل الناس، الذين عاشوا في مأساة خلال العشر سنوات الماضية، يبتهجون عندما يقرؤون هذا: «الذي يعرف كيف يموت لا يمكن أن يتم

استعباده».

في يوم ما، سوف نزور قبورهم جميعًا، وسنقف أمامهم خجلين.

ولكن هتلر كان مشغولا بشيء ما في تلك اللحظة: إن هتلر قلق في هذه اللحظة في حين أن كاتدرائياتنا ومعالمنا الوطنية قد تحولت إلى تراب، مع تعليم فن مزج الألحان وأساسيات التناسق نجد أن هتلر يترنم على أغاني الاشتراكية الوطنية. وقد شاهدوا غورنج يدخل إلى حفلة مرتديًا معطفا من الفرو يصل إلى أقدامه، يلفّ خاصرته بحزام غربي أحمر مرصع بألماسات مسروقة، وينتعلُ حذاءً مغربيًا. أنا واثق من أن مظهره كان مبهرًا لكنه لم يشارك من قبل في أية معركة. ولكن هنالك شهود على التاريخ: فإن الروماني كاليغولا عديم الحظ، قد ظهر أيضا أمام رعاياه بحذائه المغربي اللامع، بفترة قصيرة قبل أن يصبح مجنونًا.

أغسطس 1943

رأيت طبيبي كليبلات[55]. كانَ حزينا جدًا لعدم إعدام إبن زوجته بالمقصلة، كان إبن زوجته قد كتب منشورات وقام بتوزيعها عن طريق الأخوين سكولاس، وقد تبعهما إلى الموت، بتضحية كبيرة، حاول إحباط عملية تمزيق جثمان الأخوين ووضعهما في زجاجات لمحاضرات التشريح.

ولكن أرواح الموتى شرعت في العمل، وظهر التأثير مباشرة عن طريق وقوع الفوضى في الهيكل النازي الحاكم. ولأسابيع من الآن، بتنا نرى أن المستويات الدنيا من التسلسل الهرمي، من مسؤولي المناطق، رؤساء القرى، والموجودين في الحصن والمعاقل بشكل عام يفعلون أمورًا تدل على خيبة الأمل في النظام النازي ويريدون أن تتم ملاحظتهم. إن تصرفاتهم العامة الآن يفترض أن تدل على القرف، لذلك على الجميع أن يعرف بشأن استيائهم، وتعاستهم جرّاء ما يحدث في الوقت الحالي. والآن، في مكتب البريد على سبيل المثال، أصبح الموظف يرمي الرسائل الرسمية في جهة واحدة بازدراء، وهو يتمتم بأنه «قد ضاق ذرعًا بهذا الخداع».

ما هو السر وراء كل هذا التغيير؟ لقد تلقى جميع الرجال رسائل خلال الأيام الماضية بشأن التنفيذ الثوري، وأخبروهم بأنهم مسؤولون عن الإجراءات

---

(55) . أخذت والدة "كريستوف بروبست" اسم "كليبلات" بعد زواجها الثاني. كان الشاب "بروبست" طالبًا في كلية الطب، وقد تم شنقه مع "سكولز" عام 1943.

الرسمية؛ وأن هنالك اتهامات وجرائم مسجلة ضدهم، والاستمرار في الأعمال المشابهة سوف يؤدي إلى تفاقم العقاب. وبسبب حظي العظيم، استطعت أن أحصل على واحدة من هذه الرسائل.

إننا نملك أدلة توثّقُ جرائمهم منذ 1933، كما نحملكم مسؤولية سقوط نظام هتلر. وبموجب اللجنة التنفيذية نبلغكم بأنكم من الآن فصاعدًا سوف تبقون تحت المراقبة. وأي أعمال أخرى مشابهة من شأنها أن تؤثر على النظام الحالي، وأي تقارير إضافية تؤكد على إلحاق الضرر بالمعارضين السياسيين، فإن الحكم بالإعدام الذي سينفذ بحقكم سيشمل جميع أفراد أُسركم. والإعدام سيكون عن طريق الشنق حتى الموت يوم سقوط النظام.

كان لهذا تأثير قوي. إن هذه الرسائل قد وصلت بشكل غامض إلى جميع صناديق البريد المسجلة والمترامية الأطراف، لذا فإن الرسائل التي أُرسلت إلى بافاريا قد أتت من انستربرغ، في حين أن الرسائل التي أُرسلت إلى شرق بروسيا قد أتت بالتأكيد من بادن أو فورتمبيرغ.

على أيّ حال، كان ذلك مفيدًا جدًا. فالموظفون العاديون توقفوا عن العمل، ومعلمو المدارس باتوا يُرون في الكنائس، وواعضو النساء صمتوا، وأصبح حصن الحزب المحلي رديئا نتيجة الإلتزام بالمواعيد عندما يحجزون موعدًا لعقد اجتماع. قدت سيارتي إلى ميونيخ بصحبة زوجة الطبيب تروستبير رئيس منظمة الصحة المحلية، الذي أخبرني عام 1938 بأنه قد توقف عن معالجة اليهود حتى في حالات الحوادث. والآن حكت زوجته، بأنه كان مصابا بمشكلة في الأعصاب، وكان يشتكي باستمرار من فقدان الهدف من الحياة ومن خداح تصريحات الحزب، كما أنه كان يعبث بفكرة الانتحار. لماذا؟ لأن واحدة من تلك اللجان التنفيذية الغامضة قد أرسلت إليه حكما قضائيا يقتضي

تنحيته عن عمله كطبيب بسبب «السلوك غير الإنساني وغير اللائق لطبيب»، وطغى عليه التأثر والهم عندما علم بأنّهُ قد تأتي عقوبة بعد الحكم القضائي.

كما أن السعاة الذين يحملون هذه الرسائل ويسافرون بها عبر نصف ألمانيا يخاطرون بحياتهم في كل رحلة.

قبل يوم أمس، جاء دابليو، رئيس منظمة الطلاب والفنان والمفكر إلى منزلي، كان هذا الرجل مجروحًا من الأعماق بسبب وفاة ابنه الجندي، الذي يبلغ ستة وثلاثين سنة، بلياقة شاب في الثلاثينات، ووجه شاحب وكأنه صورة للموت. لقد كنت أيضًا مسجلًا بالكتيبة التي يعيش أعضاؤها على الحافة.

تحدثنا طوال منتصف الليلة الصيفية وقد شارف الشمس على الشروق. تحدثنا عن الإعلام المستقبلي، عن الإذاعة الإنجليزية (التي بكل أسف تضلل الرأي العام الألماني)، وعن نقاط يجب إضافتها إلى النظام المستقبلي.

وهنا، نموذج بسيط:

القضاء الفوري والنهائي على مراكز الجاذبية السياسية في برلين وبروسيا.

إنشاء منظمة على الفور، تكون مهمتها الأولى تنظيف منطقة جنوب ألمانيا من مخلفات النازيين.

ترحيل جميع البروسيين الموجودين هنا منذ عام 1920. وهدم جميع المصانع الحربية التي تم إنشاؤها في بافاريا منذ عام 1933.

وتأكيدا لنشوء ألمانيا جديدة: مصادرة جميع مصانع المعدات الثقيلة بشكل فوري، توطين جميع المصانع، إنشاء لائحة إتهام فورية للخيانة العظمى تحتوي على أسماء كل الذين شاركوا في تقسيم ثروات نظام هتلر، وتكون المحاكمات الأولى لبابنز، ميسنر، هيندينبريغ، سكوتر وأشباههم.

لائحة اتهام فورية لجميع الضباط المسؤولين عن استمرار الحرب.

ليست بداية سيئة؛ لا تخلو تمامًا من المقارنة، وبالتأكيد ليست من دون أفكار مقترحة لإنهاء الأخطاء التي تم ارتكابها خلال الثماني سنوات الماضية.

فهل نحن ألمان سيئون لأننا نتحدث في مثل هذه الأمور؟ إن هذا يعتمد على أي ألمانيا تقصد. إذا كنت تقصد ألمانيا فهي تعني الهرطقة الكبيرة لبسمارك التي أصبحت متطرفة اليوم، وإن كان منسيًّا أنه قبل وجود الرايخ الذي يعتبر مهد الأفكار العظيمة، ولهذا قد استمر الرايخ لألف سنة، في حين أن القادمين الجدد من بوتسدام مكثوا فقط عدة عقود ومن ثم سقط نظامهم، ساحبين معهم إلى القاع الأرض وكل الثروات التراثية والفنون التي لا بديل لها وجميع ذكرياتنا لآخر ألف سنة ومن نقول بأننا ألمانيا سيئة!

كلا، نحن ندرس هذه الأشياء لأن المستقبل لا يمكن أن يبنى بشكل غير متين. وإن أفسدنا الأمور كما فعلنا عام 1919، فإن دماء أحفادنا ستسفك بوجود مذبحة بروسية أخرى. على نقيض ما يبدو عليه هذا، إلا أننا كنا لنربح الحرب لو أننا استطعنا أن نحرر ألمانيا من هيمنة بروسيا، وتركنا بنيتها الفوقية التجارية، وحررناها من التصنيع الذي لا معنى له والقائم فقط على دعم الحكومة. إن هذه هي الطريقة الوحيدة التي يمكننا من خلالها أن نتخلص من شعور عدم وجود هدف والإمكانيات البشرية غير المنتجة، حتى وإن كلفنا الأمر عقودًا من الزمان. ستتأكد فقط من خلال هذه الطريقة إذا ما كنّا لم نخسر على الأقل «آي. جي. فاربن» خلال الحرب.

20 أغسطس 1943

ألقت نشرة إنجليزية اللوم على شوارز كوربس في أنه جعل العنصر الأساسي في كل الحروب يتمحور حول الدسائس الشيطانية الخفية وليس حول تحرّكات الجيش، وقد هاجم الأنجليز المجلة لأنها نسبت هذه الأحداث الكارثية إلى أسباب مبهمة وغير عقلانية. والآن أنا لست من قائمة الذين سوف يعتذرون لشوارز كوربس، أو لغونيز دالكوين، على الأرجح أن اسمه الحقيقي كونتير شولز. أريد أن أكون أول من يعترف بالحقيقة، وهي أن الجثث والدماء كانت بسبب أشخاص محددين هم من كانوا مسؤولين عن هذه الحرب. إن كبار المسؤولين يطمعون في أرباح أكثر، ضباط الجيش يطمعون في المزيد من الميداليات، المتشردون في زوايا الطرق يطمعون في عطور فواحة ليشبعوا غرورهم، وهم من أصبحوا الآن المروجين للوضع السياسي وقد انكشفوا في هذا الوقت كما لم يسبق لهم خلال الحرب.

ولكن يجب أن تطرح على نفسك هذا السؤال، هل حللنا المشكلة؟ هل فسرنا سبب هذا السبات العميق، وعدم وجود أي اعتراض تقريبًا بالنسبة إلى الشعب عندما تم القبول بهتلر بعد خمس سنوات فقط من إعلانهم أنّهم شعب مسالم، في انتخابات عام 1928؟ هل فسرنا تصرفات النساء اللاتي، كما وصفت آنفًا، عندما جن جنونهنَّ حينَ يرين لمحة منه ويبتلعن الحصى الذي مشى عليه؟ وتصرفات شباب هتلر عندما رمى أحدهم الصليب من النافذة،

وهو يصرخ «ارتمِ هنا أيّها اليهودي الخسيس!» إن هنالك المزيد من الأمور التي تحتاج إلى الشرح أو تلك الإنتهاكات الأخلاقية، والوحشية، والرغبة في إعدام المزيد من الشباب؟ وهل يعتقد الناس حقًّا في إنجلترا أن كل هذا كان ممكن من دون ظهور شكل من أشكال الانفعالات من الليل والذي يمكن أن يستولي على أي شخص آخر؟

يجب أن أعترف بأن كل هذا النقاش قد تسبب لي بالكآبة. إنه يظهر الهاوية بين القارة الأوروبية والمحيط الأطلنطي حينما أفكر في الأمر. إنهم مازالوا يحاولون التوصل إلى تفاهم مع قصص الأشباح التاريخية باستخدام الصيغ القديمة البالية منذ القرن الثامن عشر.

بالتأكيد، سوف نستمر بإلقاء الأحكام على تلك الشخصيات المعروفة التي تسببت في جلب حبل المشنقة إلى هنا، كما أن أخشاب المشنقة التي أرجو أن أرى هتلر وغورينغ وغوبلز وبيبان وآخرين.. معلقين عليها، بدؤوا يفكرون في أن يبعدوها. وبالتأكيد أيضًا، يجب علينا نحن الألمان أن نأخذ صليبنا ونضعه وراء ظهورنا ونأخذه إلى الوادي المظلم والحزين.

ولكن هل هنالك شعب يفتقر اليوم إلى بعد النظر كما لو أنه ينكر احتمالية حدوث مثل هذا الخلل العقلي في وقت من تاريخها وداخل حدودها؟ وهل يسيءالناس الظن جدًا إلى درجة أن يتهموا المفكرين الألمان العزّل بالكسل عندما، خلال أول سنتان من نظام هتلر على الأقل، قرر مجلس الوزراء البريطاني شنَّ هجوم بواسطة كل الأسلحة التي كانت لديهم؟

لست متذمرًا حتى على أنهم يلعبون هنا تلك اللعبة القديمة التي تدّعى من هو المذنب. ما يزعجني هو منهجية هذا النوع من التفكير، الذي يتجاهل المشكلة الأساسية ويغمض عينيه بطيش وبرودة دم عن مواجهة الأزمة العظيمة

التي نشهدها في وقتنا الحالي. ويل للشعب الذي لا يسمع أصوات تلك العواصف المرعبة القارسة! ويل لكل شخص سعد بالمكوث تحت شمس الشيطان، ولم يتعلم الآن أن يؤمن بالرب! ويل للناس الذين لا يستطيعون استيعاب هذه الحقيقة.

نال مذهب العقلانية يومه. وقد سيطر الإلحاد على العالم لأربعمائة سنة، والآن حان الوقت لينتهي. إن اللغز العظيم، غير عقلاني في حد ذاته، إلا أنه يقرع الأبواب مرة أخرى. شهدت اليوم أول غارة جوية بطائرة أمريكية، أشعل الانفجار سماء «ريجنزبيرغ». كان ذلك أول منظر قريب من الحرب بالنسبة إلي. وها قد طاروا، متجهين إلى قريتي الهادئة، وتلك الطيور البيضاء كما الثلج... رأيت واحدًا، قد ارتطم بمضادة للطائرات، توهج باللون الأحمر القاتم للحظة، ثم سقط واللهب يغطيه. رأيت أجسادًا صغيرة تهبطُ بالمظلات لتحمي نفسها من النيران، وقد رأيت واحدًا منهم وألسنة اللهب تبتلع حبال المظلة، وفي هذه الحالة تعتمد سرعة سقوطه على وزنه. قدت سيارتي إلى سيبراك لأرى الحطام. كان النفط المشتعل من فوهة التزويد بالوقود يشتعل على عمق أربعة عشر قدم من الحطام. كانت المحركات قد حفرت الأرض بعمق شديد فلم يكن هنالك أية مجال لمحاولة إخراجهم. وحول الحفرة، رأيت أشلاء من أجساد البشر المبعثرة، قدم، إصبع، يد. وباقي الأشلاء تم أخذها في عربة بطاطس صغيرة.

بالقرب من دابيليو، كان هناك أمريكيان أقل حظا قد وصلا إلى الأرض بسلام. ومن ثم، حينما كانا يتخلصان من المظلة، حاول إثنان من اللاجئين أن يبصقا عليهما، فقال الجندي المرافق معهم بأنه من غير المسموح الإقتراب منهما ثم أشهر سلاحه تحذيرا لسلامة أولئك الرجال المسالمين. أنت تحتاج فقط أن تحدث الخدوش على درعك غير البرجوازي لتجد تحته الجوهر القديم الطيب

من الأخلاق البشرية والنفور الفطري من التصرفات الوحشية.

كانت الأخبار التي وصلت من هامبورغ ببساطة أبعد من الخيال. وضعوا القار المغلي وسحبوا المتهمين ووضعوهم فيه وهم أحياء، مدن مدمرة فعلًا، كانوا يغطون الموتى ويحيطون بالأحياء كأنهم صخور ضخمة. تم قتل 200،000 شخص بهذه الطريقة.

أنا لست ممن يصدقون كل شيء يقال لهم. وأفضّل أن أرى أي شيء بعيني. ولكن في هذه الحالة، ما شاهدته بعيني كاف.

لقد سمعت الكثير من الأمور المتوحشة كليًا وأفعال الناس المختلة في هامبورغ كإحراق المدينة، قصص عن فقدان الذاكرة، قصص عن أُناس يحومون في الطرق بملابس النوم بعد أن تم طردهم من منازلهم، مجانين يحملون أقفاص طيور، ولا يعرفون أي شيء مما حدث أمس، وليست لديهم أدنى فكرة عما سيحدث غدًا.

وهذا ما رأيته في هذا اليوم شديد الحرارة من أول أيام شهر أوغسطس وأنا في محطة قطار صغيرة في بافاريا العليا، حيث أن أربعين أو خمسين شخصًا من هؤلاء الناس البائسين كانوا يتسكعون هنا ويتزاحمون، بغض النظر عن صراخ ناظر المحطة، كانوا يدخلون إلى العربة من خلال النوافذ التي كسروها، يدفعون، يضربون، يصرخون، فقد اعتادوا الآن على الشجار لأجل المكان.

فما كان يحدث هناك هو شيء لا مفر منه. حقيبة سفر، قطع متسخة من الورق المقوى ذي الحواف المهترئة، تخطى الوجهة، عاد إلى رصيف محطة القطار وفتح الأبواب، لينزل من كانوا على متنه. كان هناك أكوام من الملابس، طلاء أظافر، ألعاب. وكان هنالك طفل بيده قطعة خبز ناشفة، بدى شكله نحيلًا

كالمومياء، سحبته معها امرأة نصف مجنونة، بقايا مروعة لما كانت قبل عدة أيام عائلة. صياح من شدة الرعب، القرف، الصراخ، عنف هيستيري، نباح كلب صغير، إلى أن جاء أخيرًا موظف وشفق عليهم جميعًا.

سمعت شيئا آخر. ثمّة عاصفة نارية نتجت عن حريق هائل امتص كل الأوكسيجين، وتسبب باختناق أناس موجودين على بعد مسافة طويلة من الحريق، وقد حول ذلك الحريق الهائل نساء ورجال ناضجين إلى قطع صغيرة، بحجم أطفال صغار، لقد أصبحت النساء يتساءلن بشأن البلد، وبيوتهن المدمرة، حاملات بين أيديهن الآثار المروعة.

من خلال كل هذا، هل يمكن نفي أن فترة الحرب هذه قد شارفت على نهايتها؟ هل يمكن لحقيقة أن التكنولوجيا تلعب الآن آخر دور لها مازالت مخفية، وأنها ستترك خلفها خواء فظيعا لأرواح خالية، خواء يمكن ملؤه على الأرجح بشيء غير عقلاني. هل هنالك أي شك في أنه لا توجد أي طريقة يمكننا خلالها أن نعود إلى العالم الذي كنا عليه أمس، وأن أولئك الذين يمتطون الأحصنة السوداء ما هم إلا الفرسان الأربعة الآتون من نهاية العالم في حد ذاتهم؟

2 يوليو 1944

قدت اليوم دراجتي من شتاين متوجهًا إلى منزلي، مررت بتجمهر نساء شابات يعملن في مصنع. كنّ جميعهن من شمال ألمانيا، تم إجلاؤهن إلى هنا خصّيصيًا ليعملن في مصنع النباتات الكيميائية في وادي آلز. كنّ متكدسات كحفنة من بلح البحر، ويمشين كتشكيلة عسكرية مثل بقية الشعب. كان منظرهنَّ مزعجًا وقبيحًا جدًا وخاليًا من كل مظاهر الأنوثة. يجرين بسرعة كأنهنَّ قطيع من البقر بأذيال مضفورة شقراء، كان علي حقًا أن أفسر لنفسي لم وجدتهنّ مثيرات للاهتمام كفاية حتى أتبعهنَّ...

نعم، لقد لحقت بهنَّ بسبب الأغنية التي كنَّ يردّدنها. فهي ذات الألحان بلشفيّة متقطعة؛ باختصار، أغنية قهامية تافهة. كلماتها كالتالي:

من أين تشتعل النيران

من بيت الأوبيرا

إنها بلدتي

إنها منزلي

فالآن، هل ستقول للناس الذين يتعرضون للقصف والقنابل بأن هذه هي أغنيتهم الثورية! إن التساؤل يجلب المعلومات التي تخبرنا بأن هذه المخلوقات

صاحبة الوجوه البليدة قد أتت من هانوفر، حيث أن دار الأوبيرا خاصتهم قد التهمتها النيران فعلًا. لا يمكنني أن أجزم بالقول إن كان ما يحدث هنا هو سخرية ذاتية، معارضة، اختلاف، أو لأتحدث بشكل عام أكثر، تشابه الغباء الذي أصبحت عليه نساء النازيين. ربما ما يحدث هنا ما هو إلا مثال إضافي على البلاهة.

علي أن أضيف شيئًا من المحادثة التي جرت في محطة تراونشتاين للسكك الحديدية بين اثنين ممن أعرفهم من أعضاء الجمعية الموسيقية في برلين. هؤلاء الإثنان، عليهما حقًا بطبيعة الحال أن يحتفظا بقدراتهما الذهنية و معارضتهما، أخبراني عن الاختلاف المذهل الذي حدث في النموذج العرفي المعتاد للجيش، والذي يتم انتشاره في ميونيخ سرًا:

بيان من الموقع المشوش للجيش: من مقر التجنيد.

لم يصل آخر بيان للجيش حتى الآن.

جيد جدًا، هذا شيء رائع بكل تأكيد. إلا أني كنت أُفضل أن أرى مقاومة النظام تأخذ شكل المنظمات الحزبية أكثر من مشاهدة هذه الأضحوكات. ففي أفضل الأحوال، نجد أن هذه الأمور ماهي إلا إنعكاس للوحدة والجبن والكسل الذي زرعه النازيون هنا بقصد تشويه الألمان.

لأكون عادلًا، علي أن أقول بأني قد سمعت من مجموعة بافارية عن المناضلين الذين يعملون بالقرب من مورناو ومجموعة نمساوية تعملُ بالقرب من سانت يوهان، في بينزغا. تتكون هذه المجموعات من الجنود الفارين ومن العمال الذين تركوا أعمالهم ولكن كم كنا سنتجنب من المآسي والآلام لو أن هذه المجموعات بدأت مبكرًا!

و هكذا عدت مرة أخرى إلى الأحجية التي أتعبتني خلال الإحدى عشرة سنة ماضية، أحجية الإضطراب العقلي للشعب الألماني، واضطراب كبار المسؤولين الذين سمحوا لأنفسهم بأن يتحكم فيهم هتلر كالدمى (وما الشيء الذي يخشى أن يخسره رجل ذو خمسة وستين عامًا سوى كرامته؟) من دون أن يضحي بسيادته خارج الغرفة الفاخرة المفروشة الموجودة في ميونيخ؛ من نسائه الهيستيريات اللاتي كن يدعمنه ماديًا؛ عدت مجددًا إلى المشكلة المتمثلة في الأطفال مثل جورج ستراسر الذي يبلغ عمره إحدى عشرة سنة، الذي رأى والده يُعدم بأمر من هتلر في صيف 1934، ومن ثم، بعد أربعة أسابيع من إعدام والده، أصبح يقول: « قتل الزعيم والدي، وما يفعله الزعيم هو الصواب».

آه، يا لهذا الشعب المضطرب عقليًا بشكل لا يصدق، سيحلّ بهم أسوأ صباح مرّ على العالم! إن هذا نتيجة التلاعب بالمذياع وما يصب في آذان الناس حتى حولهم إلى أتباع له. يا له من شعب غبي. وبهذه الطريقة تم إحباط وإخراس المثقفين الحقيقيين، الذين يعدون عاملًا أساسيًا في المجتمع لا يمكن التغاضي عنه، ومن ثم يتاح لهم المجال لإنشاء شعب، أظن أنني كشخص قد رأى الولايات المتحدة وعرف شيئًا عن «روسيا السوفياتية» وأيضًا، أنه سيصبح أغبى شعب قد مر على هذا العالم.

علي أن أوضح أن الناس الذين أتحدث عنهم ليسوا من الطبقة العاملة. بل جاؤوا من الطبقة المتوسطة من موظفي الدولة بل من ذوي رتب أقل، مثل معلمي المدارس الابتدائية، والمسؤولينَ الذين يعدون فوق القمة. إنهم من طبقة جهنمية، وكما وصفهم سومبارت «بأنهم من يعوقون التقدم الحقيقي»، وقد قرأت في كتاب تمرد الشعب بواسطة اورتيجا غاست، الذي كان ليضجر على

مما آلت إليه ألمانيا اليوم.

وأعتقد أننا نحن الذين نجمع ما كتب عن تاريخ ألمانيا الثالثة كي نحوله إلى عمل واحد، مجبورون على أن ندعوه (ثورة سعاة البريد ومعلمي المدارس).

18 يوليو 1944

رأيت من إطلالة منزلي الجبلي، أسوأ تفجير حدث في ميونيخ. فأصوات الطائرات لم تتوقف لثلاث ساعات قاسية، ودوي القنابل المتفجر الذي لا ينتهي بات يهز الأرض. وحتى هنا، على بعد ثمانين كيلومترا، كانت النوافذ الزجاجية تتحطم جراء الضغط الجوي. ثم صوت الدوي القوي من المروحيات التي تحلق فوق رؤوسنا. ومن مكان أكثر قربًا، سمعت صوت تفجيرين متتاليين، على الغالب أنهما كانا أصوات مضادات الطائرات. رأيت واحدة من تلك الطيور الفضية المحلقة. لا أعلم حقًا إن كانت طائرة إنجليزية أو ألمانية تهبط حلزونيًا إلى الأرض، كورقة شجر يابسة وقعت من الشجرة خلال فصل الخريف. وقعت على بعد خمسة أو عشرة كيلومترات.

من يستطيع أن يجزم بأنه لن تسقط واحدة من تلك الطائرات على على منزلي الصغير هذا، الذي حاربت بمرارة من أجله، وخاطرت من أجله بصعوبة لأحميه من التضخم المالي الذي اكتسح البلد، كي لا يهدم؟ تحدثت إذاعة إنجليزية عن مستودع للذخيرة يدعى هوربولدنغ. يقع هوربولدنغ على بعد ثمانية كيلومترات من هنا، في خط الطائرات. بالإضافة إلى أن كل الوادي السفلي الذي يجري به النهر النظيف الخالِي من الشوائب، أصبح ملوّثًا من مخلفات المصانع التي يديرها كبار الضباط المسؤولين بشكل أساسي عن تدمير ألمانيا.

ألقيت نظرة على الأشياء التي جمعتها هنا وأعتز بها، المكتبة، تماثيل وشمعدانات من العصور الوسطى، واللوحات، فقد أصبحت تبدو لي وكأن

الغرابة تعتريها، وأصبحت الآن أرغب في البكاء. آه، هل سبق أن نظرت حولك ورأيت رجلا على فراش الموت، علمت أنه قريبًا سيصبح رمادًا متناثرًا في الرياح؟

سرب طويل لا نهاية له من اللاجئين الذين يسيرون متجهين إلى أقرب طريق سريع، مبتعدين عن ميونيخ، التي تم فيها إلقاء عشرات الآلاف من المتفجرات فوق رؤوس الناس الذين قضوا ليلة ماطرة وهم مشردون في شوارع ماكسميلون. نساء مكسورات طاعنات في السن يحملن عصيا طويلة على أكتافهن ربطت قطعة قماش تحتوي على كل ما باتوا يملكونه في هذا العالم، أُناس بائسون مشردون، بملابس محروقة، يلمع الخوف في أعينهم جراء رؤيتهم للحرائق والتفجيرات، والأموات المدفونين تحت الأنقاض، والناس الذين ماتوا في السراديب غارقين في أنهار من المجاري بسبب تفجيرات الأنابيب.

و لكن، لم قد يكون هتلر قلقًا، كما أخبرونا، فهو مختبئ داخل ملجئه المحفور في أعماق الأرض، ويقرأ رواية في الصباح وأخرى في المساء في حين أن الشعب يشهر بالألم والإرهاق طوال تلك الليالي من التفجير والقتل ويقضي وقته في مشاهدة الأفلام؟ لم قد يقلق ذلك الجاهل الذي يدعى سبير، أو حتى يقول تلك العبارات الواضحة التي تختصر هذا الجيل المريض، التابع، ذو قلب كقلب طفل؟ يجب أن أوضح أمرًا بشأن سبير؛ فهو من أتى بعد بابين، وكان يجمع بين ضمير ومروءة كلب الصيد مع غباءٍ مدمر، وهذا لا يعتبر عذرًا لأعماله، بل جريمة، وبعد ألمانيا الجديدة الزائفة واستبدال طبقة الأرستقراطيين... إلخ، فهو أكثر رجل مريض عقليًا قد عرفته من أتباع النظام النازي كما أنه دائمًا ما يتخيل نفسه بأنه ليوناردو دا فينشي.

21 يوليو 1944

والآن أتت المحاولة لاغتيال هتلر بقيادة كونت ستافنبرغ وهو الوالد النزيه الذي طالما اعتبرته واحدًا من الباقين من نخبة الألمان. وخلف هذا، نخبة من كبار الضباط، الذين طال انتظارهم.

آه، لقد تأخرتم فعلًا أيها السادة. لقد مكنتم هذا الوحش، وقد كنتم تعطونه ما يريد طالما أن الأمور كانت تجري على ما يرام. لقد حولتم ألمانيا إلى ساحة جريمة، وقد حلفتم له بإخلاص بكل الأيمان الغليظة التي اختارها ليربطكم بها. أنتم، يا ضباط الملك، جميعكم. لقد جعلتم من أنفسكم مماليك لرجل يحمل على عاتقه مسؤولية مقتل مئات الآلاف والذي سبب المآسي وأصبح محور اللعنات في جميع أنحاء العالم.

والآن، أنتم تخونونه، كما كنتم بالأمس تخونون الحكومة الجمهورية، وما قبل أمس كنتم تخونون الحكومة الملكية. آه، لا يعتريني أي شك لو كان هذا الانقلاب قد نجح في السابق، فإننا، نحن وما تبقى من الثروات المادية في هذه الدولة، ستنجو. أنا آسف، وكل هذا الشعب آسف، لأنكم خسرتم.

ولكن إن كنتم تفكرون، أنتم يا من جسدتم الفساد البروسي، ويا من أقسمتم لذلك الشيطان الذي عفت رائحته في أنوف البشرية أنكم ستصبحون قادة ألمانيا المستقبليين؟ لا.

أنا رجل. وفي ألمانيا، يعتبر توجهي هذا بطبيعة الحال من التوجهات السياسية شبه المنقرضة. استلهمتُ توجّهي من أنماط التفكير الملكي، كما أنني ترعرعت وأنا مناصر للملكية، والاستمرار في توسيع النظام الملكي يعتبر واحدا من الركائز التي ساهمت في سلامتي البدنية. إلا أنه، و(بعدم غض البصر)، بل بسبب أنني أكرهك. يخون هؤلاء المدللون الذين يغازلون كل مغامرة سياسية تأتي! ويفشون أسرار ماضيك! أتباع سيئون مثل أصحاب حكم الأقلية الصناعية والراغبون بالسلطة الذين دمروا أسس المجتمع والدولة! المخططون الراضخون للمحاولة، قد إعوجّ طريقهم، إلى سرقة روسيا، تحت رعاية كروب و «كو»، كانت خطتهم تكشف التوجه السياسي والجهل الجغرافي! رجال قد تركوا عالما من الملاءمة والنظام! مؤيدون للا منطقية في كل شكل يمكنك تصوره من الإلحاد والغرور. كارهون للجمال وكل شيء يستثني منفعتك البروسية!

لقد أخبرني الأمير روبرشيت قبل عدة سنوات، لكونه قائد الجيش في الحرب العالمية الأولى، أنه قد اتفق ولودندروف على أن يتجنبا القرب من قلعة كوسي، لأنها تحفة هندسية لا تقدر بثمن تقع بين الجيشين الخصمين. لم تكن تشكل أهمية عسكرية، سواء لنا أو للعدو. ولم نحاول نحن الخصمين على أن نستغلها لغرض عسكري. ولكن حقيقة أنني دعوت إلى تجنبها كانت بسبب أني خشيت أن تدمير القلعة سيعني فقط تقليلًا من مكانتنا، وهذا شيء لا فائدة منه وهذا لفت انتباه لودندروف إلى كوسي. وقد انتصر ودمر القلعة، من دون أي سبب وجيه سوى أن يهاجمني.

«ولكنه كره تلك القلعة لأني أردت الحفاظ عليها. لقد كره "كوسي" لأنه يكره كل شيء خارج نطاق إدراكه في الحياة.الروحانية، التذوق، التميز وكل

شيء يعطي فروقات بالحياة».

آه، إن هذا البائس إبن أخ «مولتك» العظيم وكل من هم من طبقته لا يمكن وصفهم بشكل أفضل. وظلوا لسنوات وأولئك الرجال كانوا يغطون كل أفعال الخيانة التي تحدث، وكل سرقة وقتل، لأن هتلر سمح لهم أن يظهروا مرة أخرى في ألمانيا البروسية الذليلة. فقد دافعوا عنه قولا و عملا، و في كل مرة يقوم بعمل إجرامي، كانوا يخوضون بكل سرور في ماضي أولئك الضحايا المقتولين، في ماضي المسجونين في معسكرات الإعتقال، والمضطهدين دينيًا، ويتمتمون دائمًا بأصوات خافتة «ألمانيا» أو «الروح الألمانية»، لأن النظام المختلف يعني إنتهاء قوتهم و سلطتهم. . .

و الآن، و قد أصبح رئيسهم مفلس، باتوا يخونونه ليثبتوا أنفسهم بأعذار سياسية - كما خونوا جيمع من أصبح بلا منفعة لهم ليصلوا إلى زمام السُلطة.

ينعون الشعب بقولهم بأن القنبلة لم تقع في الوقت و المكان المخطط له، ولا مكنني حقًا أن أشرح كيف أشارك الجميع مشاعرهم. و لكن بالنسبة إلى الضباط؛ فحينما تتحرر ألمانيا من فساد بروسيا، يجب أن يتم قتلهم، جنبًا إلى جنب مع أصحاب المصانع الذين ابتدعوا الحرب، و شعراء الصحف، و السيد «ميسنر» و «هيندنبورغ جونيور» و، قبل أن ننسى، يجب أن أذكر ذلك الطاقم المسؤول عن الجرائم الهائلة التي حدثت في 30 يناير 1933، إن هذا الطاقم يجب أن يعلق بارتفاع عشرين قدم أعلى من البقية. ولنجعل أولك الذين يدخرون لأنفسهم، أن يتلقوا عقوبة تقتضي على أن يقضوا بقية حياتهم وهم يبيعون أعواد الثقاب والأوراق المهملة، حتى يصبحوا رمزًا نتذكر من خلاله كيف و بسبب من سُرقت السُلطة التي كلفتنا المآسي والأحزان.

ليس بيدي حيلة!

16 أغسطس 1944

تفوح رائحة الموت في الهواء. وأنا لا أعني هذا المكان، ولا حتى ما يتم تداوله عن طريق الإذاعة الدولية بأنه تم قتل 5000 ضابط؛ وأن النازيين يقتلون جميع من لا يحوز على إعجابهم بصرف النظر عما إذا كانوا من صفوف العدو أم لا. نعم، كما أنهم في الوقت ذاته يقتلون عائلات المشتبه بهم عندما يتم إرسالهم لإنهاء مهمة.

كلا، إن ما يدور في عقلي هو شيء ما يحاصرنا كتوقعات مرعبة لأمور ستحدث، إن هذا الشعور يملأ الأجواء الصيفية، فتكاد أن ترى الأشباح يتخللون أشعة الشمس المنسدلة، ولهذا ترانا نعيش طيلة اليوم متأهبين لنفتح أعيننا على أضواء الجنازات المشتعلة. إن هذا الشعور بكل تأكيد بسبب الكوارث التي احتلت عقولنا، وجعلتنا نعيش في رعب وخوف من الموت الذي يحيط بنا. ما الذي سيحدث من وراء أولئك القساة الذين يصبون في عقول شبابهم مفهوم أن السرقات السياسية وقتل الناس حقّ مشروع في الحياة، وقادة الجيش الذين لم يترددوا لحظة واحدة في دعم كل ما يفعلونه طالما أنه ينفذ بشكل كامل.

إننا نتنفس هواء مشبعا بالموت. ولا نحتاج إلى أحد أن يخبرنا، كما أخبرتنا مؤخرًا رئيسة المنظمة النسائية في أوبنغ، وهي مزرعة وادٍ يعمها السلام، وهي

تعظم زعيمنا بسبب «طيبته المبالغ فيها عندما جهز لنا نحن الألمان موتا سهلا ويسير بالغاز القاتل إن كللت المعركة بالفشل». أوه، إنني لا أكتب قصة خيالية. فهذه المرأة اللطيفة ليست من ضمن الشخصيات التي قد تتخلل خيالي. فأنا أراها هنا أمام عيني؛ صاحبة لون بشرة حنطية وعينين تنمان عن الجنون، ذات الأربعين عامًا إنني أذكركم بأن تلك الضباع من معلمات المدارس هم أكثر الفئات المصابة بداء السعار بين الفئات الدرويشة المنقادة لنظام هتلر.

وما هي ردة الفعل هنا؟ هل أولئك المزارعون البافاريون من سلالة آبائهم غير المنقادين عقائديًا، قادرون على شن ثورة. هل سيشعلون النار على الأقل في تلك السيدة، وعندما تصبح عبارة عن شعلة ملتهبة من النيران يلقونها في بحيرة «أوبينغ»؟

إن هذه الفكرة لم تتخلل تفكيرهم أبدًا. فقد عادوا إلى منازلهم، يهزون رؤوسهم بحيرة، ويتهامسون أنه ليس بأيديهم حيلة.

ومن ناحية أخرى، هنالك العاملون في مخطط الكهرباء في ميونيخ الذين قالوا بأن الأجهزة الكهربائية على أتم الاستعداد بأن يتم استخدامها في طباعة الصليب المعقوف على جباه النازيين. فكرة لا بأس بها، إلا أنها تحتاج إلى إضافة شيء واحد فقط لتصبح فكرة رائعة: كيف سيصبح الأمر إن تم إجبارهم على ارتداء قمصان بنية اللون لبقية حياتهم؟

9 أكتوبر 1944

يحلم السيد غيسلر بتقنية جديدة للمراقبة. وقد أصبحت لجنة الإسكان موجودة في كل بلدة وقرية، حائزة على السلطة للدخول والتفتيش داخل أي منزل في أي وقت من النهار والليل، لاقتحام حياة الناس الخاصة. ومنذ أن أصبحوا مسؤولين أيضا عن «تخصيص العمالة» باتوا قادرين على إجبار أي امرأة يرون أنها غير متلزمة بالعمل التطوعي.

هذا ما حدث في منزلنا: كالعاصفة المباغتة، من دون أي نوع من الإبلاغ المسبق، من دون طرق الباب أو الجرس، ظهر أمامنا الدكتاتور الوضيع الذي لم يأت إلى قريتنا الهادئة المسالمة إلا قبل أسبوع ، ذلك المستبد الذي قضى الوقت في محاولاته غير المثمرة لإنزال كلمة الله![56]، من خلال نموذج التحية الذي نشره بين المزارعين. وبعد أن فتش غرفتين في منزلي، ألقى نظرة على المكتبة، أعطى تعهدًا على إيواء امرأة مع ثلاثة أطفال على الأقل في كل غرفة، ولاستيعاب هذا الحشد، سيتم إنجاز حُفر على الجدران والأراضي القوطية. وقد تم أمري لتغيير مكان مكتبتي (بما فيها من النسخ الأولى التي لا بديل لها من بعض الكتب، والمطبوعات، والمخطوطات اليدوية) ووضعها في المخزن حيث يمكن أن تتلف بهدوء من الفئران. لا تبذل جهدًا كبيرًا في العمل، فالكثير من مجموعات الكتب سيتم إتلافها، لما نبدأ بكتبك؟

(56) . "الحمدلله!" تحية عريقة ومعروفة في جنوب ألمانيا والنمسا.

كانت عيناه تلمع بالخسة والنذالة وهو يقول هذا: فقد انتفخ حجم كاتب الضرائب وأصبح مثل نابوليون عندما وعى بمدى سلطته. أنا أتذكر هذا جيدًا خلال الحرب العالمية الأولى، فقد كان عمال المراكب يغذون أفرانهم على النسخ الأولى من الكتب والمخطوطات التي لا تقدر بثمن من قلعة ماسوثن في ليفين. ولكن كانت هذه حالة تقتصر على الجنود المحتاجين، فقد كانوا ينتهزون الفرصة بأخذ أول شيء متاح أمامهم، فلم يكن هناك شعور بالحقد أثناء هذا العمل . . .

ولكن ما الذي يحدث هنا هو شيء مختلف تمامًا. لنبدأ بموضوع البيروقراطية التابعة، فقد كان هنالك استياء واضح من الرجال المتعلمين، العارفين بأي شيء أكثر منه وما يشعر به الآن هو أن فرصته قد أتت، الفرصة التي طالما انتظرها ليثأر لنفسه.

ولكن كان هنالك شيء آخر: فقد كان ذلك الحقير يكره كل شيء يتعلق بالروح. وقد كان هذا الكره نفسه هو الذي جعل الطبقة البورجوازية الألمانية في منصف القرن الثامن عشر ويتخلصون من كل شيء كان أفضل من ماضيهم، إن هذا شيء يستدعي السخرية. . .

فقد كانت هنالك فرصة لعمل المزيد في الأيام التالية. في «تراونشتاين»، أنذرني ضابط شرطة؛ وضعني الضابط «بيشنر» في قائمة لأني أقول «الحمدلله». هذا وبالإضافة إلى تقريره، الذي نشره على نطاق واسع، بأني متورط في عمليةالإغتيال التي حدثت في 20 يوليو، جعل من الضوري أن ألتقي بأناس قد تعرضوا للقصف ويشاركوني نفس الأفكار، ولا يتنكرونها. أخذت اثنين ممن أعرف أنهم يمكن الإعتماد عليهم، وهم منقذين من ميونيخ، ومن ثم نصحوني بفنان قد تعرض للقصف، وهو رجل أمريكي يعيش بهدوء في

ميونيخ، والذي أصبح زميلًا جيدًا. قد استغرق تجهيز كل هذا الكثير من الوقت، فمنذ أنه لا يعد سلطة باختيار من يسكن في منزله، و بوجود الحاجة إلى الكثير من الرحلات إلى ميونيخ في تلك القطارات القذرة المزدحمة، وبالإضطرار إلى الإنتظار ساعات طويلة أمام مكاتب الموظفين النازيين، والإستماع إلى ثرثرة النساء في المكاتب المحيطة ـــ أنواع كريهة، ممن يتناقشون بشأن مميزات الشعر المسدول على الأكتاف، وحديث غير منهي بشأن المثلجات والبسكويت، تاركين الناس بالإنتظار.

و بينما كانت التشنجات تهز النازية من كل اتجاه، كنت متوترا من ناحية ما إن كان منزلي مازال ملكي أم لا. إلا أنه و بشكل متناقض جدًا، تحولت جميع أنظار من كانوا في هذا المكان عندما حان دوري.

أخذني الموظف إلى المقر الذي يدعى «غوليتير»، و الذي تمامًا كما يتخيل المرء شكل المكتب النازي، مليء بالضباط التنفيذيين، الذين كانوا يديرون مكاتب قبل أن ينتحلوا شخصية «جنكيزخان» كما يمكنك أن تشتم رائحة الخوف بالمكان، الخوف الذي يخبئونه وراء وجه الخشونة والوحشية.

ومن ناحية أخرى، ترى مكتب البوليس السري النازي، دخلت وفي يدي اعتراض أريد تقديمه، وقد كان مختلفًا جدًا عما قد يتخليه الناس؛ مكان هادئ، ومكاتب راقية، موظفين مهذبين، وضباط مسؤولين، وشاب مهذب قد طلب مني أن أخرج إلى أن يفرغ من تدخين سيجارته، فقد كان مثال للرجل النبيل المتزن. لقد كان البوليس السري النازي يقولون «الحمدلله»! في حين أن في المكاتب الأخرى قد يتم إخراس من يحيي بأي تحية أخرى غير «يحيا هتلر».

وحينما شرحت لهم مشكلتي في مسألة «غوليتير» الأساسية إثر محاولتهم جعلي أعيش تحت تهديد أنهم يقتحمون منزلي للتفتيش في أي وقت، فأوضح

المسؤول في البوليس السري النازي أن عناصر القوات العسكرية يقفون خلف التهديد والذي يعني مجموعات نازية وبكل تأكيد سينهون الموضوع خلال أربعة عشر يومًا أو ثلاثة أسابيع.

أجواء غريبة، مقترنة بالخوف، الإستسلام، والجنون الذي بلغ أوجه لتتحول ألمانيا الآن إلى كوم من الركام تحت شرف العظيم "مونيتو" أجواء غريبة، ملوثة بميكروبات تعني انتهاء العالم!

ورغم هذا، تخيل أن هذا النمل الأبيض، يتشبث ليلًا نهارًا بالترام كعناقيد العنب. تخيل لو أنهم يستمرون بغباء كما استمروا في محاولة تدمير المفكرين، في كونهم يستمرون في مهنتهم! إن الأجواء مشحونة بالتوتر في أنّهُ قد يومض النور غدًا في أي وقت. بغض النظر عن أولئك أصحاب الأرواح القوية الذين سيستمرون في عملهم النازي التفاؤل، إن الناس يعلمون هذا، وهم ممتعضون للغاية؛ إن استياءهم ممتزج بالنزاعات التي تحدث أمام نوافذ البريد، في الترام، في طوابير الانتظار التي باتت تسمى الآن بالصحف.

فالعصبية باتت متأججة، وفي أي لحظة قد تصدح أصوات النزاعات التي تتبعها مشاجرة بالأيدي. فقد رأيت فتاة ذات الست عشرة سنة تريد ركوب الترام، فصفعت رجلًا عجوزًا مسكينًا لأنه كان ينزل من الترام ببطء شديد. ذهلت الشابة الحلوة عندما قلت لها مجاملة ذات وجهين.

لم أر هنا شيئًا كهذا من قبل. إن الطريقة التي يتعامل بها الناس في ميونيخ بين بعضهم البعض تحت الثورة الجمهورية لعدم التهذيب مقارنةً بما سيحدث بعد هتلر. إن ميونيخ قذرة ورديئة كما هي عليه، مدمرة كباقي المدن بسبب الجراد البروسي، إلا أنها تبدو مختلفة بشكل أكبر بالنسبة إلي الآن، فقد كنت أمشي بها كما لو أني في شيكاغو.

اوه، كم هو مرعب أن تتذكر بين كل هذا الدمار الذي يعم مدينة كانت بالأمس كالأم الروحية. فعندما كنت أسير في الشارع، رأيت منزلًا ينهار وتغطيه غيمة كبيرة من الغبار أدت إلى إغلاق مسارات العربة التي كنا بها للتو وأدت إلى إحداث كومة كبيرة من الأنقاض ترتفع لخمسة أمتار. وأنا بصدد كتابة هذا، كنت أشم رائحة الجثث المتحللة تحت الدمار، لأن تحت هذه الأنقاض، يوجد ثماني عشر جثة من موظفين البنك الذين دفنوا تحت الركام. ولإحياء ذكراهم، ووضع علامة على هذا المكان غرق فيه أولئك الشياطين المساكين عندما اكتسحهم نهر من فضلات البشر بسبب نكثهم بأيمانهم، وقد وضع الناجون الصليب على قمة كوم الأنقاض، والجرذان أصبحت منتفخة بسبب التهام الكثير من الجثث.

لم تعد خطوط الهاتف تعمل، كما لا توجد خدمات من دون صف انتظار طويل من الناس الماكثين فيه ساعات طوالًا، ولا يوجد متجر لبيع أي شيء، ولا سقف يحجب عن الناس الأمطار المتساقطة. ورغم هذا كله، تجد أولئك الناس الهمجيين، فاقدين العقول كالحيوانات، يدخلون إلى المطاعم ليلًا نهارًا يبحثون عن حصص طعام مجانية، كالقرود في حديقة الحيوان عندما يمنعون عن تناول الطعام خلال فترة الظهيرة. يبتلعون كل ما يوجد في أكواب البيرة الكيميائية، و يصدقون كل شيء تبثه الدعايات لهم، كما أنهم هم المسؤولون بشكل أساسي عن حقيقة أن اثنتي عشرة سنة ستمر و نحن محكومون بهذا الجنون. أليست هذه هي ذروة المأساة من العار الذي لا يمكن تصوره، و أن ما تبقي من الألمان هم النخبة منهم الذين كانوا سجناء لذلك القطيع من القردة الشريرة منذ اثني عشر عامًا، الذين يتمنون ويدعون لخسارة بلدهم، لأجل بلدهم نفسها؟

أكتوبر 1944

اعتقالات، و المزيد من الاعتقالات. أصبحت الأمور أقرب إلى الجنون من كونها مجرد إعتقالات، حتى أنّ المعتدين أصبحوا بالكاد يخفون خوفهم.

تم اعتقال «توني ارشو»[57]. و أنا متأكد أنّهُ كان نادمًا بمرارة على مشاركته في عملية إغتيال «إيسنر» قبل خمسٍ وعشرين سنة. كما أُعتقل «شاخت»، و مجموعة من النساء الطاعنات في السن اللاتي ينتمين إلى العائلة الملكية، وشباب دين مبتدؤون.

اختفى أولئك الناس من دون أثر. ولم يسمع عنهم شيئًا لأسابيع وأشهر. وعوائل كاملة اخفت بهذه الطريقة و اختفى أثرها في عتمة الليل. تم اعتقال «اي»، كما قيل أيضًا أن «إف. أر» موجود بالسجن، كما اختفى أيضًا أخوه من دون أثر وهو في طريقه إلى فيينا. كل ما وصلنا من معلومات هو أن بعض الناس قد رأوه وهو محاصر بين اثنين من الجنود في أحد محطات القطار في النمسا. فمنذ سنتين فقط، ابتلعت الحرب اثنين من أبناءه.

---

(57) . السيد "انتون" المعروف بـ"توني"، أطلق الرصاص على رئيس الوزراء البافاري "كورت ايسنر" عام 1919. وقد تم إلقاء القبض عليه لأجل إطلاق النار عام 1933، ومرة أخرى في عام 1944، بعد الإنقلاب الذي حدث في العشرون من يوليو. وقد توفى في عام 1945.

وصلت إلينا أخبار غريبة ومحبطة عن سمو الملك[58]. فقد وصلت الرسالة التالية إلى السيد «في. إم» من شمال إيطاليا: (لا تقلق بشأن الكولونيل، فهو بأمان في «الدولوميت»). من خلال سياق الكلام، لا يوجد شك في أن المقصود بـ"الكولونيل" هو ملك بافاريا الذي يبلغ من العمر 65 عامًا. الملك الذي غرق في ذكريات شبابه ليخبرني قصص ممتعة عن لقائاته مع الإمبراطور الكبير «فرانس جوزيف»، ومع «بسمارك»، والذي وصف لي بشكل دقيق شهية «وليام» الأول المفتوحة ذو التسعين عامًا على مائدة الإفطار، و الذي تم إجباره الآن على أن يمشي من جبل إلى آخر في الأراضي الأجنبية.

لقد تلقى «في. إم» هذه الرسالة في بداية أكتوبر. و الآن في نهاية هذا الشهر، وصلت أخبار بمقتل الملك. لا يمكن للنازيين أن يكونوا بهذا القدر من الانحطاط. إلا أنني أعتقد أن في هذه الحالات يصبح العدو في خطر أكبر إن قتل الملك من أن يتركه على قيد الحياة.

و في اليوم الثالث عشر من أيام أكتوبر الجميلة الدافئة، تم اعتقالي في حدّ ذاتي.

في الساعة السادسة صباحًا. الساعة المفضلة لموظفي الشرطة السريين سمعت صوت جرس الباب يقرع بشدة، رأيت خلف الباب رجل شرطة. كان هذا الرجل مهذبًا وقد شرح لي معتذرًا أنه اضطر إلى المجيء لينفذ أمرًا لم يسعده بتاتًا و هو أن يأخذني إلى السجن العسكري في «تراونشتاين».

اعترفت بأني لست قلقًا جدًا. فقبل أربعة أيام، تجاهلت «دعوة لحمل السلاح» للخدمة في «فولكسترن»، التي تم شن هجوم عليها. وبعد هذا ذهبت

(58) . لم يتخلّ وصي العرش البافاري، الأمير "روبريخت" عن حقه في الحكم، ونتيجة لهذا، كان ينظر إليه الناس على أنه ملك بافاريا. فقد كان مشهورًا جدًا بين البافاريين. وقد توفي عام 1955.

مباشرة إلى المقر الرئيسي كأي مواطن شريف لأشرح لهم الأمر، وكان سببي هنا هو أني رجل قد تلقى رسالة بأن إبنه مفقود في روسيا، وسيصدقون بكل تأكيد عذري بأني متعب ومريض.

لقد ارتكبت خطأ. خدعني هذا اليوم الخريفي الدافئ بألوانه الغريبة؛ خدعتني لباقة هذا الشرطي وشعوره بالخزي. حين إذ، عبرنا النهر في طريقنا إلى محطة القطار، كن نساء منزلي يلوحن لي من المنزل بكآبة و حزن شديدين و قد جعلني هذا أفكر في الأمر. وبعد عدة ساعتين، علمت أن هذا بكل تأكيد ليس مجرد إنذار.

فقد أُغلقت بوابة مخفر الجيش بقوة بعدما دخلت. و قد كان بيني وبين الشعور بهذا اليوم الخريفي الدافئ سور حديدي عالٍ. كنت واقفًا في مكتب المخفر الذي تنتشر منه رائحة الجلد والعرق والشحم، كان الرقيب شاب شوابي. رجل بمزيج من اللهجة الألمانية الغريبة، صاحب تصفات و أعمال خالية من الصحة، و التي تسببت بالكثير من الأذى لهذا العالم.

اتصلت بالمدير الذي كان الضابط المسؤول. سمعت صوتًا باردًا جدًا من سماعة الهاتف قال لي بوضوح إنّي لست هنا لأطرح الأسئلة، بل لأنتظر. ثم رأيت ضابط شاب كنت قد رأيته عدة مرات يقود دراجته بالجوار. ناديته، ولكنه عندما أتى امتنع من مصافحتي عندما كنت أشرح له وضعي، وقلت له أنه تم اعتقالي بتهمة أني لم أشارك في جيش القيصر في الجبهة الشرقية، لقد كنت «حقير». فضحك وأعطاني يده لأصافحه، ثم أجرى الإتصال بنفسه. وحينما سمعت بعض الخشخشة الآتية من سماعة الهاتف، أصبح وجهه شاحبًا. ثم أغلق الخط، وتحدث معي بشكل رسمي أكثر، وأخبرني بأني مدان بتهمة «إضعاف الروح المعنوية لقوات الجيش». ثم انحنى وذهب.

إن عقوبة «إضعاف الروح المعنوية للجيش» هي الإعدام، فقد سمعت مؤخرًا أن الرجل المدان يمنح فرصة واحدة بدل أن يقطع رأسه بالمقصلة، يصبح أعمى من خلال إشعال ألف شمعة أمام عينيه، وبعد هذا يتم تقطيعه ووضعه في زجاجات لحصص التشريح.

و بعد وقت قصير، حل المساء. و أصبح مكتب الشرطة كالصندوق المظلم. وقد تم وضعي خلف القضبان.

كان عرض الزنزانة خطوتين و طولها ستة أقدام، يحتوي على سرير كالتابوت الخشبي، ومبصقة تفوح منها رائحة نتنة، ونافذة متناهية بالصغر في أعلى الحائط. فعندما أصعد على السرير أتمكن من رؤوية قطعة صغيرة من السماء، و جزء من المبنى، وجانب من المقر الرئيسي، وخلف هذا كله أرى غابة الصنوبر: غابة الصنوبر البافارية المحببة لدينا، التي لا شأن لها بكل ما يحدث في هذه المنطقة البروسية العسكرية التي تنشر أمراضها على بافارايا.

مناظر كثيرة تظهر من النافذة. وعلى الجدران، كلمات بذيئة وعمليات حسابية للوقت المتبقي على إطلاق السراح. حساب للأسابيع والأيام والساعات والدقائق حتى. ويوجد أيضًا رسومات للنجوم السوفييتية التي تعني أنه قد تم احتجاز جنود من الجيش الأحمر هنا. وأخيرًا، خدوش على الإسمنت بشكل مفتاح و كلمات وعبارات منطقية جدًا بالنسبة لي: «إلهي، لماذا لا تنقذني؟» قرأت هذه العبارة وشعرت أن الظلام قد امتد إلى جوفي. يبدو أن رجلًا قريب للموت مثلي قد كتب هذه العبارة.

صحيح أنه لا يوجد و لا كلمة واحدة تؤكد هذه الفكرة. إلا أني لا أستطيع أن أسجل حقيقة هذا العداء السام في بحثهم على أمر يدينني، و قد تكون الملاحظة المهملة التي سأكتبها هي السبب الوجيه الذي سيقودني إلى حبل

المشنقة.

من المحتمل جدًا أن يصدقوا رجلًا ذي الستين عامًا الذي عاش حياته بشرف و قد تلقى للتو رسالة تنص على أن إبنه سجين في روسيا و الأزمة القلبية التي أُصيب بها لا تعني بالضرورة «إضعاف الروح المعنوية لقوات الجيش». وسيكون هذا الحق و الصحيح حتى و إن لم يكن هنالك بيان قائم في هذا المعنى من قبل كبير الأطباء في بلدة «برين».

ولكن ما يحدث معي الآن ليس له شأن بالإشعار الذي تلقيته.

قضيت المساء وأنا أتنفس بثقل وصعوبة، في حين أنّهُ بالخاج كانت أصوات الجيش الوحشي عالية. إننا نحن الذين دفنا في الحياة هنا لا يمكننا أن نحصل و لا على ليلة هادئة واحدة. فعندما يغلق الباب، يتم إغلاقة بشدة حتى أن صوت صداه يرن في المكان. وعندما يطلب أحد الرجال أن يذهب إلى الحمام، نسمع صوت تردد اللعنات والكلمات القذرة الآتية من الحراس. وفي الساعة الثالثة صباحًا، نسمع صوت رجال الإسعاف يقرعون على القضبان الحديدية بقوة، وفي الساعة الخامسة والنصف، وبغض النظر عن حقيقة أننا نحن المتيقظين لا يمكننا أن نفيد أحد بوجودنا، و أن أولئك الذين مازالوا نائمين لا يمكنهم إيذاء أحد، إلا أن الأبواب تفتح بعنف و يصرخ الحارس «استيقظوا» هذا إن كان هنالك أحد منا قد تمكن من أن يغفو قليلًا خلال المساء المرعب.

فكرت مليًا في أمر من قد يكون مسؤولًا عن كل هذا، و ما هو الدافع الذي يحاول من أجله أن يوصلني إلى حبل المشنقة. فكرت في عمدة البلدة الذي رفعت عليه دعوى بالمحكمة لأنه نعتني بالجبان أن لدي كلب حراسة فقد يكون يريد أن يثأر لنفسه لأنه قد خسر القضية أمامي. كما فكرت أيضًا بالعجوز صاحب المقهى المتهالك الذي كان يتحدث إلى الإعلام ورفضت أن أمدح

عمله. وفكرت في مفوض الإسكان الذي وجد إهانة عظيمة عندما أقول عادةً «الحمدلله»، و الذي طردته مرتين من منزلي رغم أني أعرف بأنه آتٍ إلي "بمهمة حكومية". فكرت حرفيًا في كل الأمور الصغيرة و التافهة التي تتغذى على نقص و إنحلال بلدنا قاتلين من أصحاب الرتب العليا و الدنيا، أصبحوا الأن ينتهكون كل المحرمات تحت رداء «الشرعية الكاملة»، ولا يملكون أدنى فكرة بأن غدًا سيكونون هم من يذهبون إلى حبل المشنقة.

ولكن لا يمكنني أن أستمتع بتفكيري بما قد يخبئه لهم القدر، وهذه الحقيقة تجعلني أفكر بشكل أكبر. غريب: كم تقدمت. فقبل عشرة أعوام، كنت أعمل على خطط للإنتقام منهم. واليوم؟ اليوم أشعر أنه لا يوجد شيء يدعى «إنتقام»، و تلك النصوص الموجودة بالإنجيل تؤكد على هذه الحقيقة العريقة من الشرف و الحكمة. إنتقام؟ فقبل عدة سنوات أخذت صديق قديم لمنزلي كان قد وقع في ضيق بائس. و كافأني مقابل استضافتي و مساعدتي المادية له بزعزعة زواجي. وقد ضربته بكل ما أوتيت من قوة. و قد استمعت بشعور الراحة بعد هذا لمدة ثلاثة أيام.

و بعد هذا؟ و بعد هذا استوعبت أن كل ما حدث لا يحدث فرقًا كبيرًا في مقاييس الخلود. و لو أني قد جازفت بالخوض فيما يخص الله لكنت قد قتلته. و لكنت في هذه الطريقة في ساعدته ليموت موتة كريمة، بدلًا من الحياة الطويلة الغير مشرفة. على أن أعترف أني قد تسببت بدموع الكثير من الناس: وهل يمكن للقدر أن لا يجعلني أدفع ثمن تلك الدموع، حتى وإن كان عقابي الحقيقي بعد سنوات؟ ألا أعلم بأن الأمور التي تحدث معي الآن، القرب من الموت، و انفصالي عن الناس الذين أحبهم، و الخبث و المحاولة في إيذائي وكل هذه الأمور المحتمة، حتى وإن كنت غير موجود لرؤيتها بنفسي؟

على المرء أن يكون مسيحيًا ليعلم بكل هذا. ولكن يجب أن يكون مسيحيًا ليعطي نموذجًا لهذا، ثم يعيش ويموت وهو بطل. في عام 1912، على متن السفينة الإنجليزية البخارية، كنت شابًا مترفًا كما يجدر بالحفيد الوحيد لـ«ويلهلم»، و بت ألقي نظرياتي على المسافر الوحيد، وهو مفكر صيني عجوز، كنا نتنزه على ظهر السفينة بالمساء، وكنت أقول إن المسيحية، في كل مكان في العالم، أصبحت الآن في حفرة واحدة من العذاب. نظر إلي الرجل العجز وبدهشة، وقد كان بروفيسورًا في أكاديمية الديانات الآسيوية في "تسينجتاو". ثم قال بهدوء إن المسيحية لا يزال أمامها مهمتها العظيمة والحاسمة. وقد كنت منذهل بشدة بطريقة حديثه.

و اليوم، بعد ثلاثين سنة، ها أنا أنحني بسبب ثقل المسؤوليات الناجمة من الكثير من الذنوب التي ارتكبتها، وقد وصلت في ارتفاع معين في بعض الأحيان وقعت إلى عمق الأرض في أحيان أخرى، وأنا أعلم أن الأمور التي تجري ليست بسيطة. ومن المؤكد أن المسيحية لا يزال أمامها عديد الأمور العظيمة التي يجب أن تقوم بها. و لكن أمام عبدة الشياطين الذين نواجههم اليوم، المقابر الجماعية الثانية يجب أن تحفر وأن «نيرو» الثاني الذي أحرق روما باسم الروح، قد يحقق نصرًا عظيمًا في المرة التالية.

14 أكتوبر 1944

كل ما كان يلزم هو قضاء ليلة واحدة في الفندق، و قد ذهبت حاملًا معي حقيبة صغيرة. فتشوا أمتعتي بحثًا عن الأسلحة؛ لم تكن هذه بداية جيدة. وعندما طلبت محاميًا، كانت الإجابة لاذعة.

وبعد فترة قصيرة وجدت نفسي في الزنزانة، واقفًا على السرير الخشبي لأتمكن من رؤية هذا اليوم الخريفي الجميل. لقد أخذوا مني حقي بالحرية لأكون بالخارج و أستمتع بهذا القدر من الجمال، لقد سرقوا حقي مثلما سرقوا منا كل تلك السنوات خلال الحرب العالمية الأولى، والسنوات التي تبعتها بسبب التضخم المالي في العشرينات، والسنوات التي حكم فيها هتلر، ربع قرن، من أروع سنوات الإنسان، سرقها منا تلك الجيوش المجنونة.

وعندما كنت أشاهد الفناء الذي يوجد به مساكن الضباط، رأيت ضابطًا أشقر من الضباط الجدد يتحرك من غرفة إلى أخرى خلف تلك الستائر الرخيصة التي يعتبرونها أنيقة هذه الأيام، أعتقد أنه كان بالأمس خادمًا في دورة المياه وتعطيه ماركين لينظفها. إن هذه الفئة من الناس يرتفعون كلما نزلنا نحن خلال الإثني عشرة سنة الماضية؛ بالتأكيد، فأموالنا هي التي رفعتهم. حتى أن زعيمهم صاحب الشخصية المنفصمة لا يملك شيء و هو عبارة عن لا شيء، ولكن منذ 1918 باتوا الذين يشابهونه في عقليته وغضبه يرفعون من شأنه حتى

وصل إلى ما هو عليه اليوم. يا للاسقرار الأوغيني الذي تركوه لنا لننظفه!

هم الآن يسيرون في موكب عسكري. إنني أسمع صوت خطواتهم من الصباح حتى المساء، و القائد يلحن أنغامًا غنائية بصوت مرتفع، ويصرخ عاليًا على قطيعه المكون من 250 جنديًا. كانوا يسيرون و يغنون هنا، يوجد خمسة رجال انضموا إلأى آلة واحدة، وهناك، وآلة أخرى عملاقة يوجد بها عشرة جنود تنفخ غيومًا من الغازات كريهة الرائحة، و آلة مرعبة أخرة تحتوي على خمسة جنود. ما الذي تعمله تلك الآلات الحديدة غريبة الشكل مع الجنود؟ من الأفضل أن نزيل الشارات الفيلقية من بدلاتهم العسكرية، و نخيط مكانها شكل مفكات براغي أو علب زيت!

أريد أن أوضع أمرًا: لقد أتيت من سلالة عسكرية. و بعمر السابعة عشر، عندما كنت أمتطي الحصان خلف قارعي الطبول الفضية، هنا شعرت حقًا ماذا أريد أن أكون عسكريًا. ولكن بعد ظهور تلك المدفعيات ومحركات الدفع الربعاية تبادر إلى ذهني سؤال، و هو، هل مازالت مهنة العسكري موجودة حتى الآن، مثل مهنة رجل الدولة أو الملك أو الشاعر أو المفكر أو أنها قد أُزيحت و وضع مكانها بديلا. لذا فإن كل المهن التقليدية المتبقية هي مهن فاسقة. وبالنسبة إلي، فإنّي أرى نهايتي السلمية. . . ليس لأني قد تركت مخزن من القطع الأثرية المهترئة للعالم: كلا، بل لأني أريد أن أتولى جنازة تلك الكذبات اللعينة. كذبة أن مفهوم وظيفة "الجندي" لها أبعاد كثيرة!

بعد ظهر هذا اليوم، تم استدعائي إلى جلسة الإستماع. وقد تمت قبل أن يرتدي رئيس الفريق شارة ضابط صف سابق، ومظهر البافاري البرجوازي البسيط (كان شكله يبدو كموظف في مكتب البريد، أو في مكتب محاماة). وعندما أوضحت بأن جلبي إلى هنا كان شيء مستنكر ومكائد فاسدة، تغيرت

ملامحه الجذابة ونهرني بعنف مثل البوق. انتظرت حتى تعبت رئتاه من كثرة الصراخ، ومن ثم نظرت إلى عينيه بجدية، مغامرًا بحياتي في اللحظة التي يقف أمامه رجلًا مسالم بلا سلاح ليدافع عن نفسه.

ثم إنّ على رأسي سيل من التهم:

- إنني وظّفتُ رتبتي بطريقة خاطئة (وقد أجبت على هذه التهمة بأني رأيت في حياتك الكثير من الدماء المسفوكة).
- قمتُ في بداية مسيرة حياتي بالكثير من الأمور السيئة، مثلًا، سلطت الضوء على ميليشيات الشعب. ومع وجود تقريري أمامي، شرعت بإظهار أن ما قيل كان عكس الواقع تمامًا.
- قمتُ بتنظيم مظاهرة لنساء يحتججن على إزالة الصلبان من المباني العامة، ولم أقل «يحيا هتلر عندما ينبغي علي ذلك»، ولم أقلل من قيمة العملة الألمانية.

قد أجبت عن هذه التهمة بسؤال: هل يتم إستجوابي هنا من قبل الجيش أو الحزب؟ بالإضافة إلى تهمة قيمة العملة، هل يمكنني أن أعرف تفاصيل أكثر عن هذا الموضوع؟

لم تكن هذه الطريقة مثمرة. فما حدث بعد هذا هو أنه قد انهال علي بسيل من الإتهامات الأخرى و كأنه نهر من الحمم البركانية التي تلتهم كل النقاشات والاحتجاجات. التزمت الصمت ثم أخذوني بعيدًا.

ولكن لن يطلقوا سراحي بسهولة. ثم استدعوا كبير الضباط، وعندما رأيته عرفت؛ لن يحميني إلا من هو أعلى رتبة. كان كالشبح، كدمية على شكل رجل، دمية مخيفة وكأنها قد قطعت بالرصاص والقذائف ثم جمعت أشلاؤها سويًا

لتشكل هذا الرجل. لم يكن شيء يجري بشكل طبيعي، ولم يكن شيئًا عاديًا. كان الرجل رعبًا ميكانيكيًا. وفي عينيه رأيت متعته في تعذيب الآخرين. . .

أعرف هذا النوع. فقد رأيتهم أيام الميليشيات الحرة[59]. تلك الأشباح المدنسة، الممتلئة بحب التعذيب، ومنذ ذلك الوقت حتى اليوم، فإن الضباط التابعين لنظام هتلر، قد تشوهوا بسبب مشاركتهم بالجرائم البشعة التي لا يمكن تخيلها.

ومرة أخرى أصبحت وحدي. بعيدًا جدًا عن المنزل والأرض التي أدعوها وطني، أعتقد أن الوقت الآن يحنّ إلى آخر خيوط الشمس الحمراء في المغيب: ومن هنا من الداخل، أسمع صوت قرع حذاء الجندي المسؤول عن تقديم الطعام. غريب كيف للإنسان أن ينغمس في أدنى مستويات الانهماك بالتفكير لإيجاد أي وسيلة تجعل الحياة في السجن أسهل. فبالسجن ستتعلم كيف تنظف زوايا الزنزانة التي تفوح منها روائح نتنة من دون أي قرف، وتضطجع على مرتبة السرير التي تعتبر وكرًا للحشرات و الجراثيم من دون تشعر بالإشمئزاز. وتفرك ببذلتك الرسمية، التي صممها لك الخياط اللندني الذي تتم دعوته إلى رحلات التسوق الموسمية للأمير الحاكم، شقوق أواح السرير، من دون أن تهتم. . .

و يالتلك الأفكار والوسائل الصغيرة، التي تجعل حياتك أسهل فعلا، ولكنها تجرك للأسفل من دون أن تدرك. وعندما تفكر فقط بفتح أحد الحراس لقفل الزنزانة، تصبح الحرية بشكل مفاجئ هي الخروج من زنزانتك فقط، وتشرع في السير ذهابًا وإيابًا إلى باب الزنزانة في انتظار الحارس. أنت في الحقيقة

(59) . السلك الحر: هي وحدات شبه عسكرية ألمانية نشأت بعد الحرب العالمية الأولى، لإخماد الثورات والإنتفاضات من قبل اليسار.

لم تخرج؛ ولكن الأفكار هي من قامت بالأمر.

في اليوم التالي، والذي كنت فيه أكثر انغماسًا في السجن، هممت بتنظيف البقع بنفسي وقد حظيت للمرة الأولى بأن أرى زملائي بالسجن الموجودين في الزنزانات لمجاورة وجهًا لوجه. وحتى الآن هم معروفون فقط بالعلامات المكتوبة على الجدار والتي تعلمت قراءتها بسرعة. وخلف تلك الملامح المسطحة الفارغة للرؤساء، و خلف الأوجه الغبية الشاحبة للمرؤوسين والموظفين الذين يرتدون لباس الجيش كالجنود يكمن هذا المزيج المتعدد اللغات من مجتمع السجناء. و من بين أولئك البولنديين و التيشكيين (حتى الدانماركيين و النرويجيين) الذين وقعوا في هذا المكان كوقوع النرد من الكوب، نجد أولئك الذين وقعوا كالبلسم أناسا حقيقيين، إلا أنه، هنا كدولة أجنبية كهذه، بات يتسنى للشخص أن يسمع للمرة الأولى لغة الآخرين الحقيقية:

لقد رأيت شابًا يبكي. كان يرتدي قميص البذلة العسكرية المغربية وكان ذا جسد كثيف الشعر كالدب، واقعًا في اكتئاب شديد بسبب مكوثه بعد أوان رحيله لخمسة أيام، بسبب أن امرأة عذراء قد أغوته وذهب معها للاستمتاع بأكل ألذّ أنواع الأسماك لأجل أن يأخذ بركة عائلتها.مكتبة .. سُر مَن قرأ

و"إل"، ذلك الرجل الصادق الديناريكي[60] صاحب الوجه الذي يشبه الحصان، كانت مشكلته أقوى. فقد وقع في كره أولئك الضباط الجدد، فقد نُسي أمره لخمسة أشهر، و من ثم تم القبض عليه في نقطة تفتيش الجيش، و بحوزته ذخائر سلاح. نعم، إن هذه مشكلة خطيرة. كما أن العسكري الذي ألقى القبض عليه كان مجرد أداة للعسكرية البروليتارية، فقد أخبروه بأن هذه جريمة

(60) . "ديناريك"، قاموس أوكسفورد الإنجليزي، الطبعة الثانية: نوع عرقي من الناس الذين يعيشون في الساحل الشمالي، ومعروفون بطول القامة، ورؤوس قصيرة ، وشعر أسود مجعد و أنف طويل أو معقوف.

انسانية و هو الآن نادم على القيام بذلك. إن هذه المسألة جدية بالطبع، فقد تكلفه حياته.

و«كروت»، فقد تم اتهامه بعقد الإتفاقات مع الروس في مكان ما في الإمبراطورية. إن هذا الإتهام صاغه شخص أحمق و انتشر بشكل عشوائي في وحدة الجيش. في الحقيقة إنه زميل شاب مهذب، محبوب، ومثقف إلى حد ما وفقًا لمعايير هذه المنطقة المختلة عقليًا. و في الزاوية المظلمة من الزنزانة، وعلى مرتبة السرير القذرة، جلسنا سويًا نتحدث عن منازلنا البعيدة. و قد وصف لي كيف أن الصربيين قد احتلوا بلدته الآمنة الثرية بمزارع الكرومب و المطلة على نهر الدانوب لأنه أرادوا أن يسكنها شعبهم.

صدقني، كان الحصاد جيدا، فقد كان المخزن مليء بحبوب القمح، والأحواض مليئة بويسكي الجاودار، والسقيفة مغطاة بحزم التبغ والذرة. وخلال فصل الربيع ذاك، انتشرت شائعات عن كوننا سنطرد من أرضنا، و قد صدق كبار السن فقط تلك الإشاعات. ولكن نحن الشباب قد ضحكنا من أولئك الجبناء الخائفين، كما أن الضباط الصرب أكدوا لنا بأنه لا توجد لديهم خطط من هذا النوع أبدًا ... نعم، فقبل يومين فقط من أن يصبح كل هذا حقيقة، بثوا الشائعات بين الناس.

لا يمكنك أن تتخيل حجم الصدمة التي حدثت لنا عنما أصبحت الشائعات حقيقة. فقد أعطونا مهلة إثنى عشر يومًا لنرحل عن بلدتنا، عن مزارعنا، وعن مخازننا الغنية بالقمح. و قد أخبرونا أنهم سيعوضوننا عن كل ما تركناه خلفنا من حصادنا و ممتلكاتنا و مزارعنا بمزارع غنية مماثلة في البوسنة... باختصار، أننا لن نندم على مبادلتهم بالأراضي.

إن كبار السن علموا ما هي الحقيقة. ففي تلك الليلة ذاتها، اقتلع الكثير

منهم حناجرهم، والآخرون شنقوا وأغرقوا أنفسهم في نهر الدانوب. والبقية منا، تركناهم يستغفلونا ويرسلوننا إلى تلك البقعة التي تنتشر فيها حمى التيفوئيد. و من ثم وضعونا في صناديق شحن كبيرة على متن الباخرة، لمدة أربعة عشر يومًا عشنا ومتنا مختنقين بروائح البراز وجثث الموتى.

وعندما وصلنا، أخذوا بعضًا منا ووضعوهم في غرفة متجمدة من شدة البرودة في مقاطعة كبيرة، والبعض الآخر قد رميوا في بيوت محمية شبه محطمة موجودة في المراعي المهجورة، في حين أن المجموعة الثالثة وضعت في مهاجع العسكريين الممتلئة بالقمل، والتي كانت سابقًا تستخدم للناس المصابين بالتيفوئيد. إن هذا يا سيدي «التبادل العادل» الذي وعدونا به!.

أجبته: إن نظام الإمبراطورية النمساوية المجرية القديمة لن تكون أقل قسوة من هذه. هل يمكنك أن تتخيل أن كل ما هو مطلوب منك هو أن تتعهد بالولاء للنسر المزدوج، وهو الرمز المعروف في فيينا؟

بالطبع سيدي، و لا يزال الوضع هذا حتى الآن لأنهم يريدون أن يقودوا حياة الناس الآخرين.

كان يعني الحياة القومية لذلك الشخص، و الجنون الذي يعم البلاد منذ عام 1789 فصاعدًا، وتلك النيران التي ستلتهم أوروبا التي ستكون نيرانها شديدة جدًا، لأن النيران الأخف ستكون موجهة إلى المفكرين الأوروبيين المعممين، إلى أولئك الذين يبحثون عن الله في الأرض، و ستطفأ بهم.

استلقيت حزينًا. لقد ولدت على هذه الأرض مبكرًا جدًا ولن أنجو بسهولة.

ثمّة رياحٌ حزينة تهب هذه الأيام الحزينة وتتسرّبُ عبر القضبان الحديدية

الموجودة على الجدار، معلنة اختفاء دفء شمس الخريف وقدوم ساعات المساء المروعة التي تدنيني من النعش.

فخلال النهار، وإلى حين مضي الأيام، كنت أستمر في القراءة بيأس شديد، كتابة هذه الذكريات البائسة وهذه اليوميات الغاضبة الممتزجة بالغطرسة الباريسية، وأولئك الأشرار الناجين من المفهوم النابوليوني للتعفن حتى الموت، فإن نجاتهم من الموت لوقت طويل جعلت حياتنا مسممة...

«في السابق، كان هنالك مكانة كبيرة للإختلافات. أما الآن، فكل شيء متساوٍ. وقي ما مضى أيضًا، كان هنالك شيء يدعى الإيمان ـــ أما الآن، لا يوجد سوى حروب مستمرة. سمعة ـــ ما هي السمعة؟ أعطني كيلو من السمعة بكم؟ إننا نشتري قضبانًا لأفواهنا، وحشائش نحشو بها بطوننا. إننا نستقطع أجزاء من الحياة من بعضنا البعض، ونترك نسبة أقل و أقل من الهواء، فمن حيل إلى جيل نترك خلفنا عالما أكثر ضررًا وتلوث. الأميرة؟ إنها تقود دراجتها في طريق الخدم الذين يعملون لصالح والدها الملك، والذين بالكاد يستطيعون أن يتحركوا عندما تمر، وربما يلقون عليها التحية و ربما لا».

في عام 1915، كتب الرجل الذي انضم إلى نفس مجموعات الرجال البسطاء، و الذي بعد ذلك اقتيد من قبل نساء من عائلته لأجل حاجتهم إلى الجزء الأكبر من العالم.

في أول الأيام الباردة من السنة، تم استدعائي إلى جلسة استماع، و قد كنت مذهول من التغييرات التي حدثت في الخارج. منذ بضعة أيام فقط كانت تهب علينا الرياح الشمالية شديدة البرودة، أما الآن فالهواء الدافئ يداعب وجهي، ففي الأمس فقط، كان ذلك العسكري يصرخ في وجهي و كأنه رئيس الضباط، أما الآن فهو يتعامل معي باحترام، و قد كنت على وشك الخوف من أنه قد

يودعني بقبلة المساء.

إن الغموض شارف على الانكشاف. فقد خرج من مكتب الضابط المناوب، رجلًا يرتدي معطفًا جلديًا أسود فائق الروعة، عليه شارة القوات العسكرية النازية الخاصة، كان ذلك الرجل هو الضابط «دتيل»، إنه هو من انتظر معجزته. كان أصغر مني بعشر سنوات، و قد عاتبني بلطف، و لم أكن أعلم حقًا إن كان يجدر بي أن آخذ هذه المحادثة على محمل الجد أم أنه آراد فقط لهذه الكلمات أن تقرع طبلة أذنيه. على أية حال، كان تغير معاملة ذلك العسكري لي جديرة بالملاحظة.

«هل استلم الجنيرال السيارة أم أنه أصر على أن يمشي على أقدامه؟»، قال هذا في ثكنة بروسية صحيحة، وفي اندفاع يجعل الفرد يفكر في أن خادمه المتزلف هذا إما سيقع على وجهه أمامه أو أنه سيلقي بنفسه من النافذة.

وها قد حدثت المعجزة التي كنت منذ ساعة فقط قد دفنتها في زنزانتي ولم أجرؤ على أن أتصورها حتى؛ فقد تم إطلاق سراحي في تلك الليلة.

عدت إلى زنزانتي وقد أغلقت على نفسي مرة أخرى، وكنت أتخيل ما الذي سيحدث لكل سجين بعد إطلاق سراحه؛ مرت ساعات من الخوف الشديد من أن يحدث شيء ما في اللحظات الأخيرة قبل أن أخرج. كنت أترقب بكل حماقة حدوث إشارة أو أي شيء من شأنه أن يخفف علي التوتر؛ إن انتظار نهاية الوقت سيء بحجم سوء بدايات الصدمة عند دخولي إلى السجن.

ومن حسن حظي، هب هواء لطيف كان من شأنه أن يلطف صعوبة مرور الوقت علي؛ كنا و نحن نمشي ننظر كحيوانات حديقة الحيوان ونحن نشاهد الكاتبين على الآلة الكاتبة و الغسالون و مساعدوا المطبخ. أخذونا عبر سرداب ذو سقف منخفض حيث كانت كل أنابيب المياه والمجاري متصلة ببعضها البعض. فمن المحتمل أنه سيكون من الأفضل أن نغرق في براز مياه المجاري من أن تقطع

أجسادنا وتهشم رؤوسنا في الهواء الطلق...

فمن خلال نافذة السرداب استطعت مشاهدة جزء صغير من السماء ومساحة كبيرة من فناء المساكن العسكرية. اه، أشعر برتابة غير مريحة من هذه النوافذ التي لا نهاية لها، أكواخ مهجورة وقبح مروع في كل طريق. قبح يبدو ظاهرًا في الأرواح العسكرية...

إنهم يكرهون كل شيء قد يجلب الروحانية والجمال. فكل ما يصلون لأجله عبارة عن صنم، أو شيء ما غريب وغير متوقع النتائج مثل الكوب و النرد. ومن خلف كل هذا القبح الذي لا نهاية له ابتكروا دينًا في مكان يصلي فيه كل العالم.

كلا، إنهم سيتعفنون، و سيناضلون بلا جدوى، و من ثم سيعودون إلى المستوى الذي سيهانون به بكل شكل يمكنك أو لا يمكنك أن تتصوره، لأن في ذلك الوقت فقط، عندما تتعفن معهم كل ذكرياتهم البشعة، سيحل السلام على العالم.

بعد ساعتين من ابتعادي عن الزنزانة، انتابني شعور وكأني قد دفنت في مقبرة جماعية ـــ تكسوني القذارة و ممتلئ بذكريات قبيحة.

إن الخرافات القديمة تمنع الشخص الذي خرج إلى الحرية مؤخرًا من أن ينظر إلى الخلف، وإلا سوف يعود إلى السجن. وبالطبع تابعت المسير، و لم أنظر إلى الخلف نهائيًا، ولكن صديقي العسكري جاء إلي وهو يركض ومعه فرشاة لينظف معطفي المتسخ، وقال: «إجعل هذا ينتهي سريعًا!».

لأجلك، يا صديقي الشاب، وباسم الذي نتشارك كرهه، وباسم الذي عذب البشرية، وباسم العالم... telegram @soramnqraa

وعندما وصلت إلى المنزل، فكرت في ما كان سيحدث لي، وفكرت في أن ما حدث لي لم يكن ليحدث بالطبع لولا تدخل «ديتيل».

فريدريك ريك

يوميات رجل يائس

أيّامنا ثقيلة ولهذا نتخفّفُ منها بالكتابة. نهربُ منها كمن يهربُ من ظلّه، نتحدّثُ إليها كمن يتحدّث إلى نفسه ومعَ ذلك تظل ثابتة كآلة بيانو قديمة لم يتغيّر مكانها لكن أنغامها تتغير دائما مع تدفّق أصابعنا الهشّة على مفاتيحها. هذا الكتاب موسيقى حزينة... لوحة من دموع ألمانيا التي لا نعرفها... قصيدة ساخرة مكتوبة بالدماء والدّموع... تعتبرُ يوميات فريدريك ريك مرآة قاسية لأحد أشدّ الفترات قتامة في التّاريخ البشري، لا ينحتُ صاحبها في الصّخر وإنّما ينحتُ في القلب. صور دامعة لأناس ينتحرون وأناس يموتون حفاظا على ما تبقّى من شبحِ الإنسانية الذي في داخلهم وأناس يكتبون بحرقة من فقد كل شيء ولم تبقَ لهُ سوى الكلمات التي ستدوَّنُ على قبره. كيفَ يمكنُ للعقل أن يستقيل من وظائفه ليصير وحشَ دراكولا يتغذّى على الدم والحزن والآلام البشرية. كيفَ يمكن للبشرية أن تكونَ بكلّ هذه القسوة. كتاب يسردُ لنا أيّام الكاتب الرّوائي الألماني فريدريك ريك مع اعتلاء هتلر السلطة، يوميّات كانت من بينِ مسبِّباتِ سجنه وتعذيبه وربّما كان الألم الذي تحملهُ أحد أسباب موته في سنّ مبكرة...

الناشر

telegram @soramnqraa